
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
دور التعليم
في تحرير بيت المقدس
ابان العصر الأيوبي
د. ابراهيم ياسين الخطيب


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دور التعليم
في تحرير بيت المقدس

إبان العصر الأيوبي

الدكتور إبراهيم ياسين الخطيب

عمان ١٩٩٣

٣٧٣,٢٥٦٠٦٣٧١

ابرا ابراهيم ياسين الخطيب

دور التعليم في العصر الأيوبي لتحرير القـــدس

ابراهيم ياسين الخطيب ، عمان ، المؤلف ١٩٩٣

(   ) ص

ر.أ را . ٣ /١٩٩٣/٣

١ - التعليم - العصر الأيوبي أ - العنوان

تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبـات

والوثائق الوطنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- الى روح فاتح بيت المقدس الفاروق عمر بن الخطاب .
- الى روح البطل صلاح الدين الذي نذر حياته للجهاد في سبيل الله ،فوظف التعليم والعلم لبناء جيل قوي العقيدة مؤمن بالجهاد لتحرير ما اغتصبه الصليبيون فنصره الله في حطين، وحرر بيت المقدس .
- الى المرابطين على درب تحرير بيت المقدس .
- الى روح أخي محمد الذي سقط شهيداً في معركة النبي صموئيل، فروى بدمائه ثرى بيت المقدس .



الفهرس

مقدمـــة

تمهيـــد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

بعون الله يسرني أن أضع بين يدي القارىء كتابي هذا، (دور التعليم في تحرير بيت المقدس ابان العصر الايوبي) وهو ثمرة جهود مضنية متواصلة لدراستي، اذ أنه تعديل للرسالة التي قدمتها الى قسم التاريخ بالجامعة ، ونلت بموجبها درجة الماجستير في التاريخ، علما بأن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظري.

ان كتابي هذا ذو أهمية لكل عربي ومسلم، لأنه يوضح الطريق الذي سلكه صلاح الدين، والأيوبيون لتسخير التعليم والعلم لبناء مجتمع قوي سليم، قادر على مواجهة التحديات، وتحرير الأرض التي اغتصبها الصليبيون، وما أحوجنا اليوم الى جعل العلم طوع أيدينا، نستخدمه لبناء أمة قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، وتحرير ما اغتصبت اسرائيل.

لقد حاولت أن أبرز صفحة من صفحات تاريخ المسلمين الرائعة، وقد شجعني على القيام بهذه الدراسة خلو المكتبات العربية من مرجع شامل يظهر دور التعليم في العصر الأيوبي في بناء دولة قوية استخدمت العلم بنجاح لرص صفوف المجتمع، واذكاء روح الجهاد بين المواطنين، وتوحيد البلاد العربية، وكبح جماح الصليبيين.

تشكل الحروب الصليبية تجربة هامة في تاريخ الاسلام، فهي تجربة مليئة بالدروس والعظات، تتطلب منا أن نتأملها لنستفيد من أخطاء الماضي، ولتنير الطريق في مواجهة أخطار الحاضر والتغلب عليها.

ما زال تاريخ الحروب الصليبية يشغل عقول العرب والاورويبين رغم مرور ثمانية قرون على انتصار صلاح الدين في حطين، وما زال الاوروبيون يحقدون عليه، وليس أدل على ذلك من قول الجنرال الفرنسي غورو بعد دخوله دمشق سنة ١٩٢٠ اثر انتصاره في معركة ميسلون وزيارته قبر صلاح الدين **"ها قد عدنا يا صلاح الدين"**.

فالاوروبيون ما زالوا يتطلعون للسيطرة على الوطن العربي، في الوقت الذي يتطلع فيه العرب الى توحيد صفوفهم، وحماية بلادهم، ذلك أنهم يعتبرون صلاح

الدين بطلا محررا.

قد تكون الحروب الصليبية مسؤولة عن الانهيار الذي تعرض له الوطن العربي، وأوقف نشاطه الحضاري، واستنفد كل طاقاته وجهوده للقضاء على الصليبيين الذين حاولوا تثبيت أقدامهم في قلب الوطن العربي، وحاولوا تهديد بعض أجزائه في مصر والشام والحجاز.

اننا نعيش اليوم في وضع أقرب ما يكون الى الوضع الذي عاشه أجدادنا قبل ثمانية قرون ونصف، اننا نتعرض للخطر الصهيوني الذي تدعمه الدول الاستعمارية بالمال والرجال، فانتزع الصهاينة فلسطين، وتطلعوا الى انتزاع أجزاء أخرى من الوطن العربي.

ان ما تخشاه اسرائيل اليوم هو أن **تنهج البلاد العربية نهج صلاح الدين في اقامة وحدة عربية**، قادرة على استغلال مواردها الاقتصادية لتحرير الأراضي المغتصبة، والمساهمة في احياء التراث الاسلامي، وبناء الحضارة العالمية، والوقوف في مصاف الدول الكبرى.

واني اذ أقدم كتابي هذا لأرجو أن يسد فراغا ملموسا في المكتبة العربية، وأن يكون فيه نفع، وأن يكون لبنة تضاف الى بناء تاريخنا المجيد. وأسأل الله التوفيق، انه نعم المولى، ونعم النصير، **(وآخر دعوانا أن الحمدلله)**.



بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع البحث :

منذ أن تعرض العالم الاسلامي للحملة الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، استشعر المسلمون بما حل بهم، وحاولوا تسوية خلافاتهم، وتوحيد صفوفهم، والصمود في وجه الخطر الداهم، ولكنهم ضلوا السبيل أكثر من نصف قرن الى أن هيأ الله لهم عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين ليضعا أسس الوحدة القادرة على مواجهة الصليبيين، وتجسدت هذه الوحدة أيام صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية، فوحد مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن في دولة واحدة، كما كبح جماح الصليبيين، وما أن انتقل الى الرفيق الأعلى حتى بدأت بذور التفكك تنخر دولته، فتجزأت، ولكنها كانت تتحد أحيانا أخرى.

اهتم الأيوبيون في الدفاع عن البلاد، كما أولوا التعليم عنايتهم، فانشأوا المدارس وقربوا العلماء، وخصصوا الأموال لبناء المساجد والزوايا، وأوقفوا الأوقاف الجارية لدفع أجور المعلمين ونفقات التعليم، كما حاولوا وضع حد للصراع المذهبي بين السنة والشيعة بالغاء الخلافة الفاطمية.

تشمل هذه الدراسة مقدمة وتمهيدا وأربعة فصول، وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية الدراسة وهدفها، ومنهج البحث الذي اتبع في استقصاء المعلومات من مصادرها الأولية، أما التمهيد فقد تعرضت فيه الى الاطار التاريخي للدولة الأيوبية منذ نشأتها حتى سقوطها.

عالج الفصل الأول التعليم في المجتمع الأيوبي، بعد دراسة بنية هذا المجتمع لالقاء الضوء على أهداف التربية والتعليم التي حاول الأيوبيون انجازها، والمصادر التي استقيت منها هذه الأهداف.

وخصص الفصل الثاني الى تطور الحركة التعليمية، فتتبع الدارس نشأة المدارس، والمراكز ذات الأثر التعليمي من مساجد وجوامع، وربط، وخوانق، وزوايا بالاضافة الى مصادر تمويل التعليم.

أما الفصل الثالث فقد بين عناصر العملية التعليمية، من مدرسين وطلاب، ومناهج تعليمية.

وفي الفصل الرابع تحدث الدارس عن الحركة الثقافية، فأبرز أثر التعليم على المجتمع الأيوبي، وتطور حركة التأليف.

وأنهى الدارس البحث بخاتمة تلخص أهمية هذه الدراسة للمحافظة على التراث، والانطلاق لمواكبة التطور الحضاري العالمي.

أهميــة الدراســة :

يشكل عصر الأيوبيين ميدانا مناسبا للبحث والدراسة، اذ يشبه بعض المؤرخين المعاصرين الهجمة الصهيونية على فلسطين والوطن العربي بالحملات الصليبية، فقيام دولة اسرائيل في فلسطين يماثل تكوين الامارات الصليبية في بلاد الشام (١)، لذا أولى كثير من المؤرخين أعمال صلاح الدين العسكرية بالدراسة والتحليل، لتكون عبرة في الوقت الحاضر، واذا كان لهذا البحث من أهمية، فهو يكتسبها من كونه المبادرة الأولى التي تحاول توضيح دور التعليم في خدمة المجتمع.

اقتصرت معظم الدراسات العربية على الجانب العسكري في عصر الأيوبيين، ولم يتعرض معظم المؤرخين الى انجازات الدولة الأيوبية التعليمية، والتي كان لها أثر كبير في حفز المسلمين آنذاك على الجهاد، وعلى هذا يمكن القول بأن هذا الموضوع لا يزال بكرا لم يدرس الدراسة الوافية، اذا استثنينا الشذرات المبعثرة في بطون المصادر العربية.

لقد اخترت موضوع رسالتي (دور التعليم في تحرير بيت المقدس) رغبة مني في ابراز التراث الاسلامي، ومشاركة أمتي في البحث عن حلول لمشكلاتها، ومعايشة قضاياها، كما حرصت أن أعرف أبناء الأمة الاسلامية بماضيهم، وتاريخ أجدادهم، عله يفيد في جمع الشمل، وتقوية النفوس، وشحذ الهمم، والتأليف بين القلوب، واقتفاء أثر الأيوبين في حل مشكلاتهم بأسلوب علمي، اعتمادا على التربية والتعليم، للانطلاق نحو غد مشرق يمكنهم من تحرير الأرض.

حدود الدراسة :

تتناول هذه الدراسة التعليم في الفترة التي تأسست فيها الدولة الأيوبية في مصر والشام والحجاز واليمن والتي تقارب ثمانين عاما، تمتد ما بين ٥٦٩/١١٧٤ - ٦٤٨/١٢٥٠ . لقد وفر الحكم الأيوبي المستقر الى حد ما ولا سيما أيام صلاح الدين جوا يناسب انتعاش الحركة الثقافية والاقبال على التعليم عند عامة الناس وخاصتهم، ومع أن الحروب الصليبية أوجدت ظروفا من الاضطراب السياسي، وعدم الاستقرار مما أعاق تطور الحركة التعلمية السريع، الا أن تشجيع السلاطين الأيوبيين لهذه الحركة، حافظ على ازدهار الحياة العلمية والثقافية.

وتشمل هذه الدراسة البيئة الأيوبية، ولكنها تركز على مصر والشام، وبهذا يرى الدارس أن ما يقوم به هو محاولة لاعطاء صورة شاملة عن التعليم، تغطي امتداد الدولة الأيوبية زمانيا، كما تغطي مكانيا أراضي الدولة الأيوبية في مصر والشام والحجاز واليمن .

الدراسات السابقة :

لم يحظ موضوع هذه الرسالة بعناية المؤرخين المحدثين لقلة مصادره، والغريب أن معظم المؤرخين تحدثوا في سطور قليلة عن التعليم في العهد الأيوبي، بينما عالجوا الأمور العسكرية بشيء من التفصيل، ومما يثير الدهشة أكثر أن القاضي ابن شداد لم يتعرض في كتابه (**المحاسن اليوسفية**) بأية اشارة للنهضة التعليمية التي رعاها مؤسس الدولة الأيوبية، كما لم أعثر على كتاب متكامل يعالج التعليم عند الأيوبيين، بل ركز معظم الباحثين والمؤلفين على اعطاء فكرة سريعة عن المدارس التي نشأت في العهد الأيوبي، أو عن المدارس التي أسست في مدينة دمشق، أو مدينة بيت المقدس.

صدر عن الجامعة الأردنية كتاب (**معاهد العلم في بيت المقدس**) للدكتور كامل العسلي، تحدث فيه عن المعاهد التعليمية منذ الدولة الأيوبية حتى عهد الانتداب البريطاني، وكذلك **كتاب المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي** للدكتور عبدالجليل عبدالمهدي.

وصدر عن مطبعة الارشاد في بغداد رسالة ماجستير للطالب دريد عبد القادر

نوري بعنوان (**سياسة صلاح الدين العسكرية في بلاد الشام ومصر والجزيرة**)، وقد ركز الكتاب على الجانب العسكري.

ونشر الدكتور يوسف غوانمة بحثا عن (**امارة الكرك الأيوبية**) ركز على الجانب العسكري، وأهمية الكرك، وأصدر الدكتور جوزيف نسيم يوسف كتابا بعنوان (**العدوان الصليبي على بلاد الشام**) ركز فيه على الجانب العسكري.

وعالجت كتب أخرى الحروب الصليبية بشكل عام وردت بعضها في المراجع، وعالجت عدة كتب أجنبية الحروب الصليبية بصورة عامة، دون تخصيص أي منها للتربية والتعليم عند الأيوبيين.

منهج البحث :

يقصد به الطريق التي يسلكها الدارس في جمع المعلومات والحقائق المتعلقة بموضوع الدراسة من مصادرها، ثم تحليل هذه المعلومات ومناقشة الأفكار والاراء التي يتعرض لها، لاعادة تركيبها في صورة تحقق أهداف الدراسة.

تتجه هذه الدراسة الى بلورة موضوعاتها بالتعرف على ما تركه المجتمع في الدولة الأيوبية من عقائد ونظم وتقاليد في مجال الفكر والتعليم والأدب، وفي اطار هذا المنهج يمكن تحديد خطوط البحث بما يلي:

- جمع المعلومات من مصادرها، وتصنيفها الى عناصر البحث الرئيسة.
- استخلاص العناصر الرئيسة للتعليم عند الأيوبيين من النصوص التي ترد في المصادر الرئيسية.
- صياغة الأفكار المتعلقة بالبحث بأسلوب مناسب لتعطي الصورة الشاملة عن التعليم أثناء حكم الأيوبيين.

مصادر الدراسة :

احتاجت هذه الرسالة الى العديد من المصادر والمراجع لجمع المادة، وتوضيح جوانبها، وكشف ما غمض منها، ولذلك احتاج كل فصل من الفصول الى مصادر تغاير المصادر التي تلزم الفصول الأخرى، كما احتاجت الى جهد كبير متواصل، ويمكن تصنيف المصادر التي أمدتني بمادة هذه الرسالة الى فئتين هما:

أ - **مصادر رئيسة :**

وهي تمثل مجموعة من المصادر التاريخية والتراجم والرحلات والموسوعات وتشمل :

كتب التاريخ :

وهي تمثل مجموعة من المصادر التاريخية التي تشمل سرد الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية للدولة الأيوبية، والتي لها فضل على هذه الدراسة، اذ أن معظم مؤلفيها تعايشوا مع الأحداث في الدولة الأيوبية، واطلعوا على منجزاتها التعليمية، كما كان قسم منهم في مواقف تؤهلهم الاطلاع على حقيقة الأمور.

انتفعت كثيرا من كتب التاريخ التي دونت تاريخ العالم الاسلامي، فقد أمدتني بعضها بالمعلومات التاريخية عن الدولة الأيوبية، بالاضافة الى ما أفادتني به من تراجم لحياة بعض العلماء والأدباء، وأخص بالذكر المصنفات التالية:

* **ابن الأثير**، عز الدين أبوالحسن علي بن أبي الكريم محمد بن عبدالواحد المتوفى ٦٣٠ / ١٢٣٢ ، **الكامل في التاريخ.**

ويعتبر كتابه ذات قيمة ممتازة، اذ تناول تاريخ الدولة الزنكية والأيوبية كما ألقى ضوءا على ظهور الأيوبيين حتى عام ٦٢٦ / ١٢٢٩ ، وتعرض لعلاقات الأيوبيين مع الصليبيين، ومع الأراتقة والحركة الباطنية، وقد تميزت رواياته بالدقة والتفصيل.

* **ابن شداد**، بهاء الدين يوسف بن شداد ت ٦٣٢ / ١٢٣٤، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية.**

يشمل النوادر السلطانية حياة صلاح الدين، والأحداث التي قامت بعد عام ٥٨٤ هـ، وقد اعتمد ابن شداد في تدوين معلوماته على ما شاهده بنفسه، أو ما أخبره به من الثقة ما يقارب العيان (٢)، ومن هنا تبدو أهمية الكتاب، وبخاصة لما سجله عن الحملة الصليبية الثالثة، ومحاولتها استعادة بيت المقدس، وقد دون ابن شداد ما كان يجري داخل المعسكرات من احتفالات وتقاليد عسكرية.

* أبوشامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم من عثمان المقدسي المتوفي سنة ٦٦٥ / ١٢٦٧، كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية.**

* ابن كثير، عماد الدين أبوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي المتوفي سنة ٧٧٤ / ١٢٧٢، **البداية والنهاية.**

وهو من الكتب الهامة التي تحدثت عن الدولة الأيوبية، وقد سار في كتابه على المألوف من كتب التواريخ، كابن الأثير في ذكر الأخبار حسب السنين واحتلت التراجم فيه حيزا ملحوظا، وقد أخذ كثيرا من الروايات عن أبي شامة (٣)، وابن الأثير وغيرهما، وكان همه جمع كل ما كتب في الموضوع، وكان يحتفظ بكل نس بسلبيت : يعوز أسلوبه التحليل والتعليل في التاريخ، ولكن الكتاب شامل لتاريخ الدولة الأيوبية من الناحية العسكرية، وفيه معلومات متناثرة عن التعليم في تلك الفترة.

* جمال الدين ابوالمحاسن يوسف بن تغري بردى المتوفى سنة ٨٧٤ / ١٤٦٩، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.**

تحدث عن الأيوبيين، وجعل لكل عهد من عهود الملوك والسلاطين فصلا، وشرح عوامل نجاح الأيوبيين وفشل كل منهم، ثم أعقب ذلك بترتيب سنوات عهد السلطان مع الاشارة الى أهم ما وقع فيها من أحداث.

* مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧ / ١٥٢٠، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل.**

* **كتب التراجم**

كانت كتب التراجم التي تشمل تراجم الأدباء والأعيان والشعراء والأطباء عونا لي في مهمتي الشاقة. فقد استقيت منها معلومات مكنتني من اعطاء صورة شبه كاملة عن الحياة الثقافية في العصر الأيوبي، كما أفادتني في عدد من النقاط كالتدريس في المدارس والمساجد، وثقافة المعلمين، والمواضيع التي كانت تدرس، ومن هذه المصنفات:

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله الحموي الرومي ت ٦٢٦ / ١٢٢٩ ، **معجم الأدباء**.
- أبو شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي، ت ٦٦٥ / ١٢٦٧ . **الذيل على الروضتين**.
- موفق الدين أبوالعباس أحمد بن القاسم بن أبي اصيبعة السعدي الخزرجـــي ت ٨٦٦ / ١٢٧٠ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** .
- ابن خلكان، شمس الدين أبوالعباس أحمد بن ابراهيم ت ٦٨١ / **١٢٨٢**، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**.
- السبكي، تاج الدين أبي النصر عبدالوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١ /١٣٦٥، **طبقات الشافعية الكبرى**.

واقتبست معلومات هامة نافعة عن مدارس دمشق ومصر من كتابي :

* النعيمي، عبدالقادر محمد بن عمر بن يوسف ت ٩٢٧ / ١٥٢١ ، **الدارس في تاريخ المدارس**.
* المقريزي، أحمد بن علي ت ٨٤٥ / ١٤٤١ ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط**.

وقدم فيه لمحة عن مساجد ومدارس وزوايا وربط .. مصر، وكان يهدف المؤلف من كتابه هذا الى جمع ما تفرق من أخبار أرض مصر، وأحوال سكانها، وكان يكرر أحيانا الخبر لاستحسانه، إلا أنه دون إجحاف مخل أو اختصار مقل.

وكانت الكتب الجغرافية والرحلات مكملة لكتب التاريخ والتراجم، فقد وجدت مادة غزيرة شملت بعض الملامح عن المدارس والمكتبات، والأوقاف، والحلقات الدراسية، والبيمارستانات وفئات المجتمع الأيوبي عند:

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي ت ٦١٤ / **١٢١٧**، **رحلة ابن جبير** .

وحصلت على مادة توضح تعليم الصبيان القرآن، والعقوبات التي كان ينزلها المدرسون بالتلاميذ، ومراقبة المحتسب للأطباء، والكتب التي يجب أن ينجح

بها الأطباء على اختلاف تخصصاتهم ليتمكنوا من ممارسة أعمالهم من:

- الشيرزي، عبدالرحمن بن عبدالله بن نصر ت ٥٨٩ / ١١٩٤ **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**.

هذا وقد اعتمدت على مصادر أخرى كثيرة، منها المذكرات، والمعاجم والرحلات، وتبدو أهميتها في تطرقها الى بعض اللمحات السياسية والاجتماعية والتعليمية والفكرية، منها :

كتاب **الاعتبار** لأسامة بن منقذ ت ٥٨٤ / ١١٨٩، الذي أشار فيه الى ما شاهده من أخلاق الصليبيين ومعاملتهم المسلمين، وقد تعرض أسامة الى صلاح الدين، فمدحه واعتبره محي لسنة الخلفاء الراشدين، وتبدو أهمية الكتاب لأن المؤلف أرخ لأحداث عاشها، مع أنه يجب الحذر وعدم التسليم المطلق بها، لأنه قد يتحيز لما كتب. واضافة الى المصادر التي ذكرتها، فقد استفدت أيضا من المصادر التي ثبتها في قائمة المصادر في نهاية الرسالة.

ب - الدراسات والكتب الحديثة :

أسهمت الكتب الحديثة بنصيب في انتاج هذه الرسالة، فقد أنارت بعض الكتب لي الطريق، وسهلت لي العمل، فاقتبست منها ما ساعدني في عملي، ومن هذه المصنفات :

- كامل جميل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس** .
- عبدالجليل حسن عبد المهدي، **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي**.
- أحمد أحمد بدوي، **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية**.
- كرد علي، **خطط الشام**
- أحمد شلبي، **تاريخ التربية الاسلامية** .

كما استفدت من الدراسات الأدبية القديمة والحديثة التي يجد القارىء لها ثبتا تفصيليا في نهاية الرسالة.

ج - الكتب الأجنبية :

أخذت عن بعض المؤلفات الأوروبية التي عالجت تاريخ الحروب الصليبية، والعلاقات بين الشرق والغرب في أثناء هذه الحروب، وقد أدرجت هذه المؤلفات المعربة في قائمة المراجع العربية، كما أفردت قائمة للكتب الانكليزية.

الهوامش

(١) جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١ .
(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٧١ .
(٣) إبن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٢٩/١٣ .

تمهيـد

الاطـار التاريخي للأيوبييـن



حالة الشرق الاسلامي في القرن الخامس الهجري

شهد العالم الاسلامي انقسامات خطيرة في القرن الخامس الهجري، فقد كانت الدولة الفاطمية في خريف عمرها، وعجزت عن حماية البلاد من خطر الصليبيين المتزايد، في حين كانت الخلافة العباسية في بغداد تحت حكم السلاجقة، تئن تحت وطأة الصراع بين أبناء وأخوة السلطان ملكشاه الذي توفي عام ٤٨٥ / ١٠٩٢ ، أما بلاد الشام فكانت منقسمة الى دويلات صغيرة متنازعة، أشهرها أتابكية دمشق التي أسسها ظهير الدين طغتكين، وأتابكية الموصل التي أسسها عماد الدين زنكي.

لقد أدى ضعف المسلمين وانقسامهم الى نجاح الصليبيين في احتلال أجزاء من بلاد الشام، واقامة امارات صليبية منها، مملكة بيت المقدس، امارة الرها، امارة أنطاكية، وامارة طرابلس.

أتابكية الموصل :

لم تفتر مقاومة الصليبيين في بلاد الشام، اذ تولى آق سنقر صاحب حلب مقاومتهم، إلا أنه قتل ٤٨٧ / ١٠٩٥ تاركا ابنه عماد الدين في العاشرة.

التحق عماد الدين بخدمة السلطان محمود السلجوقي، فولاه الموصل لكفايته(١) ، فشرع ينشر الأمن، ويوحد بلاد الشام، فاستولى على حلب وحمص وحماة، ثم انتزع الرها، (٢) من الصليبيين ٥٣٩ / ١١٤٤ ، ولكنه اغتيل بعد ذلك بسنتين، فخلفه ابنه نور الدين، حيث تابع رسالة والده في توحيد البلاد، ومقاومة الصليبيين.

ظهور الأيوبيين :

ينتسب الأيوبيون الى أيوب بن شادي بن مروان، وهم من أشراف الأكراد في أذربيجان (٣) وقد اشتهروا في رحاب عماد الدين وابنه نور الدين، اذ كان نجم الدين أيوب والد صلاح الدين حاكما لتكريت، ثم التحق وأخوه أسد الدين في خدمة عماد الدين صاحب الموصل، وساعداه في فتح حلب والرها، وكان أسد الدين شيركوه قائدا لجيش نور الدين الذي استولى على دمشق (٤) سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ .

الأيوبيون في مصر :

فقدت الخلافة الفاطمية هيبتها، وتحكم الوزراء في شؤون الدولة، واستبد شاور بالوزارة، فخرج عليه ضرغام (٥)، فاستنجد شاور بنورالدين محمود، أرسل نور الدين حملة الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ٥٥٩ / ١١٦٤ تمكنت من اعادة شاور الى الوزارة، وكان صلاح الدين قائدا لمقدمة العسكر في هذه الحملة ، تنكر شاور لجيش نور الدين، واستعان بالصليبيين لاخراج الجيش الشامي المسلم، وحسما للخلاف، تم الاتفاق على أن يعود الجيش النوري إلى بلاده (٦)، والصليبيون الى بيت المقدس.

خلا الجو لشاور، واستبد بالوزارة، وضاق به الخليفة الفاطمي العاضد، فاستنجد بنور الدين لكبح جماح وزيره شاور، في حين استعان شاور بعموري الأول ملك بيت المقدس، والتقى المسلمون بالصليبيين في معركة البابين، فهزم الصليبيون عام (٧) ٥٦٢ / ١١٦٧، وتقدم شيركوه الى الاسكندرية فتلقاه أهلها طائعين، وتركها بعد أن وضع فيها حامية قوامها ألف جندي بقيادة صلاح الدين (٨)، أسرع عموري الأول وضيق الخناق على الاسكندرية، الا أن أسد الدين شيركوه سارع لنجدة المدينة، واتفق والملك عموري على تبادل الأسرى، ومغادرة الطرفين مصر عام ٥٦٢ / ١١٦٧ .

اتفق شاور سرا مع عموري الأول على ابقاء قوة من الفرسان الصليبيين لحماية أبواب القاهرة (٩)، فوجد الصليبيون الفرصة سانحة لاحتلال مصر، وتقدموا نحو القاهرة وسرعان ما أحرق شاور الفسطاط (١٠) لاعاقة تقدمهم، فضاق الخليفة الفاطمي بخيانة شاور، واستنجد بنور الدين لاخراج الصليبيين، فأرسلت حملة بقيادة أسد الدين شيركوه وصحبه صلاح الدين للمرة الثالثة، ودخلت القاهرة دون مقاومة، وانسحب عموري الأول وجيشه بخفي حنين ٥٦٤ / ١١٦٩ (١١)، وقتل شاور بعد أن اكتشفت مؤامرته لقتل شيركوه (١٢)، وعين الخليفة العاضد شيركوه وزيرا وقائدا للجيش (١٣)، الا أن المنية أدركته بعد شهرين.

صلاح الدين

ولد صلاح الدين يوسف سنة ٥٣٢ / ١١٣٦ في قلعة تكريت بالعراق، حين كان والده واليا عليها، وتلقى علوم القرآن والحديث وتربى على الفروسية وفنون القتال، وأصبح صاحب شرطة دمشق سنة ٥٦٠ / ١١٦٥ ، فأظهر حسن السياسة، وأحكم الأمور، ثم رافق عمه أسد الدين في حملاته على مصر، وأظهر شجاعة نادرة حينما حوصر في الاسكندرية سنة ٥٦٢ / ١١٦٦ .

اختار الخليفة العاضد صلاح الدين ليخلف عمه في الوزارة، وكان عمره واحدا وثلاثين عاما، وقد ذكر ابن الاثير أن العاضد اختاره بناءا على رأي أصحابه، اذ قالوا ليس في الجماعة اصغر سنا منه،والرأي أن يولى، فانه لا يخرج من حكمنا (١٤).

أحسن صلاح الدين لجميع العسكر المصري والشامي فأطاعوه، ودعمه نورالدين بقوة يقودها شمس الدين توران (أخو صلاح الدين).

تولى صلاح الدين الوزارة وأحوال مصر غير مستقرة، فنظم البلاد، وكسب ود الناس فأحبوه (١٥)، الا أن رئيس البلاط الفاطمي مؤتمن الخليفة تآمر عليه، فبعث صلاح الدين من يقتل مؤتمن الخليفة (١٦) ٥٦٤ / ١١٦٩ بعد أن اكتشفت مكيدته، وقضى على عبيده لثورتهم، كما قضى على حرس الخليفة من الأرمن.

وعندما ازدادت مكانة صلاح الدين، وثبتت أقدامه في مصر، تحين فرصة مرض العاضد، وأمر بقطع الخطبة له (١٧)، وأقيمت شعائر الدعوة العباسية، واتخذت الاجراءات للقضاء على الخلافة الفاطمية في مصر نهائيا، فابتهج نور الدين بعودة الوحدة المذهبية للعالم الاسلامي، وأرسل للخليفة العباسي يبشره بذلك، فزينت بغداد، وظهر من الفرح والجذل مالا حد له (١٨)، وخلع الخليفة على نور الدين بسيفين. حاصر صلاح الدين الشوبك في سنة ٥٦٧ / ١١٧١ ، ولكنه سرعان ما رفع الحصار عنها عندما علم باقتراب نور الدين، وكأنه كان يخشى لقاءه، وفي عام ٥٦٩ / ١١٧٤ استأذن نور الدين في ارسال أخيه توران على رأس حملة عسكرية الى اليمن، للقضاء على الدعاة الفاطميين الذين استفحل أمرهم هناك، وفي تلك السنة أحبط مؤامرة بزعامة عمارة اليمني الشاعر وقتله .

تأسيس الدولة الأيوبية

بدأ ظهور الأيوبيين في حياة الأخوين نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، وتهيأت الفرصة لقيام دولتهم أيام صلاح الدين بن نجم الدين، اثر وفاة نورالدين عام ٥٦٩ / ١١٧٤ تاركا صبيا لا يتجاوز سن الحلم، يدعى الصالح اسماعيل، اتفق أمراء أبيه على تمليكه (١٩)، الا أنهم تنازعوا على السلطة، فاستولى سعد الدين كمشتكين على حلب، ونقل اليها الملك الصالح، وبقي الآخرون في دمشق، أما صلاح الدين فقد أعلن ولاءه للملك الصالح، وأمر باقامة الخطبة له، وضرب السكة بإسمه، وأرسل كتاب تعزية له (٢٠).

اغتنم عموري الأول ملك الفرنجة هذا الانشقاق، وحاصر بانياس، فعقد شمس الدين بن المقدم قائد جيش دمشق هدنة معه، تعهد فيها باطلاق أسرى الصليبيين ودفع الجزية، مقابل ترك بانياس، ثم استدعى أمراء دمشق صلاح الدين لتملكها فلبى الدعوة، ووصل دمشق عام ٥٧٠ / ١١٧٤ (٢١) وأعلن أنه يسعى **لتحقيق دولة اسلامية موحدة لمقاومة الصليبيين** (٢٢).

ناصب أمراء حلب العداء لصلاح الدين، فسار نحو حمص فاحتلها، ثم احتل حماة، واتجه الى حلب فحاصرها (٢٣). استنجد الملك الصالح بصاحب طرابلس / ريموند لفك حصار حلب، فأسرع الأخير نحو حمص لقطع الطريق، فرفع صلاح الدين الحصار عن حلب، وتوجه لنجدة حمص.

تحالف حلب والموصل

اتفق الزنكيون في الموصل وحلب على مقاومة صلاح الدين، وزحفت قواتهما نحو حماة، فهزمهم صلاح الدين في قرون حماة عام ٥٧٠ / ١١٧٥ ، ولاحقهم الى حلب فحاصرها ثانية (٢٤)، ولكنه تصالح والملك الصالح على أن يكون ما بيده له من بلاد الشام، وتبقى أملاك الصالح له (٢٥)، وقطع الخطبة للملك الصالح اسماعيل، وأزال اسمه عن السكة وتلقب بملك مصر والشام (٢٦)، وأقر الخليفة العباسي وضع صلاح الدين الجديد، في هذه الأثناء نجا صلاح الدين من محاولة الباطنية

لاغتياله(٢٧)، ثم تزوج أرملة نور الدين محمود عصمت الدين خاتون حفظا لحرمتها وعصمتها (٢٨)، ويعتقد أنه أراد من ذلك أن يظهر بصورة الوريث لنور الدين.

تبادل المسلمون والصليبيون الغارات، وعقد صلاح الدين وبوردان الرابع، ملك بيت المقدس معاهدة أنهت الغارات المتبادلة عام ٥٧٣ / ١١٧٧ ، أطلق سراح رينو دي شاتيون وتزوج صاحبة الكرك والشوبك، فنقض المعاهدة السابقة، وحاول الزحف على المدينة المنورة عام ٥٧٧ / ١١٨١، كما اعتدى على احدى قوافل المسلمين. احتج صلاح الدين الى بوردان، الا أن الغارات المتبادلة بين الطرفين ازدادت.

* **فتح صلاح الدين حلب :**

توفي الملك الصالح اسماعيل (٢٩) عام ٥٧٧ / ١١٨١ ، فحاصر صلاح الدين حلب واستولى عليها (٣٠) عام ٥٧٩ / ١١٨٣ ، وعندما سئل عن أهمية فتح حلب، قال صلاح الدين، (والله ما سررت بفتح مدينة كسروري بفتح هذه المدينة، والآن ثبت انني أملك البلاد). ثم حاصر صلاح الدين الموصل، وعقد صلحا مع أميرها سنة ٥٨٢ / ١١٨٦ اعترف فيها صاحب الموصل بسلطة صلاح الدين، وتعهد أن يخطب له على منابر الموصل، وأن تضرب النقود باسمه، وأن يشارك في مقارعة الفرنجة.

* **المواجهة بين صلاح الدين والصليبيين :**

توفي بوردان الرابع سنة ٥٨١ / ١١٨٥، وأصبحت سيبل وزوجها ملكي بيت المقدس، وجددا الهدنة مع صلاح الدين، ووافق عليها ارناط، وأخذت قوافل الحجاج تعبر صحراء الأردن بأمان، الا أن أرناط نقض الهدنة، وأغار على قافلة قادمة من مصر الى الشام عام ٥٨٢ / ١١٨٦ ، وقتل قسما من رجالها، وأسر الباقي وعذبهم، فطالب صلاح الدين باطلاق الأسرى، واعادة الأموال، ولكن أرناط رفض (٣١)، كما أبى طلب ملك بيت المقدس باعادة الغنائم وفك الأسرى (٣٢)، فأقسم صلاح الدين أن ينتقم من أرناط، وأن يستبيح مهجته إن ظفر به (٣٣).

أعلن صلاح الدين الجهاد، وطلب الجيوش من مصر ودمشق وحلب والجزيرة، واستحضر العلماء وحثهم على دعوة الناس للجهاد، واقتحم طبرية سنة ٥٨٣ / ١١٨٧ ، وأحرقها (٣٤) ثم حاصر قلعتها، وكانت زوجة ريموند في القلعة، فثارت حمية الصليبيين المتجمعة في صفورية، وزحفوا بسرعة نحو القلعة لحمايتها، فالتقى الخصمان في قرون حطين، ودارت معركة حامية الوطيس، انتهت بانتصار صلاح الدين، واستسلام ملك بيت المقدس، وارناط، ومعظم قادة الصليبيين. أكرم صلاح الدين الملك بوردان والأمراء وأطاح برأس أرناط وفاء لقسمه (٣٥).

أصبحت بلاد الشام بعد معركة حطين تحت رحمة المسلمين، فشرعوا يفتحون المدن الصليبية واحدة تلو الأخرى، تقدم صلاح الدين نحو عكا، فطلب أهلها الأمان، فأمنهم على أموالهم وأنفسهم (٣٦)، ثم استولى على الناصرة وقيسارية وحيفا، وصفورية والعفولة، وقلعة الشقيف، في حين تقدمت فرقة أخرى بقيادة الملك العادل، فاستولت على المجدل ويافا، وتابع المسلمون فتوحاتهم، فاحتلوا تبنين وصرفند وجبيل والرملة وغزة (٣٧) وامتنعت صور على صلاح الدين بعد أن قصدها الصليبيون، فتركها وآثر الانصراف الى غيرها، وهنا أدرك خطأه بالسماح للصليبيين التجمع في هذه المدينة.

فتح بيت المقدس :

اتجه صلاح الدين الى بيت المقدس، وطلب الصليبيون الصلح بعد أن لمسوا استحالة الصمود، فوافقهم على ذلك، ودخل المسلمون بيت المقدس يوم الجمعة ليلة الاسراء (٣٨) سنة ٥٨٣ / ١١٨٧، عامل صلاح الدين الصليبيين معاملة حسنة، وسمح لزوجة أرناط الخروج بأموالها وجواهرها (٣٩) وللملكة بيت المقدس الالتحاق بزوجها (٤٠)، وأعفى المسنين والفقراء والأرامل من دفع الجزية. وفي سنة ٥٨٤ / ١١٨٩ احتل المسلمون صفد كما استسلمت الكرك والشوبك بعد نفاذ الأكل والذخائر عند الصليبيين.

الحملة الصليبية الثالثة :

بلغ أوروبا خبر تحرير المسلمين لبيت المقدس، فاشتدت أصوات الأوروبيين والبابا منادية بطرد المسلمين منها، فاستجاب لهذه الدعوة فردريك بربروسا امبراطور المانيا، وفيليب اغسطس ملك فرنسا، وريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا.

اتجه امبراطور المانيا نحو الشرق بمائة ألف مقاتل، الا أنه غرق في أحد أنهار آسيا الصغرى، وتشتت جيشه عام ٥٨٦ / ١١٩٠ (٤١)، في حين وصلت قوات فليب اغسطس وريتشارد قلب الأسد الى عكا، فحاصروها واضطرت المدينة الى الاستسلام وفق الشروط التالية:

- السماح لحامية عكا بالخروج مقابل مائتي ألف دينار .
- اطلاق (٢٥٠٠) من أسرى الصليبيين.
- اعادة صليب الصلبوت (٤٢).

نقض الصليبيون الاتفاقية، وأسروا من في عكا من المسلمين (٤٣) وقتلوا المسلمين المدافعين عنها (٤٤). عاد ملك فرنسا الى بلاده، بينما استمر ريتشارد في مقارعة المسلمين فاحتل حيفا، ثم قيسارية، ٥٨٧ / ١١٩١، كما هزم المسلمين في ارسوف (٤٥).

صلح الرملة

حاول ريتشارد استرداد بيت المقدس، ولكنها امتنعت عليه ، وأخيرا عقد صلح الرملة (٤٦) سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ مع صلاح الدين، جاء فيه:

- مدة الصلح ثلاث سنوات وثمانية أشهر (٤٧)
- يكون الساحل من صور الى يافا للصليبيين.
- تكون عسقلان للمسلمين (٤٨)
- تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين.
- تبقى بيت المقدس بيد المسلمين على أن يسمح للمسيحيين الحج اليها(٤٩).
- تتم هذه الاتفاقية بعد أن يحلف أمراء وملوك الطرفين بقبولها (٥٠).

ساد السلم بلاد الشام، وعاد ريتشارد الى بلاده سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ ، وذهب

صلاح الدين الى دمشق، وما لبث أن مرض ومات في ٥٨٩ / ١١٩٣، فبكاه العالم الاسلامي. خلّف صلاح الدين سبعة عشر ولدا وبنتا واحدة، ولم يترك في خزائنه سوى سبعة وأربعين درهما ، ولم يخلف دارا، ولا عقارا، وهو الذي استولى على خزينة وأملاك الفاطميين.

الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين

خلفاء صلاح الدين

ما أن توفي صلاح الدين حتى هب أولاده واخوانه يطالبون باقتسام الدولة، فكان ذلك بدء تشتت الوحدة التي أقامها صلاح الدين بكفاحه المستمر طوال سنوات عديدة، وكان ذلك ايذانا بانقسام مملكته بين ورثته:-

- مصر لابنه العزيز عثمان (٥١)
- حلب وشمال سوريا لابنه الظاهر غياث غازي.
- الكرك والشوبك والجزيرة لأخيه الملك العادل سيف الدولة محمد.
- اليمن للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن أيوب أخ السلطان(٥٢).
- حمص والرحبة لأسدالدين شيركوه الصغير (٥٣).
- بصرى وحوران لخضر بن صلاح الدين.

وكان ثمة بعض البلدان والحصون بأيدي جماعة من أمراء الدولة، فقد احتفظ مثلا عز الدين مسعود بالموصل.

ترك صلاح الدين الدولة بأوج عظمتها، وعزها، ولم يمر وقت طويل على وفاته حتى دب الخلاف بين أولاده، فتفككت الدولة الى أن أعاد وحدتها الملك العادل.

انقسام البيت الأيوبي :

تولى زعامة الأيوبيين الملك الأفضل بن صلاح الدين الأكبر، وكان قد عهد اليه بالسلطنة من بعد والده، الا أنه أقبل على اللهو، وتظاهر بلذاته، واحتجب عن

الرعية فسمي (الملك النوام)(٥٤) وأهمل شؤون الدولة، وضج الناس، فاتفق أخوه العزيز عثمان وعمه على عزله، فأخذ العزيز لقب السلطنة، وضم اليه بيت المقدس، وصار الملك العادل حاكما لدمشق ٥٩٢ / ١١٩٦ (٥٥) .

تولي العادل السلطنة

برزت شخصية الملك العادل، وأصبح الحكم بين أولاد أخيه، وكبير الأيوبيين وزعيمهم، وصار لزاما عليه لم شعث المسلمين وتعبئة قواتهم، والتصدي للصليبيين، وكانت قد وصلت حملة الى عكا عام ٥٩٣ / ١١٩٧ بقيادة هنري السادس امبراطور المانيا، وعاثوا فسادا في بلاد الشام وقتلوا عددا من المسلمين (٥٦)، فتصدى لهم العادل في تل العجول قرب غزة، وأوقع بهم خسارة في الأموال والأرواح (٥٧)، وزحف على يافا ودخلها بالسيف (٥٨)، واتفق مع ملك بيت المقدس اموري الثاني على احياء صلح الرملة، فاحتفظ الصليبيون ببيروت وجبيل، بينما بقيت يافا في حكم العادل،في حين قسمت صيدا بين الطرفين .

توفي العزيز عثمان عام ٥٩٥ / ١١٩٨ ، وعاد النزاع بين الأيوبيين، فاستولى الأفضل على مصر، واستبد بها بدلا من ابن العزيز الصغير ، وتعاون مع أخيه الملك الظاهر صاحب حلب لانتزاع دمشق من عمه (٥٩)، الا أن العادل هزم الأفضل، وملك مصر والشام، وأعاد تنظيم الدولة، وفي هذه الأثناء بدأت حملة صليبية تتجه نحو الشرق، ولكنها انحرفت نحو القسطنطينية، وتوقفت المناوشات بين المسلمين والصليبيين اثر عقد صلح بين اموري الثاني والعادل عام٦٠٤/١٢٠٧(٦٠)، تنازل فيه الملك العادل عن الرملة واللد والناصرة ويافا، فكانت سياسة التسامح التي اتبعها لا تتفق وحماس الناس للجهاد.

انتهت الهدنة بين المسلمين والصليبيين سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ فهاجم فرسان الاسبتاريه حمص، والصليبيون مصر، فرد العادل بمهاجمة حصن الأكراد (٦١)، وحصن القليعات ، الا أن حنادي بريان خليفة أموري الثاني وافق على تجديد الهدنة

مع الملك العادل سنة ٦٠٨ / ١٢١١ لمدة ست سنوات.

ازداد الحماس الديني في اوروبا لتخليص بيت المقدس من المسلمين، وشارك الأطفال الأوروبيون في حملات الى الشرق، ولكن معظمهم بيعوا في أسواق الرقيق في بغداد ، كما وصلت جموع من الهنجاريين الى عكا سنة ٦١٣ / ١٢١٧ ، واتجهوا الى قلعة الطور، ولكنهم عادوا الى عكا بعد فشلهم في احتلالها. (٦٢)

غزو مصر

غدت مصر موضع اهتمام الصليبيين، إذ ادركوا أنهم اذا أخذوا مصر فلن تبقى في طريقهم عقبة لاسترداد بيت المقدس، لذلك قاد حنادى بريان الصليبيين الى دمياط، وتمكنوا من الاستيلاء على البرج، وصار موقف الكامل صعبا، لاسيما بعد أن تآمر عليه ابن المشطوب بالتعاون مع بعض قادة جيشه. سارع أخوه المعظم عيسى ودعم موقفه (٦٣)، ومكنه من التخلص من المتآمرين، وفي أثناء ذلك احتل الصليبيون دمياط (٦٤) سنة ٦١٦ / ١٢١٩ وقصدوا القاهرة (٦٥)، الا أن الخلاف دب بينهم، وتفرقت كلمتهم فتضعضع موقفهم، وعقدوا صلحا مع الملك الكامل، وتبادل الطرفان ما لديهما من أسرى ، ثم انسحب الصليبيون من دمياط سنة ١٢٢١/٦١٨ .

الملك الكامل

توفي الملك العادل أثناء العدوان الصليبي على دمياط سنة ٦١٥ / ١٢١٨ (٦٥)، وأظهر ابناؤه الكامل والمعظم والأشرف تضامنا قويا، وتولى الملك الكامل السلطنة، وتقاسموا الدولة، ثم تنازعوا فيما بينهم، وطلب الملك الكامل مساعدة الامبراطور فردريك الثاني ضد أخيه الملك المعظم واعدا اياه بمنحه بيت المقدس اذا لبى طلبه (٦٦)، الا أن المعظم عيسى توفي سنة ٦٢٤ / ١١٢٧ بمرض الأزنطاريا (٦٧)، وخلفه ابنه الملك الناصر داوود (٦٨)، فاتفق الأخوان الكامل والأشرف على اقتسام أملاك أخيهما المعظم، واستولى الأشرف على دمشق، والكامل على نابلس وبيت المقدس (٦٩)، وأعطى الناصر داوود الكرك والشوبك، وعاد الاخاء بين

الأيوبيين، ولم يعد الكامل في حاجة الى مساعدة فردريك الثاني.

تسليم بيت المقدس الى الصليبيين :

اتجه فردريك الثاني الى عكا، واتصل بعد وصوله بالملك الكامل سنة ١٢٢٨/٦٢٥، وقد أصيب بخيبة أمل شديدة عندما علم أن الموقف تبدل بوفاة المعظم، واستعطف فردريك الملك الكامل، وتعهد بمساعدته ضد أعدائه الأيوبيين، وتم صلح يافا سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ (٧٠)، وجاء فيه ما يلي:

- يستمر الصلح لمدة عشر سنوات وخمسة أشهر (٧١)
- يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم وصيدا.
- تبقى بيت المقدس منزوعة السلاح، وأسوارها خربة دون ترميم (٧٢).
- يبقى الحرم القدسي بما حواه من الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين، وتقام فيه الشعائر الاسلامية (٧٣).

حقق فردريك الثاني ما عجز ريتشارد قلب الأسد عن تحقيقه رغم ضعف امكانياته، ولم يلبث أن سلم الكامل بيت المقدس للفرنجة، ودخلها الامبراطور فردريك الثاني سنة ٦٢٧ / ١٢٢٩ (٧٤)، وتوج نفسه في كنيسة القيامة، اذ رفض رجال الدين تتويجه، لأن البابا لم يبارك اتفاقه مع الملك الكامل، بل أصدر ضده قرار الحرمان، وضد مدينة بيت المقدس ما دام فيها (٧٥)، عاد فردريك الثاني الى عكا، ومنها غادر الى بلاده، وبعد أن اعتذر للأمير فخر الدين رسول الملك الكامل لما سببته الاتفاقية من حرج له، وقال (لولا أخاف انكسار جاهي ما كلفت السلطان شيئا من ذلك) .

تشرد سكان بيت المقدس المسلمين، اذ توجه بعضهم الى دمشق، وبعضهم الى مصر، في حين اتجه الاخر الى الكرك (٧٦)، سخط المسلمون على الملك الكامل، واتهموه بالخيانة ، كما استعظموا عليه تسليم الأراضي المقدسة دون قتال، إذ وجدوا في ذلك من الوهن مالا يمكن وصفه (٧٧)، ونعته الخطباء والأئمة من على المنابر بالمنبوذ (٧٨).

استغل فرسان الاسبتارية هذه الظروف، وأغاروا على منطقة بعرين ونهبوا

وأسروا، فبدأت المناوشات بين المسلمين والصليبيين، وفي تلك الأثناء هاجم الخوارزمية بلاد الشام، وأسرفوا في القتل والنهب ، وفي عام ٦٣٥ / ١٢٣٧ توفي الملك الأشرف، ثم تبعه الملك الكامل في نفس السنة.

الملك الصالح أيوب

الصراع بين الأيوبيين

جاءت وفاة الكامل نذيرا بتفكك الدولة الأيوبية (٧٩)، حتى اتسمت هذه الفترة بالتنازع والتنابذ، يهاجم بعضهم بعضا، وينتزع الواحد ملك أخيه، وصدق قول القاضي الفاضل فيهم، ((أما هذا البيت فان الآباء اتفقوا فملكوا، وإن الأبناء اختلفوا فهلكوا)) (٨٠).

استولى الملك الصالح أيوب بن الكامل على دمشق سنة ٦٣٦ /١٢٣٨ ، واتجه الى مصر لانتزاعها من أخيه العادل الثاني، فاعتقله الناصر داود، وسجنه في الكرك، فسادت بلاد الشام الفوضى، وتعرضت لغزو الخوارزمية، (٨١)، وتهديد المغول والصليبيين.

اغتنم الملك ثيبو دي شمبانيا الرابع ملك النافار في فرنسا ضعف المسلمين وأبحر صوب عكا سنة ٦٣٧ / ١٢٣٩ ، ثم اتجه منها الى القدس، فبادر الناصر داود بالاستيلاء عليها وهدم أسوارها، وتحصيناتها التي شيدها الصليبيون خلافا لاتفاقية الصلح مع الملك الكامل ، ازاء ذلك اندفع الصليبيون نحو غزة لاحتلال مصر، فتصدى لهم العادل الثاني ملك مصر. وأنزل بهم خسارة كبيرة. عاد ثيبو الى عكا يترقب أوضاع الأيوبيين عله يستفيد من خلافاتهم في المستقبل.

تولي الصالح أيوب ملك مصر :

لم يحسن الأيوبيون استغلال انتصارهم في غزة، بل اشتد صراعهم، فثار جند مصر على الملك العادل الثاني، لانشغاله باللهو عن مصالح العباد، وقبضوا عليه وزجوه في السجن، واستدعوا أخيه الملك الصالح أيوب لتملك مصر سنة ٦٣٧ / ١٢٤٠، بعد أن أطلقه الناصر داود (٨٢)، استاء الملك الصالح اسماعيل لذلك، واتفق مع ثيبو الرابع على الوقوف ضد مصر ، على أن يتنازل للصليبيين عن الأراضي

الواقعة غرب نهر الليطاني حتى صيدا، وطبرية، وصفد ، وقلعة شقيف، مع الوعد باعادة مملكة بيت المقدس لهم ما عدا المنطقة الواقعة شرق نهر الأردن ، هال الجنود خيانة ملكهم، ورفضوا تسليم قلعة الشقيف الا أنهم أجبروا على ذلك.

تسليم الحرم القدسي :

شكل الملك الصالح اسماعيل حلفا ثلاثيا منه ومن ملك الأردن الناصر داوود، والملك المنصور صاحب حمص وعرض على الصليبيين منحهم الحرم القدسي بما فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة (٨٣) اذا دعموا الملوك الثلاثة ضد الصالح أيوب، وبالفعل سلم الملك الناصر داوود الأماكن المقدسة الاسلامية بالقدس للصليبيين الداوية سنة ٦٤١ / ١٢٤٣ ، كما اتفق الصالح اسماعيل مع فرسان الداوية (٨٤) على منحهم جزء من مصر بعد الاستيلاء عليها.

استرداد بيت المقدس :

استنجد الصالح أيوب بالخوارزمية لمواجهة التحالف الأيوبي والصليبي، وسرعان ما اقتحموا طبرية، ونابلس، ثم استولوا على بيت المقدس سنة ١٢٤٤/٦٤٢(٨٥)، تقدمت القوات الصليبية تدعمها قوات التحالف الثلاثي الأيوبي نحو غزة، والتقت مع قوات الصالح أيوب المدعومة من الخوارزمية، ودارت معركة طاحنة هزم فيها الصليبيون، وهرب قادة التحالف الأيوبي، فاستولى جيش مصر على غزة والساحل، وأرسل الأسرى الى مصر (٨٦)، ودقت بشائر النصر بالقاهرة عدة أيام (٨٧)، وتابع المصريون تقدمهم، فاستولوا على دمشق سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ (٨٨)، وطبرية، والأغوار. حاول الخوارزمية الخروج على الملك الصالح أيوب، فقضى عليهم، وشتت شملهم، وبذلك أعاد وحدة الدولة الأيوبية في مصر والشام، بعد أن وفد اليه ملوك البيت الأيوبي في حماة وحمص لتقديم فروض الولاء والطاعة.

حملة لويس التاسع على مصر :

دعا البابا أنوسنت الرابع الى حملة جديدة بعد انتصار الملك الصالح أيوب، واستيلاء المسلمين على بيت المقدس ٦٤٢ / ٢٢٤٤ ، فاستجاب ملك فرنسا لويس التاسع ، وأعد حملة مزودة بكل ما تحتاجه من عتاد وأسلحة ومؤن ومهندسين وأطباء

ومقاتلين، وأقلع الأسطول الى مصر، فوصل دمياط سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩، وقدر جيشه بحوالي (٥٠) ألف مقاتلا (٨٩)، فواجهه جيش المسلمين بقيادة فخر الدين، ولكنه أخفق في صد المعتدين، وانسحب نحو الجنوب (٩٠)، وترك حماية دمياط لعرب كنانة ولسكانها. استولى الصليبيون على دمياط بلا قتال (٩١) وعلى ما فيها من خيرات (٩٢)، وقد اتهم ابن واصل انسحاب فخر الدين بقوله (٩٣) ((كان هذا فعلا قبيحا، ولو منع فخر الدين يوسف العسكر من الهرب، وأقام لامتنعت دمياط، ولكن أهل دمياط خافوا أن يستمر عليهم الحصار طويلا، فيهلكوا جوعا، كما هلك أهل دمياط في المرة الأولى)).

أرسل لويس التاسع كتابا الى الملك الصالح يدعوه الى الاستسلام، وجاء فيه (نحن نسوق المسلمين كسوق البقر، ونقتل منهم الرجال، ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ولو حلفت بكل الايمان ما ردني أي شيء من الوصول اليك)(٩٤)، ثارت حمية الملك الصالح أيوب، وجمع العدد، واتخذ المنصورة مقرا لأعماله العسكرية، وأجاب لويس التاسع، (وصل كتابك وفهمنا خطابك، وها قد أتيتك بالخيول والرجال..) (٩٥) وزحف بجيشه مسرعا، الا أن الموت عاجله سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩ .

توران شاه

أخفت شجرة الدر وفاة زوجها الملك الصالح أيوب (٩٦)، حتى لا يتطرق اليأس والوهن الى نفوس المسلمين، وأخذت تصدر الأوامر مذيلة بتوقيع السلطان صالح أيوب، لتؤكد أنه ما زال على قيد الحياة، واستدعت ابنه توران شاه لتولي السلطة، ويدعى له على المنابر بعد الدعاء لأبيه.

علم الصليبيون بوفاة الملك الصالح أيوب، فاغتنموا الفرصة واقتحموا مدينة المنصورة، فثبت المسلمون، وتمكنوا من طرد الصليبيين، وأسروا وقتلوا معظمهم، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين، ولما وصل توران شاه ارتفعت معنويات المسلمين (٩٧)، واشتد الضغط على الصليبيين، وحاولوا الانسحاب الى دمياط،

فباغتهم المسلمون في فارسكور، فاستسلموا، وأسر لويس التاسع، ونقل الى المنصورة حيث سجن في دار لقمان ، وقد أكرمه توران شاه وعامله بالحسنى.

منذ أن تسلم توران شاه الحكم لاحظ نفوذ المماليك، فسولت له نفسه ابعادهم، والتخلص منهم، خشية استيلائهم على الحكم، كما حاول التقليل من شأن شجرة الدر زوج أبيه، فأوغر صدرها عليه، واتصلت بالمماليك، وزينت لهم قتل توران شاه قبل أن يفتك بهم.

تولي شجرة الدر :

هاجم المماليك توران شاه، فانهزم الى أعلى البرج، فأوقدوا النار في البرج (٩٨) ورموه بالنشاب، فرمى بنفسه في النهر، وهو يصرخ (٩٩)، (ما أريد ملكا، دعوني أرجع الى حصن كيفا، يا مسلمين ما فيكم من يجيرني)، وهكذا قتل توران شاه سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ بعد حكم دام شهرين (١٠٠).

تولت الحكم شجرة الدر، وأعادت المفاوضات مع الصليبيين، وتم الاتفاق على أن :

- يدفع لويس التاسع أربعمائة ألف دينار ملكي فدية عن نفسه.
- ينسحب الصليبيون من دمياط.

أطلق سراح لويس التاسع بعد أن دفع الفدية، وانسحب الصليبيون، وعاد لويس الى بلاده.

زوال الدولة الأيوبية :

لم يطل حكم شجرة الدر، اذ تزوجت أحد المماليك "عزالدين أيبك"، ولكنها قتلته (١٠١)، وقتلت بعد ذلك، فتولى المماليك السلطة في مصر، أما في بلاد الشام فقد استقل الأمراء الأيوبيون، وسارع الملك الناصر يوسف حاكم حلب بضم دمشق الى ملكه، كما أن الملك الكامل محمد بن المظفر بن العادل استقل بديار بكر.

لم يرض ملوك الشام على الأيوبيين عند تولية عز الدين ايبك، وهو أحد مماليك أسرتهم، لذلك جهز الناصر يوسف صاحب الشام جيشا يدعمه ملوك الشام، وقصد مصر، ولكن المماليك تصدوا له قرب الصالحية وأبادوا معظم جيشه، فولى

هاربا الى دمشق (١٠٢)، ولم يطل حكم ملوك الأيوبيين في بلاد الشام بعد ذلك، اذ انتهى بمجيء المغول.

أقر السلطان قطز ملوك بني أيوب في حكم بلاد الشام، مثل الأشرف موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة، الا أنهم أصبحوا تابعين للمماليك في مصر، (١٠٣) ولم يبق من ملوك الأيوبيين بالشام من ظل خارجا عن نفوذ المماليك سوى الملك المغيث عمر صاحب الكرك والشوبك، ولكنه استسلم للظاهر بيبرس سنة ٦٦١ / ١٢٦٣ .

وهكذا أفل نجم الدولة الأيوبية بعد أن استمرت حوالي ثمانين عاما (٥٦٩٠ / ١١٧٤ الى ٦٤٨ / ١٢٥٠) ، وقد نجحت باقامة دولة إسلامية في مصر والشام، وتحرير بيت المقدس، لكن الدولة ضعفت بعد صلاح الدين، وتنازع الأيوبيون، فذهب ريحهم، وأضاعوا وحدة بلادهم فخلفهم مواليهم من المماليك، فأنقذوا البلاد، وأوصلوها الى شاطيء الأمان بعد طرد الصليبيين ودحر المغول.

هوامش التمهيد

١ - ابن الموصل ، مفرج الكروب ، ١٢/١
٢ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٢٣/١١
٣ - ابو شامة ، الروضتين ، ١٢٩/١
٤ - ابن الاثير ، مصدر سابق ، ١٢٧/١١
٥ - ابن تغرى بردى ، النجوم الاهرة ، ٣٤٦/٥
٦ - ابو شامة ، الروضتين ، ١٣٢/١
٧ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٥٠/١
٨ - ابو شامة ، مصدر سابق ، ١٤٣/١
٩ - ابن الاثير ، الكامل ، ٣٢٧/١١
١٠ - ابن تغرى بردى ،النجوم الزاهرة ، ٣٥٠/٥ ،ابن الموصل ، مفرج الكروب ، ١٥٧/١
١١ - ابو شامة ، مصدر سابق ، ١٥٧/١
١٢ - ابن الاثير ، البداية والنهاية ، ٢٧٤/١٢
١٣ - ابن واصل ، مصدر سابق ، ١٦٢/١
١٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ٣٤٣/١١
١٥ - ابن عبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ٢١٣
١٦ - ابو شامة ، مصدر سابق ، ١٧٨/١
١٧ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٣٥٥/٥
١٨ - المقريزي ، السلوك ، ٤٥/١
١٩ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٤/٦
٢٠ - ابن الاثير ، الكامل ، ٤١٥/١١ ، ابو شامة ، الروضتين ، ٢٤٦/١
٢١ - المقريزي ، السلوك ، ٥٨/١
٢٢ - ابو شامة ، الروضتين ، ٢٥٤/١
٢٣ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٠٩/١٢
٢٤ - ابو الفداء ، المختصر ، ٧٧/٥١
٢٥ - المقريزي ، السلوك ، ٥٩/١ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨٤
٢٦ - سعيد عاشور ، مصر والشام في عهد الايوبيين والمماليك ، ٣٦

٢٧ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٦/٧٧
٢٨ – ابو شامة ، الروضتين ، ١/٢٦٢
٢٩ – ابن تغرى بردى ، مصدر سابق ، ٦/٨٩
٣٠ – ابن شداد النوادر السلطانية ،٩٨ ابن واصل ، مفرج الكروب ٢/١٤٢
٣١ – ابو شامة ، مصدر سابق ، ٢/٥٣
٣٢ – المقريزي ، السلوك ، ١/٩٢
٣٣ – ابن واصل ، مصدر سابق ، ١/١٨٥
٣٤ – ابن الاثير ، الكامل ،١١/٥٣١
٣٥ – ابو شامة ، مصدر سابق ، ٢/٧٦
٣٦ – مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١/٣٢٢
٣٧ – المقريزي ، السلوك ، ١/١٥٩
٣٨ – ابوشامة ، الروضتين ، ٢/٩٢
٣٩ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢/٢١٦
٤٠ – ابو شامة ، مصدر سابق ، ٢/٩٦
٤١ – ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/٤٩
٤٢ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢/٣٥٩
٤٣ – المقريزي ، السلوك ، ١/١٠٥
٤٤ – مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١/٣٨٧
٤٥ – ابن واصل ، مصدر سابق ، ٢/٣٦٦
٤٦ – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٣٦٣
٤٧ – ابن الاثير ، مصدر سابق ١٢/٨٥ مجير الدين الحنبلي مصدر سابق ١/٣٧٨
٤٨ – ابن واصل ، مصدر سابق ، ٢/٤٠٣
٤٩ – الاصفهاني ، الفتح القسي ، ٣٤٢
٥٠ – ابو شامة ، الروضتين ، ٢/٢٠٣
٥١ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٦/١٠٣
٥٢ – ابو شامة ، الروضتين ، ٢/٢٦٦
٥٣ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٢/٣٧٢
٥٤ – ابن تغرى بردى ، مصدر سابق ، ٦/١٢٢
٥٥ – ابن الاثير ، الكامل ، ١٢، ١٢١
٥٦ – المقريزي ، السلوك ، ٢/١٤٠

٥٧ – ابو شامة ، الروضتين ، ٢٣٣/٢
٥٨ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٧٥/٣
٥٩ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ١٤٧/٦
٦٠ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٤/٢٣
٦١ – المقريزي ، مصدر سابق ، ١٦٦/١
٦٢ – سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ٩١٦/٢
٦٣ – المقريزي ، مصدر سابق ، ١٩٦/١
٦٤ – ابن الاثير ، مصدر سابق ، ٣٢٧/١٢
٦٥ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٣١/٦
٦٦ – سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، ٧٥
٦٧ – ابو الفداء ، المختصر ،ابن تغرى بردى ، مصدر سابق ٢١٧/٦
٦٨ – المقريزي ، مصدر سابق ، ٢٢١/١
٦٩ – ابو الفداء مصدر سابق ٣٨/٢
٧٠ – فليب حتى ، تاريخ العرب ، ٧٧٥
٧١ – الباز العريني ، الشرق الادنى في العصور الوسطى ، ١٢٦ .
٧٢ – فيليب حتى ، مرجع سابق ، ٧٧٦
٧٣ – المقريزي ، السلوك ، ٢٣١/١
٧٤ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٧٢/٦
٧٥ – كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ، ٣٦٢
٧٦ – أبو شامة، الروضتين ، ٢٣٦/٢ .
٧٧ – إبن الأثير ، الكامل ٤٨٣/١٢ ، مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ٤٠٦/١ .
٧٨ – أبو الفداء ، المختصر ، ٤٠/٦ .
٧٩ – المقريزي ، السلوك ، ٢٥٦/١
٨٠ – أبو شامة ، الروضتين ، ٢٣٢/١ .
٨١ – إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٣١١/٦
٨٢ – إبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ /١٦٧ .
٨٣ – المقريزي ، السلوك ، ٣١٥/١ .
٨٤ – إبن كثير ، البداية والنهايه ، ١٧٦/١٣ .
٨٥ – إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٢٣/٦ .
٨٦ – أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ٧٤ .

٨٧ – أبو الفداء ، المختصر ، ٧٥/٦ .
٨٨ – مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ٧/٢ .
٨٩ – أبو الفداء ، مصدر سابق ، ٣٣٧/١ .
٩٠ – المقريزي ، السلوك ، ٣٣٥/١ .
٩١ – إبن عبري ، تاريخ الدول ، ص ٢٥٨
٩٢ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٦٣/٦
٩٣ – ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣٦٣/٢ .
٩٤ – المقريزي ، مصدر سابق ٣٣٤/١
٩٥ – نفس المصدر السابق ، ٣٣٧/١
٩٦ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٨٩/١٣ ، ابن تغري بردي ، مصدر سابق ، ٣٦٤/٦
٩٧ – ابن تغري بردي ، مصدر سابق ، ٣٦٦/٦
٩٨ – ابن عبري ، تاريخ مختصر الدول ، ٢٦٠ .
٩٩ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٧١/٦ .
١٠٠– ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٧١/١٣
١٠١– المقريزي ، الخطط ، ٩٣/٣ .
١٠٢– جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام، ١٦٦ .
١٠٣– المقريزي : السلوك ، ٣٣٢/١ .

الفصل الأول

التعليم في المجتمع الأيوبي

١ – بنية المجتمع الأيوبي .

٢ – العلاقة بين التربية والحياة في المجتمع .

٣ – نظام التعليم عند الأيوبيين .

٤ – أهداف التعليم عند الأيوبيين .

* نشر المذهب السني
* دعم الجهاد
* تعميق العقيدة الاسلامية
* تشجيع الصوفية
* نشر العلم والمعرفة



التعليم في المجتمع الأيوبي

لا نستطيع أن نقترب من فهم سليم للتربية والتعليم عند الأيوبيين دون أن نسلم بظروف الحياة الاجتماعية التي عاشها السكان، وذلك للعلاقة القائمة بين الانسان وبيئته، وتأثير كل منهما في الآخر، اذ أن النظم والتقاليد والعادات والقيم والمعتقدات تؤثر في الانسان، وتوجه نظمه المختلفة، ولا سيما النظام التعليمي.

سأتعرض في هذا الفصل الى بنية المجتمع الأيوبي، والعلاقة بين التربية والحياة في المجتمع، ونظام التعليم عند الدولة الأيوبية، وأهداف التربية والتعليم لديها.

١ - بنية المجتمع الأيوبي

يعتبر المجتمع الأيوبي امتدادا للمجتمع الاسلامي في الدولة العباسية، اذ أن الدولة الأيوبية كانت جزءا من الدولة الاسلامية التي كان يرأسها اسميا الخليفة العباسي، وقد حكم الأيوبيون الأكراد بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن ردحا من الزمن، وتوزعت أقاليم هذه البلاد بين أبناء جلدتهم وغيرهم من التركمان، كان الأيوبيون يتكلمون الفارسية مشوبة بألفاظ عربية بالاضافة الى العربية (١).

اتسمت الحياة الاجتماعية بطابع الجدية ومناهضة الصليبيين، وكانت بعيدة عن مظاهر البذخ المفرط والأبهة، ذلك أن الدولة الأيوبية ولدت في وقت كان الصليبيون أشد ما يكونون قوة وعنفا، ولذلك غلبت فكرة الحرب وتحصين الثغور على معظم السلاطين، فكان المال مستخلفا في حراسة القوافل، واعداد الجيوش، وتحصين الثغور، وبناء الأساطيل الحربية، مما لم يترك مجالا للتوسع في حياة الترف، ولا يعني ذلك أن الحياة الاجتماعية أصبحت خشنة كل الخشونة، اذ أن الأيوبيين حافظوا على احياء الأعياد الدينية دون اسراف أو تهتك.

لقد كان للدولة الأيوبية مؤسساتها المختلفة التي تدير شؤون المجتمع، منها، الشرطة، والقضاء، والحسبة، وغير ذلك من المؤسسات التي كان هدفها حماية أمن المجتمع واستقراره (٢).

فئات المجتمع :

يعتبر النظام الطبقي السائد في عهد الدولة الأيوبية استمرارا للعصور التاريخية السابقة، وقد قسم المجتمع الى عدة طوائف، وهي:

١- **الطبقة الحاكمة :**

حكم الزنكيون البلاد بعد أن أسس الصليبيون أربع امارات لهم، واعتمدوا على أبناء جلدتهم من الأتراك، لأن قنطاريات الفرنج ليس لها الا سهام الأتراك، وأن الافرنج لا يخافون الا منهم (٣)، وعندما حكم الأيوبيون اعتمدوا على الأتراك والأكراد وبخاصة أصحاب الاقطاعات (٤)، وقد كثر تواجد الأكراد في أنحاء بلاد الشام المختلفة، وتعتبر عائلة جنبلاط الشهيرة من أعقاب الأكراد الذين نزلوا سوريا(٥)، وكان الأكراد يشكلون الطبقة الارستقراطية في البلاد.

٢- **هيئة العلماء :**

وهم رجال الدين، وقد لقبهم المؤرخون أهل العمامة (٦)، ويشكلون الفئة التي تفقه أمور الدين، وأحكامه، وقد نالت حظا وافرا من الثقافة، وكسبت حب واحترام معظم السلاطين والطبقات المختلفة، وقد أعفوا من الضرائب، وهم فئتان.

- **الفئة الأولى** : وليت الوظائف العامة، مثل كتابة التوقيع، وتولي ديوان الانشاء، والاشراف على الدواوين السلطانية وغيرها.
- **الفئة الثانية** : عكفت على عبادتها وديانتها، وشكلت وظائف التدريس والقضاء والخطابة.

كان العلماء ولا سيما القضاة يلبسون السواد الذي يرمز الى شعار المذهب السني، ويضعون على رؤوسهم عمامة، يترك فيها طرف طويل متدل (عذبه)، وقد عزف بعض العلماء عن تولي القضاء، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، (قاض في الجنة وقاضيان في النار).

ندد رجال الدين بالباطل، اذ عزف عزالدين بن عبدالسلام عن الخطابة والدعاء على منبر جامع دمشق للملك الصالح اسماعيل لتحالفه مع الصليبيين، والسماح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح منها، وتسليمه صيدا والشقيف لهم عام

٦٣٨ / ١٢٤١ (٧)، كما اختلف مع الملك الصالح ايوب ملك مصر لوجود حانة فيها للخمور (٨)، وعندما عزل الملك العادل قاضيه ابن الزكي استدعي عبدالرحمن بن الحسن بن عساكر ت ٦٢٠ / ٢٢٣ لتولي القضاء، ولكنه امتنع عن ذلك، وبعد وفاة العادل أنكر على الملك المعظم اعادة الخمور، كما امتنع فخر الدين بن عساكر عن القضاء، لأن الملك المعظم أظهر الخمور (٩)، هذا ولم تكن العلاقة طيبة بين صلاح الدين والقاضي كمال الدين الشهرزوري، لأن الأخير كان يتوخى الأحكام الشرعية (١٠). وأنكر شمس الدين بن الجوزي على الملك الكامل تسليم بيت المقدس للصليبيين سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ (١١).

وهكذا كان معظم رجال الدين يعلنون كلمة الحق أمام الملوك والسلاطين دون خوف في خطبهم، ودروسهم ومواعظهم، كما كانوا يدافعون عن مصالح الشعب وحقوقه، وكان السلاطين يكاتبون رجال الدين المخلصين طالبين منهم حث المسلمين على القتال (١٢)، بل كان صلاح الدين يتبرك بهم، ويستشيرهم قبل القيام بالعمليات الحربية (١٣).

٣- **طوائف الشعب** :

يشكل العرب معظم أفراد هذه الطوائف، وتشمل الفلاحين والتجار والصناع، وسائر العوام، وكانت هذه الطوائف تعامل معاملة واحدة الى حد كبير، اذ كان ينظر الى أي فرد منها نظرة احتقار من الطبقة الحاكمة (١٤).

يشكل الفلاحون السواد الأعظم من الشعب، ويبدو أنهم كانوا في وضع سيء، اذ كان نظام الاقطاع سائدا في البلاد، ذلك أن الحكام كانوا يجدون أنفسهم في حاجة الى محاربين وفرسان مزودين بالسلاح والخيول، وهذا يتطلب نفقات كبيرة، فعمد الأيوبيون الى توزيع الأراضي على الأمراء، والأجناد مقابل ما يؤدونه من خدمة عسكرية (١٥)، وقد أدى هذا النظام الى سوء حال الفلاحين، اذ أصبحوا أشبه بعبيد الأرض، وتحت رحمة طبقة الاقطاعيين. وقد تحدث المقريزي عن الفلاحين، (يسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا، فيصير عبدا لمن اقتطع تلك الناحية، الا أنه لا يرجو قط أن يباع، ولا أن يعتق، بل قن ما بقي، ومن ولد له

كذلك (١٦)، وأكد ابن منقذ حقارة الفلاحة في هذا العهد، فذكر أن والدته فضلت قتل أخته الكبرى حتى لا تراها مع الفلاحين (١٧).

ساد نظام الاقطاع في الدولة الأيوبية، فقد أعاد صلاح الدين توزيع الاقطاع في مصر عام ٥٧٧ / ١١٨١ (١٨)، وحرص الملك العادل أن يكون أولاده أصحاب الاقطاعات الكبرى (١٩)، وأقطع الملك الصالح أيوب أهل بيته، والمماليك الأتراك الذين ساندوه اقطاعات وافرة (٢٠).

وضعت الدولة الأيوبية النظم التي تحمي الفلاحين من عسف السادة الاقطاعيين، فكان التوقيع الخاص بالاقطاع يأمر بضرورة الأمر بالمعروف، واتباع العدل، والمحافظة على الاقطاع وعمارته، وعدم أخذ الرشوة من الناس (٢١).

اهتمت الدولة بشؤون الزراعة، فقام الأمير قراقوش بعمارة القناطر والجسور(٢٢)، كما أن القيود التي وضعت على الاقطاعيين حدت من نفوذهم، وحددت الايجارات التي يدفعها الفلاح (٢٣)، الا أن أحوال القحط كانت تداهم الفلاحين أحيانا، ففي أثناء حكم الملك العادل عام ٥٩٧ / ١٢٠١ هبطت مياه النيل وارتفعت الأسعار، وقل الغذاء، وهرب الناس الى المغرب واليمن والشام (٢٤).

وكان أرباب الصناعات أحسن حالا من غيرها، وكانوا يؤلفون فيما بينهم نقابات خاصة، تضم العاملين، وكان لهم شيخهم الذي يدافع عن مصالحهم لدى الطبقة الحاكمة (٢٥)، كما كان مسؤولا عن التأكد من أن الصناعات جيدة لا غش فيها.

أما التجار فقد أطلق عليهم ابن منقذ البرجاسية Bourgeoisie وهي كلمة فرنسية عرفها العرب عن طريق الحروب الصليبية، فقال هذا رجل برجاسي لا يقاتل ولا يحضر القتال (٢٦). قرب السلاطين هذه الطبقة الغنية لتمدهم بالمال حين الحاجة، فكان التجار يتولون اقراض الدولة أحيانا للجهاد، وحدث أن استدان صلاح الدين منهم لدرء هجوم الفرنجة عن البلاد (٢٧)، وكان التجار يعاملون كسائر أبناء الشعب، فكانوا يدفعون الضرائب، وكان بعض السلاطين يعمدون أحيانا الى مصادرة أموالهم في ساعات المحن، كما كانت التجارة تنشط بين المسلمين والصليبيين، بكل ثقة وأمانة في الفترات التي يتوقف فيها القتال بين أصحاب البلاد

والفرنجة (٢٨).

٤- الأعراب :

كانوا ينتشرون في البادية، يبحثون عن المرعى، ويتنقلون على أطراف بادية الشام، وصحراء سيناء، والصحراء العربية، وعندما تنحبس الأمطار وتجف الأراضي كانوا يتسلطون على قطع الطرق وسفك الدماء(٢٩)، ويعتدون على المزارع، ويغزون بعضهم البعض، ويهددون الحواضر في بعض الأحيان.

ساهم الأعراب في القتال ضد الصليبيين والتتار، فكانوا يغيرون ليلا على الصليبيين، ويساعدون في كشف الطرق والوديان، ويذكر أنهم زودوا صلاح الدين بامدادات عسكرية استخدمها بنجاح عام ٥٧٤ / ١١٧٩ ، كما قام في تلك السنة رجال القبائل بحصد محصولات الصليبيين في صيدا وبيروت في الوقت الذي أقام الجيش الأيوبي في بانياس، الى أن عادوا بما حصدوا بالاضافة إلى الغنائم (٣٠). وقدم الأعراب الخيالة والعساكر للاغارة على ريكاردوس وهو في طريقه الى القدس، وتطوع العربان بالألوف أيام الملك الكامل ليحولوا دون سقوط دمياط بيد الفرنج عام ٦١٥ / ١٢١٨ (٣١).

لم يكن العربان مخلصين باستمرار للمسلمين كل الاخلاص، فكانوا يخرجون أحيانا على النظام، اذ ساعد قسم منهم أرناط لغزو مكة والمدينة (٣٢)، كما كان بعضهم يقوم بتهريب القمح الى الفرنج (٣٣) سنة ٥٧٧ / ١١٨١ ، ولذلك أمر صلاح الدين بمصادرة أراضيهم في المنطقة الشرقية بمصر، وألزمهم بالانتقال الى البحيرة.

وجرد صلاح الدين حملته على الكرك عام ٥٧٨ / ١١٧٥ لاخراج البدو من المنطقة، والحيلولة دون مساعدتهم الافرنج، والعمل كادلاء لهم (٣٤)، وكان بدو سيناء يستغلون انهزام المسلمين للاغارة على القرى ونهبها، فكانوا أشد على المسلمين من الصليبيين عام ٦١٤ / ١٢١٧ اثر نزول الصليبيين بالدلتا (٣٥)، كما أن عرب الكنانة تركوا دمياط وهربوا، تاركين أبواب المدينة مفتوحة للصليبيين أيام الملك الصالح أيوب (٣٦).

اشتهرت بعض القبائل في تلك الفترة، ومنها آل فضل، وهم ينسبون الى قبيلة طيء، وكانوا يتنقلون بين الشام والعراق على جانبي الفرات، وكان شيخهم عيسى بن ربيعة يرافق الملك العادل بمجموعة من المقاتلين، واستمر في ولائه للأيوبيين (٣٧)، وكان آل مرة يعيشون في حوران، ويتنقلون على أطراف البادية (٣٨)، وهناك آل علي في المرج والغوطة، وآل عقبة في البلقاء وحسبان في الأردن، أما بنو كنانة فكانوا في الدلتا وسيناء.

٥- أهل الذمة :

وهم من أهل الكتاب المعاهدين من نصارى ويهود، ولكل منها فئاته الدينية الخاصة، وكانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم، أو في قرى لهم، كما كانوا يعيشون مع المسلمين في قلاعهم وحصونهم، يحتمون من غارات الأعداء. عامل الأيوبيون أهل الذمة خير معاملة، فقد عاملوهم بما أمر الله في كتابه وفقا للحديث الشريف (من آذى ذميا فقد آذاني، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، فهم أحرار في عقائدهم، وشعائرهم الدينية مصونة)، لقد شغل كثير من الذميين مناصب في الدولة، وكان معظم الأطباء لدى السلاطين من اليهود والنصارى، كما شغل بعضهم المناصب المالية في الدولة، بل تقلدوا الوزارة فكان وزير الملك الصالح اسماعيل سامريا (٣٩).

وعرف الأيوبيون بتسامحهم الديني، فقد ذكر ابن عبري (٤٠)، أن موسى بن ميمون اليهودي الأندلسي، أكره على الإسلام ٦٢٥ / ١٢٢٨ ، وأظهره، وأسر اليهودية، فخرج من الأندلس الى مصر، وابتلي في اخر زمانه برجل من الأندلس يعرف بأبي العرب، وصل الى مصر، وحاققه على اسلامه، ورام أذاه، فمنعه القاضي الفاضل، وقال له، رجل لا يصح اسلامه شرعا اذا أكره.

واشتهر الملك الكامل بتسامحه الديني (٤١)، وبلغ عطفه على رعاياه النصارى درجة جعلت الكنيسة القبطية تعده من أكثر الملوك احسانا على أبنائها (٤٢). وعرف عن صلاح الدين أنه أظهر كثيرا من التسامح في معاملته للنصارى (٤٣)، وكانت تنطوي على الرعاية والعطف (٤٤)، وسمح لهم أن يسكنوا بيت المقدس، كما وزع الصدقات على الفقراء والمرضى واليتامى والأرامل والمقعدين منهم (٤٥).

الرياضة :

اهتم الأيوبيون بنشر مبادىء تعليم الرياضة البدنية، والتربية الاجتماعية ولا سيما بين جنودهم، ايمانا بأنها من أمضى الوسائل في ترويض الجسم، والنفس وتحمل الشدائد في الحروب (٤٦)، وقد شجع الأيوبيون الفروسية ولعب الكرة والصولجان فوق ظهور الخيل بين فريقين يتكون كل منهما من ثلاثة أو أربعة أفراد. وكان صلاح الدين يركب لمشاهدة المباريات بعد صلاة العصر، وخصص الملاعب للمباريات، وأوقف عليها الأموال، وشجع الأبناء على مزاولتها (٤٧) وجعل الملك الصالح أيوب (الميدان الصالحي) ميدانا يُركب اليه، ويلعب فيه الكرة (٤٨).

مارس الناس هواية الصيد، فكانوا ينطلقون جماعات لصيد الطيور والأرانب والغزلان، ويستخدمون الكلاب والصقور في صيدهم، وكان السلاطين والقادة يخرجون في معظم الأيام للرماية والمسابقة واللعب والصيد (٤٩)، ويشير ابن منقذ الى أهمية ذلك في تربية الفتيان، واعدادهم لمجاهدة الصليبيين (٥٠).

٢ – العلاقة بين التعليم والحياة في المجتمع

تابع الأيوبيون سياسة نور الدين التعليمية في فتح المدارس وبناء مجتمع متوازن على أسس راسخة تنبع من القران والسنة، مستغلين الروح الدينية السائدة في البلاد(٥١)، فحاولوا استقطاب الفقهاء والاغداق عليهم، رائدهم في ذلك المساهمة في نشر مذهب أهل السنة، ودفع عجلة الحياة الى الأمام، وبخاصة في المجال التعليمي والاجتماعي والحربي.

صحيح أن الأيوبيين لم يضعوا نظاما شاملا للتعليم، يشمل أنظمة قبول الطلاب وعدد سنوات الدراسة، والمناهج التعليمية المرغوبة، الا أنهم أوجدوا الفرص التي تساعد على اعادة بناء المجتمع بشكل أفضل، ففتحوا المدارس وأوجدوا فرص الالتحاق بالمعاهد التعليمية بغض النظر عن فقر الناس أو غناهم، وليس أدل على ذلك من أن الشيخ عزالدين بن عبدالسلام قد أقبل على الدراسة، وهو كبير السن، مع أنه كان فقير الحال (٥٢).

حدد صلاح الدين المذهب الفقهي الذي تسير عليه الدراسة (٥٣)، وعين

الشيوخ الذين يدرسون هذا المذهب، واقتدى السلاطين الأيوبيون به (٥٤)، فكانت المناهج الدراسية تدرس في اطار الفكر الاسلامي، وكان القرآن والسنة مصدرين أساسيين لمناهج من الدراسات اللغوية والفقهية والتاريخية والأدبية. لقد اتبع الأيوبيون المذهب الشافعي (٥٥) عدا الملك المعظم وابنه الملك الناصر داود، فكانا يتبعان المذهب الحنفي (٥٦)، وكان المعظم شديد التعصب لمذهب أبي حنيفة (٥٧).

اعتقد الأيوبيون ان بناء المجتمع يتم باحياء التراث الاسلامي، والسير على منهاج السلف بقصر التعليم على العلوم الدينية والعربية، ولكن بعض الملوك كالناصر داود (٥٨) فتحوا نوافذهم لكل جديد، فانتشرت الفلسفة والمنطق، لقد كانت العلاقة قوية بين التعليم والحياة في المجتمع الأيوبي، فأقبل الناس على التعليم بنشاط، الا أن بعض العوامل كانت تحد من هذا التطور منها:

أ - الصراع المذهبي

تباينت المذاهب الدينية الاسلامية في مصر والشام، واشتد الخلاف بين اصحاب المذاهب، وانقسموا الى أحزاب وشيع، وكثرت الفتن، واشتدت الخلافات، وبخاصة بين الشيعة والسنة (٥٩)، فالشيعة يزدادون، وهم أكثر من السنيين (٦٠) والسنيون يحاولون الابقاء على وجودهم أمام هذا التيار الجارف من التشيع بمختلف مذاهبه، لقد أمر الخليفة الفاطمي الظاهر بطرد فقهاء المالكية سنة ٤١٦ هـ من مصر (٦١) كما كان يعتدي الشيعة على اهل السنة في مصر والعراق(٦٢).

كان الشيعة قد تركزوا في مصر ايام الفاطميين، وفي سوريا أيام الحمدانيين، ولا سيما في حلب ودمشق وجبال العلويين، فتأصلت جذورهم، وبسقت فروعهم، وكان الأذان أن "حي على خير العمل"، وكانت الدعوة للأئمة الاثني عشرية، وكانت اسماؤهم على صحن مدفن في سفح جبل جوشن بحلب الشهباء (٦٣).

عرف أن الشيعة هم الذين شايعوا عليا، وقالوا بأمامته وخلافته نصا ووصية، واعتقدوا أن الخلافة لا تخرج عن أولاده الا لظلم، قال ابن جبير، (للشيعة في هذه

البلاد أمور عجيبة، وهم فرق شتى، منهم الاسماعيلية والنصيرية والرافضة)(٦٤).

لقد اتخذ الفاطميون المساجد لنشر المذهب الشيعي، فكان الجامع الازهر جامعة لدراسة منظمة للفقه الاسماعيلي تتم بعد صلاة كل يوم جمعة (٦٥)، كما أوجدوا مدارس الدعوة (مدارس الحكمة) لنشر مذهبهم وتخريج الدعاة (٦٦) وبثهم في جميع أنحاء العالم الاسلامي.

كان الفاطميون يضطهدون فقهاء أهل السنة ويحاربونهم، ففي سنة ٣٨١هـ في (عهد العزيز) أُعتدي على رجل وجد عنده موطأ الامام مالك،(٦٧) ويعتقد أن سبب ذلك هو تعرض الرجل للدعوة الاسماعيلية.

ويذكر المقريزي أن الخليفة الحاكم أراق دماء نفر من فقهاء أهل السنة، وأن الخليفة الظاهر أمر بطرد فقهاء المذهب المالكي من الفسطاط بمصر (٦٨).

ولم يمنع تدريس المذهب السني أيام الفاطميين، اذ استمر جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) مركزا لدراسات أهل السنة.

تطورت الحركة الاسماعيلية، وعرفت بالباطنية، وأصحابها بالحشاشين (٦٩)، وانتشرت في سوريا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، واستولت على قلعة بانياس(٧٠) وكونت جمعيات مختلفة، وعظم أمرها، وقويت شوكتها، وخشيها الناس، وركزت على المذهب السني، والفتك بزعمائه، فقد تعاون راشد الدين سنان زعيم الحركة مع الصليبيين (٧١)، وحاول الانتقام من صلاح الدين، وقتله انتقاما منه لقضائه على الفاطميين، لقد اعتمدت الباطنية سلاح الارهاب لتنفيذ مآربها، وقتل من يخالفها، ومعاضدة من يؤازرهم (٧٢) ولكن أعمالهم زادت لهم العداء، وقوت شوكة المذهب السني (٧٣)، واضطروا الى مهادنة الصليبيين والسنيين احيانا (٧٤).

انتشر التعصب المذهبي بين الجماعات والمذاهب الاسلامية، واخذت كل جماعة تلقي الدروس دفاعا عن مذهبها، وصدرت المؤلفات نصرة للمذاهب المتبعة، وكثيرا ما كانت تنتهي الخصومات الجدلية الى مناوشات وفتن، وقد شاهدها المؤرخون الذين عاصروا تلك الفترة من أمثال ابن الجوزي الحنبلي وابن عساكر الشافعي الأشعري، وسبط بن الجوزي الحنفي، وابن طيء الشيعي، وأشاروا الى أحداث التعصب

المذهبي، وعكسوا مواقف المذاهب التي ينتمون اليها فيما يذكرونه من أحداث.

وقدم لنا ابن جبير صورا غريبة مما شاهده آنذاك، فذكر أن أتباع كل مذهب كانوا يؤدون صلاتهم في المسجد الحرام منفردين، كما كانوا يخرجون للحج من مكان مختلف عن المكان الذي يحرم منه أتباع المذاهب الأخرى(٧٥).

تطرف الشعور الديني آنذاك، فرسخت حركة التصوف أقدامها، وازداد انتشارها وقد ساعدها على ذلك الصراع بين السنة والشيعة، وازدياد التعصب المذهبي والحروب الطاحنة بين المسلمين والصليبيين، بالاضافة الى الكوارث الطبيعية التي أصابت الناس (٧٦)، فانخرطت جماعات في سلك الصوفية علها تعصمهم من قسوة الحياة، في حين اتجهت جماعات أخرى الى التصوف لعدم قدرتها على مواجهة الحرب، وحاولت تبرير ذلك بأمور دينية. وتطورت الصوفية مما أخرج أصحابها عن حدود الدين أحيانا، فنسب اليها الخوارق التي لا يقبلها عقل، أو يقرها دين، فتحامل الفقهاء عليهم، وحاولوا اثناءهم عن أعمالهم كالغزالي (٧٧)، ظهرت الفرقة القلندرية بدمشق، وقد أسسها قلندر يوسف، وقد داخل فكر أصحابها الشعوذة، فكانوا يحلقون حواجبهم ولحاهم، ولا يصلون سوى الفرائض، وقال بعضهم أن المهم في الحياة الدينية عمل القلب لا عمل الجوارح والنهوض بالفرائض الدينية، بل أن منهم من أهمل هذه الفرائض.

في خضم هذا التشتت حاول بعض العلماء التحرر من التقيد في دراسة العلوم الدينية، والتوسع في علوم الأوائل، كالفلسفة والمنطق، فجفاهم الفقهاء، واتهموهم في عقيدتهم، وأباحوا قتلهم كقتل الفيلسوف السهروردي(٧٨)، ولا ريب أن الحروب الصليبية أتاحت كثرة الجواري الاوروبيات المسترقات عند العرب، ويدل على كثرة الجواري وبخاصة في الشام ما كان يروى عن أنه كان في بيت الفقيه الدمشقي عبدالسلام ابن المطهر بن أبي عصرون ت ٦٣٢ / ١٢٣٥ ما يزيد على عشرين جارية، فما بالنا بأهل الثراء..؟ ولا شك أن كثرة الجواري كان عاملا هاما في شيوع الانحراف.

انتشرت بعض مظاهر الخلاعة، والمجون، وشرب الخمر، وتعاطي حشيشة

الكيف، وغيرها من المفاسد، وكانت هذه المظاهر تزداد في مواسم النيروز وعاشوراء وغيرها من الأعياد، ولا سيما اثناء الحفلات وسهرات الغناء والطرب التي كانت تقام، فكان الناس يتراشون بالماء الممزوج بالخمر والقاذورات أحيانا (٤)، وكان اذا طرب السلطان أعطى عطاء لا يتصور.

ب – الهجمة الصليبية

هاجم الصليبيون الأراضي الاسلامية في أواخر القرن السادس / الحادي عشر واستولوا على الرها وساحل بلاد الشام، وسقطت في أيديهم معظم المدن الهامة أنطاكية، طرابلس، بيروت، عكا، قيسارية، بيت المقدس، والكرك، وغيرها من المدن والقرى، وأخذوا يغيرون بين الحين والآخر على المناطق الداخلية، وحاولوا قطع الطريق الى مكة المكرمة.

فقد كثير من المسلمين بلادهم وأراضيهم (٨٠)، ونزحوا من بيوتهم، وفقدوا مصدر رزقهم، وساءت أحوالهم المعيشية، فانتشر الفقر، وسادت الفوضى، وقل الأمن وعرض الصليبيون طرق التجارة الاسلامية للخطر.

كما أدت الهجمة الصليبية الى ازدياد هبوط المستوى الاقتصادي الى حد كبير، اذ كانت الأموال تؤخذ من الناس لصرفها على المقاتلين، بدلا من صرفها على تحسين وزيادة الانتاج، فكثر الجوع، وانتشرت السرقات، وارتفعت الأسعار حتى عجز الناس عن تحصيل لقمة العيش (٨١).

ومما يؤكد هذه الحالة أنه عندما استشار صلاح الدين قواده في الهدنة مع ريتشارد قلب الأسد أجمعوا على قبولها بقولهم. (فانظر الى أحوال البلاد فانها خربت، وتشعثت، والرعايا فانها تعكست وتعلثت، والأجناد فانها نصبت ووصبت...(٨٢)

لقد كانت هذه الهجمة نذيرا للمجتمع بالاندثار، وخطرا على الأراضي الاسلامية، وفقدان صبغتها الاسلامية، بل عرضت العقيدة الاسلامية للضعف، فضعف التمسك بالقيم الفاضلة والأخلاق الحميدة (٨٣) كما ساعدت على انتشار حركة التصوف هروبا من الواقع، وضعفا في مقاومة الغازي الجديد (٨٤)، واشتغل

الناس بكثرة الصوم والصلاة، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد، وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله.

كما كان من آثار الحروب الصليبية وقوع بعض ضعاف النفوس من المسلمين في المحرمات، فقد ذكر العماد الأصفهاني أن الافرنج كانوا يشجعون فتياتهم على الخروج الى أرض المعركة للترفيه عن المقاتلين، اعتقادا منهم أن هذا يقربهم الى الله وأيده بذلك أبوشامة فقال (حدث أثناء حصار مدينة عكا عام ١١٨٩م أن وصلت في مركب ٣٠٠ امرأة افرنجية مستحسنة، اجتمعن من جزر البحر، واغتربن لاسعاف الغرباء، وقصدن بخروجهن تسبيل أنفسهن، وأنهن لا يمتنعن عن الغرباء، ورأين أنهن لا يتقربن بأفضل من هذا القربان، وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة، لا سيما فيما اجتمعن فيه من غربة وقربة (٨٥).

وعلم المسلمون بهذا الأمر فوقع البعض بالحرام، فمنهم من رضي اللذة بالذلة، ومنهم من ندم علة الزلة.

ونتيجة هذه العوامل من صراع ديني، وهجمة صليبية، وانخراط البعض في حركة التصوف، وظهور بعض مظاهر الفساد والانحراف الخلقي (٨٦)، تزعزعت ثقافة المجتمع وبدأت تختلف بعض العادات، مما أدى الى اضطراب الحياة الاجتماعية، **وضرورة اعادة بناء المجتمع(٨٧)، فاستخدم الأيوبيون ما يسمى اليوم بالتعليم السياسي، وهو فتح المدارس وأخذ برامج دراسية تعيد الثقة بالمجتمع والدولة من خلال تدريس مذهب أهل السنة، وتشجيعُ الناس والطلاب على التمسكِ بتقاليد وقيم الاسلام، واستبعاد ما يَتعارضُ وَهذه القِيم الاسلامية، والحث على الجِهاد، وتوعيةُ الناس بالخطر الصليبي الذي هتك اولى القبلتين، وثالث الحرمينَ مسرى رسول الله (ﷺ).**

٣ - نظام التعليم

كان التعليم يتم في المساجد، اذ كان العلماء يقصدون المساجد لتعليم الناس الذين كانوا يقبلون على العلم امتثالا لأوامر القرآن والسنة، وظل الناس يلتفون حول

العلماء، ويأخذون عنهم من غير أن تتدخل الدولة في التعليم.

وعندما ضعف الفكر الاسلامي، وانتشر التعصب المذهبي، ضعفت مكانة العلماء، وقل عطاؤهم، واختلفت أهدافهم، وتبدلت السياسة التعليمية، واتجه الحكام الى توجيه المدرسين لتخطيط المناهج والأساليب التعليمية، طبقا لما تستدعيه الأهداف التي ينشدونها، وكان ذلك واضحا في المؤسسات التعليمية التي أنشأها الفاطميون في القاهرة، فعينوا الاتجاه الشيعي ليكون موضوع الدراسة(٨٨).

وما ان استبد الأيوبيون بالسلطة حتى أسسوا المعاهد التعليمية لتأمين الولاء الروحي، وفرض هيبتهم على السكان، ففي الوقت الذي استمروا فيه في رعاية المدارس، والربط والخوانق، والمساجد، وتعيين مدرسيها وشيوخها، كانوا يعزلونهم عن العمل اذا خرجوا عن أوامرهم، أو جاءوا بما لا يرضون عنه(٨٩).

لقد أنهى صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ / ١١٧٢ (٩٠) وعزل قضاة الشيعة في مصر (٩١)، واستبدلهم بقضاة من أهل السنة، وولي قاضي القضاة بهاء صدر الدين بن درباس الماراني الشافعي(٩٢)، وحاول تثبيت دعائم السنة، بتحويل دار المعونة الى مدرسة للشافعية، وكذلك دار العدل في الفسطاط الى مدارس للشافعية (٩٣)، والقضاء على آثار الفاطميين في العقيدة والعبادة والاجتماع، وقد أوجز سياسته في هذا المجال بقوله (ما أردنا بناء المدارس الا لنشر العلم، ودحض البدع واظهار الدين) (٩٤).

تابع الملوك الأيوبيون توجيه التعليم وفق الأهداف المتوخاة، فعندما ولي الملك الأشرف موسى بن العادل عام ٦٢٦ / ١٢٢٩ أصدر أمرا الى جميع المدارس بأن من يدرس غير علوم القرآن من تفسير وفقه وحديث، .. أو تعرض لكلام الفلاسفة نفيته، ثم عزل سيف الدين الأسدي من المدرسة العزيزية لأنه كان يعتبر شيخ علماء الكلام في زمانه، ولم يكن له نظير في الأصول وعلم الكلام (٩٥)، ولأن بقاءه مدرسا معناه تعريض نظام التعليم الأيوبي الى التغيير.

أصبح تدخل الأيوبيين مباشرا بالتعليم، فكانوا يرعون المدارس، ويحددون المواضيع التعليمية، وأصبح معظم المدرسين موظفين، يتناولون أجورهم إما من

الدولة أو الأوقاف، ويؤدون أعمالهم بتوجيه من الحكام ورغباتهم، ولم يمس هذا التدخل المدرسين الذين كانوا يلقون دروسهم في المساجد في بداية الأمر، بعد صلاة العصر او العشاء، شريطة أن يدرسوا وفق المذهب الفقهي الذي حددته الدولة.

فرض الأيوبيون المذهب السني ليكون موضوع الدراسة في المدارس (٩٦)، ورتبوا خيرة رجالهم للاشراف على التعليم، وفتحت المدارس لتعليم الأولاد هذا المذهب، وألقيت الدروس الدينية في المساجد لاعادة الناس الى اتباع هذا المذهب، وابعادهم عن المذاهب والعقائد الأخرى، ولا سيما المذهب الشيعي (٩٧).

ويبدو أن الأيوبيين لم يدركوا أهمية وجود مؤسسة رسمية للتعليم، ترعى شؤونه، وتضع نظمه، ومناهجه الدراسية، وتوفر له الكوادر اللازمة، وتخصص الميزانية الضرورية، ذلك أن هذا النظام هو إختراع حديث، فنظام التعليم ينبثق عادة من الأهداف التي يؤمن بها المجتمع، ويسعى لتحقيقها، فالنظام التربوي يقصد به ضبط شؤون التعليم(٩٨)، وبهذا ترك التعليم أيام الأيوبيين يعتمد الى حد كبير على جهد الأفراد الذين يعنيهم أمره، مع التركيز على توجيهات عامة يصدرها السلطان والوزراء والمحتسب للمعلمين الذين يتقاضون رواتب من الدولة والأوقاف، كما ورد في كتاب الشيرزي (٩٩).

ومع أنه لم يكن يوجد قوانين واضحة ومحددة أو أنظمة تضبط التعليم، وتوجهه بشكل رسمي وسليم، الا أن الأعراف والتقاليد الشفوية أصبحت ممارسات يومية للمدارس في الدولة (١٠٠) وأصبح اقتفاء أثر السلاطين، في بناء المدارس وتعيين المدرسين ركنا أساسيا في الحركة التعليمية، ولذلك شهدت الحركة التعليمية في عهد الأيوبيين نشاطا ملحوظا، فانتشرت المدارس والخوانق، والربط والزوايا بالاضافة الى المساجد، وأقبل الناس على التعليم، ولم يبخل العلماء بعلمهم، فكانوا يلقون الدروس في المدارس والمساجد والمراكز ذات الأثر التعليمي.

٤- أهداف التعليم عند الأيوبيين

تختلف أهداف التعليم من بلد الى آخر، ومن مجتمع الى مجتمع آخر، ذلك أن

الأهداف التربوية هي وليدة مطالب وحاجات اجتماعية خاصة، ولذلك تختلف الأهداف في البلد الواحد من جيل الى جيل.

كانت الدولة الأيوبية جزءا من الدولة العباسية، وكان السلطان الأيوبي ينشد رضى الخليفة، ويطلعه على الأمور الهامة، كما كان الخليفة يرسل الخلع الى الحكام الأيوبيين تأكيدا لسلطته عليهم. وكان المجتمع الأيوبي جزءا من الأمة الاسلامية، لذلك كانت الأهداف التعليمية في الدولة الأيوبية مشابهة الى حد كبير لأهداف التعليم عند العباسيين بالرغم من تحمل الأيوبيين عبء الجهاد ومقاومة الصليبيين.

اشتق الأيوبيون أهداف التعليم من مصادر عديدة فرضتها طبيعة الفرد، وظروف المجتمع الأيوبي، والظروف البيئية التي عاشها المجتمع.

لقد كانت أهداف التعليم لديهم دينية ودنيوية، فكانوا يرمون الى اعداد الانسان المسلم(١٠١) لقوله تعالى (**وابْتَغِ فيما أتاكَ اللّهُ الدّار الآخرة ولا تَنْسَ نَصَيبك مِنَ الدنيا**) ووفقا للقول:

اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا   واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

اهتم التعليم عند الأيوبيين على استغلال قدرات الفرد، وتعليم المواطنين الثقافة الاسلامية، لاكسابهم نماذج ثقافية، وأطر حضارية، وربطهم في منظمات ومؤسسات تعليمية، رائدهم خلق روح التبعية الاجتماعية وفق القيم والاتجاهات التي حددها التصور الاسلامي.

التصور الاسلامي للتربية :

تهدف التربية الاسلامية الى تحقيق اهداف الاسلام، وذلك بتنظيم سلوك الفرد والجماعة وعواطفهم على أساس المفهوم الاسلامي للحياة، وذلك بتهيئة عقل الانسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة، بحيث ينتفع بهذا الكون، وبهذه الدنيا، على أن يعمل لارضاء الله عز وجل، وفق نظرة الاسلام الى الانسان والكون والحياة.

بين الاسلام أن الانسان خلق من طين، فنفخ الله في روحه، ثم خلق نسله من نطفة، ليجعله متواضعا واقعيا في حياته، وليثير عنده عاطفة الشكر لله والخشوع للخالق، (**وَلَقَد خَلقَنا الانْسانَ مِنْ سُلالةٍ مِنْ طين، ثُمَ جَعَلناهُ نُطفةً في قرارٍ**

مكين)١٠٢

لقد كرم الله الانسان فجعله خليفة في الأرض، وجعله قمة الكائنات الحية، التي تعيش على وجه البسيطة، وأفضلها وأكرمها، لما أودعه الله من مزايا(١٠٣)، وكلفه تعمير الكون، وتحمل الرسالة، قال تعالى : (**وَاذْ قَالَ رَبُكَ لِلملائِكَةِ إِني جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفة**(١٠٤)، لقد رزق الله الانسان قدرة جعله يسيطر على ما حوله من الكائنات وسخرها لمصلحته (**سُبْحانَ الذَي سَخّر لَنا هَذا ومَا كُنا لَهُ مُقرنين**) (١٠٥)، وجعله قادرا على التمييز بين الخير والشر، ومسؤولا عن عمله(١٠٦) اذ منحه ارادة يستطيع بها أن يختار الطريق الموصلة الى السعادة أو الشقاء، (**ونُفسٍ ومَا سَواها فألهَمها فُجُورَها وتَقْواهَا، قَدْ أفلَحَ مَنْ زَكاها**)(١٠٧)، وهب الله الانسان القدرة على التعلم، وزوده بكل الأدوات اللازمة لاكتساب المعرفة، وما على الانسان الا استخدام العقل والفؤاد ليربى تربية علمية، تعتمد على الملاحظة والمناقشة والاستنتاج والتفكير، (**وجَعَلَ لَكُم السَمعَ والأَبصَارَ والأَفْئِدَة لَعلكم تَشكُرون**)(١٠٨) وندد الله بالذين لا يستفيدون من أبصارهم وأفئدتهم، (**وَلَقَد ذَرأنا لِجهنّم كثيراً مِنْ الجنِ والانسِ لَهم قلوب لا يَفْقهُون بها، ولهُمْ أعينُ لا يُبصرُون بها، ولُهم آذانٌ لا يَسمَعون بها، أولئكَ كالانعامِ بَلْ همْ أضلُ سبيلا، أولئك هم الغافلون**) (**الأعراف١٧٩**)، وبين الله أن مهمة الانسان الأولى هي عبادة الله والاخلاص له، (**ومَا خَلقْتُ الِجنِ والانسِ الاَّ ليِعَبْدُون**) (١٠٩)، لقد خلق الكون ميدانا لنشاط الانسان يسخره لمنفعته، وعلى الانسان معرفة الكون واكتشاف قوانينه للانتفاع به (١١٠).

نظر الاسلام الى الحياة نظرة جدية، ملؤها الشعور بالمسؤولية، فجعل الدنيا دار إمتحان وإبتلاء، دار ممر، وجعل الآخرة دار مقر، اذ يمر الانسان بالدنيا ليصل الى الآخرة حيث يحاسب على أعماله، فاما نعيم أبدي أو عقاب، ومنذ بدء حياة الانسان اختبر الله عبده آدم، فكلفه الامتناع عن الأكل من شجرة في الجنة، فوسوس له الشيطان، فعصى آدم ربه فأهبطه من الجنة، ومنذ ذلك الوقت وما زال أبناء آدم يمرون بهذا الاختبار، وهم في صراع بين الخير والشر، وبين الهوى والضلال.

لقد أباح الله للانسان الاستمتاع بالكون بطريقة سليمة ترضي الله(١١١)، على ألا يجعلها هدفا تلهيه عن طاعة الله، وأن لا يحرم الانسان نفسه من الخيرات والنعم التي أباحها الله، قال تعالى،(أرضيتم بالحيَاة الدنيا مِنَ الآخرة، فما مَتاعُ الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل)(١١٢). وقال (هُوَ الذي خَلَقَ لَكُم ما في الأرْضِ جَميعا، ثم استوى الى السماء)، (البقرة٢٩).

ركز الاسلام على تربية عقل الانسان بطريقة عملية، وذلك باستخدام القوانين العلمية، وقوى الكون لرفاهية الانسان، كاستخدام حرارة الشمس، وضوء القمر، والرياح والنجوم، وبين أن الاستمتاع بالمال يجب أن يرافقه أداء الزكاة، كما ركز الاسلام على الارتباط بالجماعة، والتكافل الاجتماعي والتعاون، والتراحم والعدالة، والامتناع عن البغي والعدوان، والفساد والبهتان، واعتبر المظهر الجماعي في الاسلام هو الدفاع ضد العدوان. ويتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن في ذلك صونا لحياة الجماعة وحفاظا على أموالها، وأدعى لانتشار الأمن والاطمئنان في نفوسها وفقا لقوله تعالى (ولتكُن مِنكم أمّة يدعون الى الخَيْر ويَأمرُون بالمعروف ويَنهون عن المنكر، وأولئك هُم المفلحون). (سورة آل عمران، أية ١٠٤). وقوله (ﷺ) من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه.

الأهداف التعليمية:

حاول الأيوبيون ايجاد الانسان المؤمن بربه، العامل لخير الدنيا والآخرة، المنتمي لبلده المدافع عنها، والقضاء على المفاسد، واعادة بناء الجماعة وفق النظام الاسلامي، وركزوا على أن يسود المجتمع الوئام والاخاء، وأن تكون العقيدة الاسلامية هي الرابطة بين أفراده، رائدهم في ذلك بناء دولة قوية متماسكة قادرة على حماية البلاد، وتحرير ما اغتصبه الصليبيون، والحد من الفوضى والتشتت، والانقسامات المذهبية.

لقد كانت أهداف التعليم عند الأيوبيون عديدة، منها:

١- نشر المذهب السني :

ازدادت مكانة الشيعة في بلاد الشام أيام الحمدانيين، وقد حاول السلاجقة

استئصال شأفتهم أثناء حكمهم للشام في القرن الخامس الهجري، وكانوا يدعون للخليفة العباسي في بغداد (١١٣). ولكنهم أخفقوا في مسعاهم الى حد ما، اذ كانت البلاد تجابه خطر الصليبيين، كما أن الفاطميين حلوا محل السلاجقة في حكم الشام، وأصبح المذهب الشيعي، هو مذهب الدولة الرسمي.

أسس الفاطميون الجامع الأزهر، وجعلوه مركزا لتدريس المذهب الشيعي(١١٤)، كما استغلوا الجامع الأقمر، وجامع عمرو بن العاص لهذه الغاية. وعندما جاء الزنكيون حاولوا احياء المذهب السني، وجعلوا المذهب الحنفي مذهب الدولة الرسمي في الموصل وحلب ودمشق (١١٥)، وعندما أصبح صلاح الدين وزيرا للخليفة الفاطمي العاضد في مصر، تألم لما شاهده من سيطرة المذهب الشيعي على مقاليد الدولة، فبدأ بمحاربة هذا المذهب، رائده جمع الصف، ولم يمض شهور قليلة على وزارته حتى فتح المدارس، كالمدرسة الناصرية وهي مدرسة للشافعية (١١٦)، وأمر طبقات الشعب الانخراط في سلك هذه المدارس ليتعلموا أسس وأفكار المذهب السني الرئيسية، كما أغلق المراكز التعليمية للمذهب الشيعي، وبذا أصبحت المدرسة مكانا للتدريس فضلا عن كونها مركزا لنشر المذهب السني، وشن الحرب على الشيعة ومحاربة التشيع(١١٧).

أقبل المصريون على ترك المذهب الشيعي والانضمام الى المذهب السني، وتجمهر الناس تعبيرا عن فرحتهم، وتطاولوا على الفاطميين، وتتبعوهم وحاولوا الاعتداء عليهم واذلالهم، حتى صار البعض لا يجرؤ على الخروج من البيت (١١٨)، وهكذا بدأت دعوة الشيعة بالضعف، ثم بالاختفاء تدريجيا بعد سقوط الدولة الفاطمية، وعزل قضاة الشيعة وتولى القضاء قضاة من المذهب السني (١١٩)، ونزعت اللوحات الفضية التي كانت تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين والتي كانت معلقة في محارب جوامع القاهرة (١٢٠).

لم يستسلم الشيعة لهذا التغير، فقاموا بثورة بزعامة عمارة اليمني (١٢١)، ولكن الأيوبيين استطاعوا القضاء على الثورة، فضعف الشيعة، وأخذ التشيع يختفي قليلا قليلا، وهكذا وضع الأيوبيون حدا للمذهب الشيعي في مصر، وأعادوا المذهب

السني، واعترفوا بولائهم لخليفة بغداد (١٢٢).

ركز الأيوبيون على توحيد قوى المسلمين ونشر المذهب السني، والتركيز على تبني المذهب الشافعي، اذ حول صلاح الدين دار المعونة ودار العدل في الفسطاط الفاطميتين الى مدارس للشافعية (١٢٣)، كما عين قضاة الشافعية في جميع البلاد المصرية (١٢٤) بعد أن اشترك القاضي عبدالله بن هبة الشيعي في الثورة (١٢٥).

دعم نور الدين المذهب الحنفي في بلاد الشام، ولدى تسلم صلاح الدين السلطة أقر كمال الدين الشهرزوري قاضي القضاة الحنفي في عمله، وأبقى المذهب الحنفي في البلاد، الا أنه كان يعتبر المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي، ذلك أنه كان شافعيا متعصبا، واقتفى الأيوبيون صلاح الدين في اعتبارهم المذهب الشافعي هو المذهب الرسمي، الا أن الملك المعظم وابنه الناصر داود أيدا المذهب الحنفي، ويذكر ابن واصل ان الملك المعظم عزل خطيب الأقصى لأنه شافعي، وولى مكانه رجلا حنفيا متميزا في الفقه الحنفي يقال له شهاب الدين (١٢٦).

سيطر المذهب الشافعي في الدولة الأيوبية، في مصر والحجاز والشام، وكان يعتقد الشوافع انه يجب أن يكون الحاكم شافعيا والا ضعفت الدولة وزالت (١٢٧)، لهذا استمروا في اقامة المدارس وتنظيم أنفسهم محاكاة لمراكز الدعوة الفاطمية(١٢٨). ولم تكن هذه المدارس دينية سنية فحسب، بل كانت كذلك مراكز لتدريب طبقة جديدة من رجال الأدارة، والموظفين السنيين على اتقان العلوم العربية والدينية.

ولم يكن الانبعاث السني يرمي الى استئصال التشيع من حيث قوته السياسية فقط، بل كان يركز على القضاء على الشيعة باعتبارهم أحد عناصر التفكك في الدولة، ففي الميدان الفكري تحطمت العقيدة الشيعية، وتبدد العطف على التشيع(١٢٩)، بصوغ عقيدة سنية في رسائل حاسمة مقنعة تدرس للصغار في المدارس، وتعلم للكبار في الجوامع.

٢- دعم الجهاد :

نشأ صلاح الدين في رحاب نور الدين زنكي، فقد اكتسب منه حب الجهاد، وجمع المقاتلين ومقاومة الصليبيين، وكسب ود الدولة العباسية، واقتفى معظم الملوك

الأيوبيين اثر مؤسس دولتهم في دعم الجهاد، وتحبيبه للناشئة، وتعميق روحه في نفوس الأولاد والمجتمع.

وصف ابن شداد صلاح الدين وصفا يصور روح العصر، فقال(١٣٠)، (أحب صلاح الدين الجهاد، واستولى على قلبه، وسائر جوانحه، استيلاء عظيما، بحيث ما كان له حديث الا فيه، ولا نظر الا في آلته، ولا كان له اهتمام الا برجاله، ولا ميل الا الى من يذكره به، ويحثه عليه...).

اعتبر صلاح الدين **فتح بيت المقدس فرض عين واجب تحقيقه** (١٣١)، وحرص على أن يكون أساس كل اتفاق بينه وبين الأمراء المسلمين، أن تنضم قواتهم العسكرية الى قواته عند اعلان الجهاد، وقد ورد في نص الاتفاقية المعقودة بينه وبين أمير الموصل ما يدل على ذلك(١٣٢)، وعندما حاصر الموصل سنة ٥٨١ / ١١٨٥ ، واشتد به المرض نذر أن شفاه الله أن يصرف همه كله الى قتال الفرنجة (١٣٣)، وقد أعطاه ايمانه القوي ثقة بنفسه، جعلته لا يخاف القتال، ويواصل الفتوح، فبعد أن فتح حصن كوكب مر بدمشق، فوجد متولي الدين صفي الدين ابن القابض قد هيأ له دارا جميلة، ولما رآه صلاح الدين أعرض عنها، وقال لصفي الدين **(وما يصنع بالدار من يتوقع الموت)**؟(١٣٤)، وقال أمرنا الله بالجهاد لأعداء الدين، فنحن قائمون بأداء طاعته، ما افترض علينا من الجهاد، ولو اجتمع علينا أهل الأرض لتوكلنا على الله) (١٣٥).

ذكر ابن شداد انه وضع كتابا في الجهاد، جمع فيه آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روى فيه، وشرح غريبها، وكان الملك الأفضل ووالده يطالعانه كثيرا(١٣٦)، كما صنف الحافظ بهاء الدين ابومحمد قاسم ابن عساكر ت ٦٠٠ / ١٢٠٣ كتابا في الجهاد، (فضائل الجهاد)(١٣٧).

أرسل الملك المعظم كتابا الى الخليفة يستنهضه للجهاد(١٣٨) اثر اعتداء الفرنج على الطور سنة ٦١٠ / ١٢١٣ ، وقد ضمن الرسالة بيتين من الشعر للأمير عبدالمحسن الكاتب الحلبي:

قُلْ لِلخَليفةِ لاَ زَالت عَساكِــرُ لَهَا النَّصرُ إِصْدارٌ وَإيــرَادُ

إنَّ الفرنجَ بِحصْنِ الطورِ قدْ نزلوا   لا تغْفلنَّ فحِصْنُ الطورِ بغْدادُ

وصف ابن تغري بردى الملك الصالح أيوب بقوله(١٣٩)، ولو لم يكن له من محاسن الا تجلده عند مقابلة العدو بالمنصورة، وهو بتلك الأمراض المزمنة، وموته على الجهاد، والذب عن المسلمين.

غلبت فكرة الجهاد على الأيوبيين، وركزوا في مناهج المدارس على الآيات القرآنية التي تحبب الناشئة على الجهاد، وضرورة رفع عزة الاسلام، فكان المدرسون يحفظون الطلاب الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد(١٤٠)، ولا سيما

الآيات ٦١ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ من سورة البقرة.

والآيات ١٣ ، ٢١ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٥٤، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٩٥ ، من سورة آل عمران.

والآيات ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٨٤ ، ١٥٤ من سورة النساء.

والآيات ١٤ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، من سورة الأنفال

والآيات ٥ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١١١ ، ١٢٣ من سورة التوبة.

ومن سورة المائدة آية ٢٤ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ١٦٧ ، وآية ٢٠ من سورة القصص، وآية ٢٩ من سورة العنكبوت، والآيات ٨٢ ، ٥٨ ، ٣٩ من سورة الحج.

والآية ٦١ من سورة الصف، والآيتين ٢٥ ، ٦٨ من سورة الفرقان، والآيات ٨ ، ٩ ، ٦٠ من سورة الممتحنة ، والآيات ٢٠ ، ٤٠ ، ٤٧ من سورة محمد، والآيات ١١ ، ١٢ ، ١٤ من سورة الحشر، والآيات ٢٠ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٦١ الأحزاب، من سورة الحديد الآية العاشرة، والآيتين ١٦ ، ١٢ من سورةالفتح ، والآية الرابعة من سورة المنافقين، والآية التاسعة من سورة الحجرات والآية ١٣٧ من سورة الأنعام والآية ١٣ من سورة الاسراء.

وكان العلماء يدرسون الأحاديث التي تحض على الجهاد وصد العدوان، ومن

هذه الأحاديث: قيل لرسول الله (ص)، أي الناس أفضل، فقال (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله).

* لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها.
* ما غبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.
* ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة.
* واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. (صحيح البخاري، أبوعبدالله محمد بن اسماعيل البخاري) (صحيح مسلم)
* عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

كما كان المدرسون يروون قصص الأبطال المسلمين التي تذكر بمواقف المسلمين البطولية لتعميق روح الجهاد لديهم ، ويعلنون كلمة الحق، ويقفون في وجه الحاكم الظالم أو المخالف لأوامر الله، فقد هاجم العلماء الصالح اسماعيل لتعاونه مع الصليبيين دون خوف منه، فآمنوا بما أمر الله وعملوا بقوله(**إنَّ الَّذينَ يَكْتمُونَ ما أنزلْنَا مِنَ البينَاتِ وَالهُدىٰ مِنْ بَعْدِ ما بيناهُ للناسِ في الكِتَابِ، أولئكَ يلعنُهمُ اللهُ وَيلْعنهم اللاعِنُون) (سورة البقرة ، ١٥٩) وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَاسِ وَلا يَكْتمُونَه. (سورة آل عمران، ١٨٧)** .

وصدعوا لقول محمد (ص) من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في الله بالاثم والعدوان، فلا يغير بقول ولا فعل، كان حقا على الله أن يدخله مدخله، وقوله (ص) الساكت عن الحق شيطان أخرس. (رواه الطبري في التاريخ، وابن الاثير في الكامل) .

وركزت المناهج على مفهوم القتال في الاسلام وأهميته على الأمة الاسلامية والعالم. واشارت هذه المناهج الى أن الاسلام اهتم بدعوة العالم الهداية لينعم بها ويستظل بظلها، وان الله سبحانه وتعالى انتدب الأمة الاسلامية لاعلاء دينه، وتبليغ الرسالة، وتحرير الأمم والشعوب، وأوجب ذلك المحافظة على كيان الأمة الداخلية

والكفاح لتأخذ حقها بيدها، وتجاهد لتتبوأ قيادة العالم.

واعتبر الاسلام كل تقصير في ذلك جريمة كبرى، يجازي عليها الله بالذل والانحلال أو الفناء والزوال، ونهى الاسلام عن الوهن، أو الدعوة الى السلم اذا لم تحقق الأمة أهدافها، والا فان السلم في هذه الحالة نوع من الجبن والرضا بالذل من العيش، قال تعالى (**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلى السلْمِ وَانتم الأَعلَون والله مَعَكم وَلن يتركم أَعمالَكم**) (١٤١).

وبين الاسلام ان السلم لا يكون الا عن قوة واقتدار بشرط أن يكف العدو عن العدوان، وان لا يبقى ظلم في الأرض، وألا يفتن أحد في دينه. وأوجب الاسلام التضحية بالمهج والأرواح أثناء القتال. فقال تعالى (**وجاهدوا في الله حق جهاده**)(١٤٢).

وأوجب الاسلام اعداد العدة، وأخذ الحيطة والاستعداد فيقول الله تعالى: (**وأَعِدُوا لَهُم مَا استَطَعْتُم مِنْ قُوةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيْلِ تُرهِبُونَ به عدو الله وَعَدوكم**)(١٤٣).

والاعداد يتطور بحسب الظروف والأحوال، ولفظ القوة يتناول كل وسيلة من شأنها أن تدحر العدو. فقال (ص) (ألا ان القوة الرمي، ألا ان القوة الرمي، ألا ان القوة الرمي) ومن الاعداد الحيطة، والتجنيد لكل قادر عليه :(**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ او انفروا جميعا**)(١٤٤).

والاعداد يشمل استخدام جميع الطاقات البشرية والمادية، وملاقاة العدو في العسر واليسر، في البر والجو والبحر فيقول تعالى (**انفروا خفافا وثقالا**)(١٤٥). واهتم الاسلام برفع الروح المعنوية، واستثارة الهمم والعزائم بالاضافة الى الاعتماد على القوة المادية، فيقول: (**فليقاتل في سَبيل الله الذين يشْرونَ الحياةَ الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سَبيل الله فيقتل أوْ يغلب فَسوف نؤتيه أجرًا عظيما، وَما لكُم لا تقاتلون في سبيل اللهِ والمستَضعفينَ منَ الرجالِ والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل لنا من لدنك وليا، واجعل لنا من لدنك نصيرا**) (١٤٦)

وأشاد الاسلام بصبر المؤمنين وبأنهم إن كانوا يألمون فان عدوهم يألم كذلك، مع

اختلاف هدف كل منهما فيقول **(ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون)**(١٤٧). ويقول: **(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا)**(١٤٨).

أي أن هدف المؤمنين هو اعلاء كلمة الله. وأوجب الاسلام الثبات عند اللقاء لقوله تعالى: **(ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** (١٤٩).

ووضح الاسلام القوة المعنوية فقال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. واصبروا ان الله مع الصابرين)**(١٥٠).

ويشير الاسلام الى نفسية المؤمنين، وأن من شأنها الاستماتة في الدفاع، فهم بين أمرين لا ثالث لهما: اما قاتلين، وأما مقتولين، فيقول: **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون)**(١٥١). وفي الحالة الأولى لهم النصر، وفي الثانية لهم الشهادة: **(قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين)**(١٥٢) . واعتبر الاسلام القتل في سبيل الله هو إنتقال الى ما هو أرقى وأبقى من الموت الأبدي، وأن الفناء في سبيل الله هو عين البقاء. **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)** (١٥٣) .

والله مع المجاهدين لا يتخلى عنهم أبدا: **(اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)** (١٥٤). ويعد الله سبحانه المجاهدين بثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، فيقول: **(ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذالكم خير لكم ان**

كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (١٥٥).

وقد ربى القرآن الكريم المسلمين الأوائل، وثبت في نفوسهم الايمان، إذ كان فيصلا بين الحق والباطل، ونهض بهم الى حيث النصر، والفتح والتمكين في الأرض. **(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)**(١٥٦). **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)**(١٥٧).

وهكذا نجح الأيوبيون في اكساب الطلاب حب الجهاد والقتال في سبيل الله، وتمكنوا من بناء جيل صادق منتم، قادر على حماية البلاد من كل عدوان خارجي. وحاول الأيوبيون ايجاد الفرد القوي المجاهد، فنشروا هواية الصيد بين الناس، والتدريب على الرمي(١٥٨)، وركوب الخيل والمسابقة ومشاهدة مباريات الكرة والصولجان.

كان سلاطين بنو أيوب يمشون وبين أيديهم جماعة القراء والعلماء، وهم يتلون على العسكر الآيات التي تحث على الجهاد، ويذكرونهم بما أعد الله تعالى للشهداء في الجنة، ولا سيما آيات سورة الأنفال والأحزاب(١٥٩)، كما كانوا يستحضرون الرواة، لتلاوة القصص الحماسية، وأخبار الجيوش الاسلامية المنتصرة.

وهكذا تمكن الأيوبيون من ارساء روح الجهاد لدى معظم أفراد المجتمع الأيوبي، حتى النساء، ففي أعقاب الصلح الذي تم بين الملك العادل واموري الثاني، ٦٠٤ / ١٢٠٧ قصت امرأة شعرها، وبعثت به الى الملك العادل لتثير حماسته بقولها(١٦٠)، (اجعله قيدا لفرسك في سبيل الله).

وفي سنة ٦٠٦ / ١٢٠٩ جلس سبط بن الجوزي في جامع دمشق، وعنده مقادير من الشعور التي كانت عنده، وقد عملها قيودا لخيل المجاهدين، ولما رآها الناس صاحوا صيحة واحدة، وقطعوا شعورهم، ثم ساروا الى نابلس لقتال الفرنج،

فأسروا وقتلوا وهزموا، ورجعوا سالمين غانمين(١٦١).

نشط الشعراء في بعث الحمية في نفوس المسلمين، واستنهاض هممهم للجهاد، وحثهم على استرداد مقدساتهم، وحملوا على الأمراء الذين كانوا يتقاعسون عن الجهاد وتأدية الواجب الاسلامي في الدفاع عن حرمات المسلمين، كما كانوا يصفون المعارك ويمدحون القادة، فقد مدح الشاعر القاضي، السعيد بن سناء الملك ت ٦٠٨ / ١٢١١، الملك العزيز لدى ملاقاته الفرنجة في تبنين سنة ١١٩٨/٥٩٤ (١٦٢)

الشَامُ لِلاسْلاَمِ دارُ القَـــــرار وكانَ مِنْ قَبْلُ طريقَ فــرار
جِئْتَ لِتبنينَ ومَنْ حَوْلهِــــا قوم كَاعدادِ الحصَى للحصَار

وهنأ ابن النبيه ابوالحسن علي بن يوسف المصري ت ٦١٩ / ١٢٢٢ الملك الأشرف لمساهمته بفتح دمياط سنة ٦١٨ / ١٢٢١ بقوله (١٦٣)

يا يومَ دِمْياط ما أبقيت من شرف لن تقدم الا آت هادمــــه
عذراء نادت على بعض فأفقدهـا ملك غيور حصونات كرائمه

وقال أبوالحسن جمال الدين بن مطروح ت ٦٤٩ / ١٢٥١ عندما هزم لويس التاسع في دمياط .

خمسونَ ألفا لا يرى منهـــم الا قتيل أو أسير أو جريـح
دار ابن لقمان على عهدهــا والقيد باق والطواشي صبيح

وهكذا أرسيت فكرة الجهاد، وقويت دعائمه بين أفراد المجتمع الأيوبي، وأصبحت مدار الحديث، فأنطقت الشعراء، وأثارت حماس العلماء بتصنيفهم الكتب عن الجهاد، وألهبت حماس المجتمع حتى النساء للجهاد.

٣- تعميق العقيدة الاسلامية :

حاول معظم الملوك الأيوبيين تعميق العقيدة الاسلامية، ومحاربة أهل البدع وقطع دابر الباطنية، والحد من مظاهر الفساد التي كان بعضها شائعا في المواسم وبخاصة في عيد النيروز (١٦٤)، وتبنوا الاحتفال باحياء الذكر وقراءة القرآن، واقامة الولائم لا سيما في يوم المولد النبوي، ويوم رأس السنة الهجرية، وحلول شهر رمضان

وليلة نصف شعبان، واقتصدوا في احياء حفلات الزفاف والختان، الا أن الملك الكامل أنفق أموالا طائلة على ختان العادل الصغير ٦٢٤ / ١٢٢٧ (١٦٥)، فقد ذبح ألف رأس من الغنم فضلا عن البقر والجاموس والابل.

اتجه معظم الأيوبيين الى مقاومة كل من يتهم بالالحاد أو الخروج عن العقيدة الصحيحة، فقد قتل الظاهر ملك حلب سنة ٥٨٧ / ١١٩١ الفيلسوف شهاب الدين السهروردي، بعد أن اتهمه العلماء بتدريس السحر (١٦٦)، وأفتى بقتله شيخ الصلاحية بالقدس مجد الدين بن جهبل (١٦٧)، كما عزل العادل ابن الزكي عن قضاء دمشق (١٦٨)، وعزل الملك الأشرف موسى بن الصلاح عن التدريس بالمدرسة العزيزية(١٦٩)، وأبعد الصوفي محمد بن كرام الى غور زعرور قرب البحر الميت لاختلافه مع الفقهاء من قضية الايمان (١٧٠).

وعندما ملك الأشرف موسى دمشق نادى مناديه فيها أن لا يشتغل أحد بعلوم الأوائل، وأن لا يشتغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفي عن البلد(١٧١). وعرف عن الملك الناصر داود أنه شجع الدراسات العقلية، كما أن والده المعظم شجع تدريس الفلسفة في أواخر حكمه(١٧٢).

وقد سعى صلاح الدين الى اثارة حماس المسلمين، وتعميق انتمائهم للعقيدة، فأوجد أماكن حول بيت المقدس يتجمع بها المسلمون بأسلحتهم في النبي موسى، والنبي صالح، والنبي روبين أثناء عيد الفصح خوفا من اعتداء النصارى على المسلمين أو اعتصامهم في بيت المقدس(١٧٣)، ولا يعني ذلك أنه شجع التعصب الديني بل ركز الأيوبيون على العلاقات الجيدة بين المسلمين والمسيحيين، فقد ذكر ابن منقذ(١٧٤)، " انهم كانوا ينزلون من حصن شيزر للتفرج على النصارى في عيد الفصح ".

لم يعن الأيوبيون بالأعياد الكثيرة التي كان يعني بها الفاطميون، والتي بلغت في تقدير المقريزي ٣٠ عيدا، اذ شغل الأيوبيون عن الأعياد العديدة بالجهاد ، ومقاتلة الصليبيين، ولكنهم كانوا يهتمون بالأعياد الاسلامية، عيد الفطر، وعيد الأضحى،

ويمدون فيها الأسمطة للشعب (١٧٥).

انتشر الخلق القويم في عهد الأيوبيين، فقد امتدح ابن جبير تحشم النساء(١٧٦)، وصون النساء والتزامهن البيوت، فلا يظهرن في زقاق من الأزقة البتة، ويذكر ابن منقذ أن الباطنية هاجمت شيزر مرة، فوزعت أم سلمة السلاح، وظلت وابنتها تقاتلهم الى أن استشهدتا دفاعا عن الكرامة(١٧٧)، وفي سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥ هدم الملك موسى خان الزنجاري بالعقبة، وكان معروفا بالفجور، وأقام مكانه جامعا سمي بجامع التوبة(١٧٨).

ويبدو أن الأيوبيين لم يشجعوا الظلم، فقد عزل صلاح الدين حاكم نصيبين حسام الدين أبوالهيجاء عندما شكاه أهالي البلدة بقسوته عليهم، كما أوصى ابنه ملك حلب الظاهر بقوله (أوصيك بتقوى الله، فانها رأس كل خير، وآمُرُ بما أمر الله به، وأحذرك من الدعاء والدخول بها) (١٧٩).

وَحدَّ الأيوبيون من الاعتداء على أموال الدولة، فقد أمر الملك الصالح أيوب بالتحفظ على الموظفين الذين اتهموا بتبديد أموال الدولة وحبسهم، وصادر منهم ٧٥٠ ألف دينار أنفقها على أمور ومصلحة الدولة(١٨٠).

٤- تشجيع الصوفية :

قرب نور الدين المتصوفين، فانتشرت الصوفية، ولكنها بقيت فردية الى أن جاء صلاح الدين، فأخذ يشجع الحركة، وأقام أول بيت للصوفية في مصر، فيقول المقريزي، " ولما استبد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد الفاطمي، عمل دار سعيد السعداء خانقاه برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها سنة ٥٦٩ / ١١٧٤ وعرفت بدويرة الصوفية "(١٨١).

سار معظم السلاطين الأيوبيين على نفس المنوال، فشجعوا الحركة الصوفية، وبنوا لأصحابها الخوانق والزوايا في أنحاء مختلفة حتى أصبحت موضع اعجاب الناس، فكانت قصورا مزخرفة يطرد في جنباتها الماء على أحسن منظر على حد قول

ابن جبير(١٨٢).

لم تكن للصوفية مشيخة قبل صلاح الدين، ترجع اليها اعمالهم وتوحد مقاصدهم، بل كانت كل زاوية أو جماعة مستقلة عن غيرها، مما كان يؤدي الى الفتن بين الفرق، وعندما وقف صلاح الدين دار سعيد السعداء دويرة الصوفية، ولى عليهم شيخا، وجعل له شبه تقدم على غيره من المشايخ، ووقف عليهم بستانا بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وشرط أن من مات من الصوفية، وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره، ورتب للصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم(١٨٣).

انتشر التصوف بتشجيع من الأيوبيين، وتطور فأصبح علما وموضوعا للدرس الى جانب كونه سلوكا، فكان هدف الصوفي النهائي هو الاتحاد بالذات الالهية، أو ترداد الذكر والأدعية، واللجوء الى الرقص والموسيقى أو ما شاكل ذلك من وسائل تؤدي الى الذهول عن النفس، وسلوك الطريق الى المعرفة الالهية(١٨٤).

وكان لسلوك الصوفية قواعد وممارسات في حاجة للتدريب والتعليم، وكان الصوفيون في أغلب الأحيان معلمين، وكان التعليم الروحي هو الأساس الذي تقوم عليه طرقهم عامة، وكان شيخ الطريق يطلب من تلاميذه التوبة واتباع الزهد.

وصف لنا ابن جبير الصوفية فقال (وهذه الطائفة الصوفية هم ملوك لهذه البلاد، الا أنه قد كفاهم الله مؤن الدنيا، وفرغ خواطرهم لعبادته وأسكنهم في قصور تذكرهم بقصور الجنان، فالسعداء الموفقون هم الذين حصلوا على نعيم الدنيا والآخرة، فسيرتهم في التزام رتب الخدمة غريبة، وعوائدهم من الاجتماع للسماع المشوق جميلة، وبالجملة فأحوالهم كلها بديعة وهم يرجون عيشا طيبا هنيئا(١٨٥).

ازدهر التصوف، وأصبح فيه اتجاهان: اتجاه فردي فلسفي، واتجاه جماعي سني، وكان يمثل الاتجاه الأول ابن الفارض سلطان العاشقين للذات الالهية، وهو يصور في شعره وجده وهيامه بربه، ومدحه للرسول الكريم، أما الاتجاه الثاني فقد هيأ له السلاطين الأيوبيون الخانقاوات والزوايا، وأقبل عليها عدد من متصوفي العراق والشرق، والأندلس، وقد انتشرت ولا سيما أفكار الحركة القادرية التي يتزعمها

الشيخ عبدالقادر الجيلاني المتوفى ٥٦١ / ١١٦٦، والطريقة الرفاعية.

أنشأ بعض الشيوخ الصوفيين في العهد الأيوبي المدارس، وأخذوا يجيزون للنابهين من تلاميذهم القيام بشعائر الطريقة، وممارسة قواعدها وأصبح التأثير الروحي منتشرا بين بعض الناس الذين كانوا ينتمون الى الصوفية(١٨٦).

لم يستطع الأيوبيون الحيلولة دون تسرب العقائد المختلفة والفلسفات المتنوعة، فتطور من شكله البسيط الى أسلوب خاص في الحياة الدينية، أخرجه عن حدود الدين في بعض الأحيان.

ساهمت الصوفية في تطوير التعليم وتقدم العلوم والشعر(١٨٧)، وقد اشتهر كتاب (آداب المريدين) – للشيخ ابن النجيب عبدالله السهروردي المتوفى سنة ٥٦٢ / ١١٦٦(٤) وكتاب العوارف للشيخ عمر بن عبدالله السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥(١٨٨).

لقد اشتغل المتصوفون بنسخ الكتب والتدريس وقراءة الكتب والوعظ والارشاد. واشتهر بعض المتصوفين بعلمهم، ومنهم:

– **أبوالحسن بن علي الأنجب** ت ٦١١ / ١٢١٤، وهو شاعر حث على الزهد والتنسك، والتزود من الدنيا للآخرة بخير زاد، درس بالاسكندرية، ثم انتقل الى المدرسة الصاحبية ليدرس بها(١٨٩)، ومن شعره(١٩٠):

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكي
عساكي اذا بالغت في نشر دينه بما طلب من عرف له أن تمسكي
وخافي غدا يوم الحساب جهنما اذا لفحت نيرانها ان تمسكي

– **عمر بن الفارض** توفي ٦٣٢ / ١٣٢٥، كان يعتكف ويتعبد في جبل المقطم، شاعر ركز على الحب الالهي، وله ديوان شعر، ومن أشهر قصائده التائية الكبرى في السلوك، يبين فيها كثيرا من معاني التصوف ومنها(١٩١):

فلو قيل من تهوى وصرحت باسمها لقالوا كنى أو حسه طيف جنة
أغار عليها أن أهيم بحبها وأعرف مقداري فانكر غيرتي
أمست أمامي في الحقيقة فالورى ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي.

- **ابن عربي** ، أبوبكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الطائي ت ٦٣٨ / ١٢٤٠ (١٩٢) قدم من المغرب الى دمشق، واستقر بها حتى وفاته، قتله العامة عندما قال لهم (أنتم وما تعبدون تحت قدمي هذه) وفهم العامة جملته على ظاهرها، فقتلوه، في حين أنه كان يقصد أن الناس كانوا يعبدون المال(١٩٣)، وله مصنفات منها:

الفتوحات المكية	جمع فيه علوم الصوفية
فصوص الحلم	وفيه خلاصة مذهب ابن عربي
كتاب الأخلاق	وهو مزيج من السياسة والأخلاق

٥- نشر العلم والمعرفة :

شجع الأيوبيون الحركة التعليمية، فافتتحت المدارس، وأسست المساجد لتزويد المواطنين بمختلف علوم العصر، ولا سيما العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه، وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وآداب، بالاضافة للفلك والطب والحساب، وحرص الأيوبيون على تشجيع الطلاب، وأفراد المجتمع على الرمي والمبارزة، وركوب الخيل، ومواجهة متطلبات الحياة المادية، **(وعلمناهُ صَنْعة لَبَوس لكُم لتحصنكم مِن بأسِكم)**(الأنبياء ٨٠).

لم يقتصر التعليم على الصبيان فحسب، بل اتجه المواطنون الى طلب العلم في مختلف الأعمار، انطلاقا من قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) اطلبوا العلم من المهد الى اللحد(١٩٤)، فكان التعليم مستديما أي مستمرا طوال الحياة، دون تحديد لزمن أو عمر. وكان التعليم يراعي ميول الطلاب وقدراتهم. فقد أكد ذلك الغزالي، "ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة مواتية له، ولكن كل ما شاكل طبعه"(١٩٥).

والخلاصة كان التعليم أيام الأيوبيين يبدأ بالفرد وينتهي بالمجتمع، فقد اشتقت أهدافه من القرآن والسنة، وركز على تعريف الانسان بخالقه، وتطوير سلوكه، وتغيير اتجاهاته بحيث تنسجم مع الاتجاهات الاسلامية، **(قَد أفلحَ مَنْ تَزكى، وذَكرَ اسمَ ربه فَصلى، بل تُؤثرون الحياةَ الدُنيا، والآخرةُ خيرٌ وأبْقى)**. الأعلى (١٤-١٦)

حرص الأيوبيون على بناء مجتمع متماسك تربطه العقيدة الاسلامية وتشريعاتها، يتحمل كل فرد فيه المسؤولية لقوله (ﷺ) أنت على ثغرة من ثغر الاسلام، فلا يؤتين من قبلك، وقوله (ﷺ) من أصبح لا يهتم لأمر المسلمين فليس منهم، وعلى ابراز أهمية قيام هذا المجتمع، واعتبار الانتماء اليه دليل على صحة الايمان، **(انَ الذينَ آمنوا وَهاجرُوا وجَاهدَوا بِأموالهِم وأنفسِهم في سَبيل الله، والذينَ آووا ونَصَروا أولئك بعضُهم أولياءُ بعَض، وَالذينَ آمنوا ولم يُهاجروا مالكَم من ولايتهم مِنْ شيءٍ حتى يُهاجروا). (الأنفال ٧١)**

ركز التعليم في المجتمع الأيوبي على بناء الفرد بناء سليما في مجتمع سليم، وتزويده بالأفكار الاسلامية واكسابه النظم الأخلاقية والدينية، اذ يعتبر التعليم عملية تطبيع مع الجماعة، وعملية تعايش مع الثقافة، اذ يرمي التعليم الى سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، وقد اعتبرت الحياة الدنيا حياة استعداد الروح للحياة الثانية، وقد سمح للفرد بالتنعم في الدنيا في حدود الشرع الاسلامي، انصياعا لقوله (ﷺ)، ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، وآخرته لدنياه، ولكن خيركم من أخذ من هذه وتلك.

* اهتم التعليم بالفرد والجماعة والفروق الفردية، والميول والقدرات لكل انسان.
* لم يكن التعليم مقصورا على سن أو فترة، فقد أدرك المجتمع أن التربية المستديمة هي المفتاح الذهبي لتنمية الأفراد ولتطوير المجتمع، قال (ﷺ) طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.
* دعا الأيوبيون الى تلقي العلوم على اختلاف أنواعها، بلا تحديد، على أن لا تخالف تعاليم الاسلام وبخاصة المذهب السني.
* اهتم التعليم في المجتمع الأيوبي، على استنهاض الأمة للجهاد في سبيل الله والتركيز على اعادة الكيان الاسلامي في ظل دولة واحدة، تحت اشراف الخليفة العباسي، أي توحيد البلاد في مصر والشام والحجاز واليمن وازالة الخلافات المذهبية في المجتمع الأيوبي.

هوامش الفصل الأول

١ - مصطفى الدباغ ، الوجيز في تاريخ الدول العربية ، ٢٧/٣
٢ - دريد عبد القادر نوري ، سياسة صلاح الدين الأيوبي ، ٤٤٥ .
٣ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٨٣/١
٤ - المقريزي ، الخطط ، ١٥٦/٢
٥ - مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، ٢٧/٣ .
٦ - المقريزي ، السلوك ٩٨/١
٧ - إبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦٦/١٣
٨ - أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ١٧٠ .
٩ - ابن كثير ، مصدر سابق ، ١٨/١٣ .
١٠ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٤٩/٢ .
١١ - المصدر السابق ، ٢٤٥/٤ .
١٢ - أبو شامه ، الروضتين ١٢٢/١ .
١٣ - نظير سعداوي ، جيش مصر ، ٢٠
١٤ - ابن كثير، البداية والنهاية ، ١٠٩/١٣
١٥ - دريد عبد القادر نوري ، سياسة صلاح الدين ٨٧ .
١٦ - المقريزي ، الخطط ، ١٣٨/٢ .
١٧ - ابن منقذ ، الإعتبار ، ١٢٥ .
١٨ - أبو شامه ، الروضتين ، ٦٢/٢ .
١٩ - عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ١٢٧ .
٢٠ - أابن واصل ، مفرج الكروب ، ٣٢٢ .
٢١ - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣٣٣/١١ .
٢٢ - المقريزي ، الخطط ، ١٥٦/٢
٢٣ - سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ١٢٨/٢ .
٢٤ - إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٧٣/٦ .
٢٥ - حسن إبراهيم عبد العال ، فن التعليم عند ابن جماعة ، ٢٥ .
٢٦ - ابن منقذ ، الاعتبار ، ١٤١ .
٢٧ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢١٤/٢

٢٨ - إبن جبير ، الرحلة ، ١٦٣ .
٢٩ - السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ٥٤ .
٣٠ - ابن كثير البداية والنهاية ، ٨٧/١٣ ، أبو شامة الروضتيين ، ٨/٢ .
٣١ - المقريزي ، السلوك ، ٢٠٧/١ .
٣٢ - إبن جبير ، الرحلة ، ٥٩ .
٣٣ - المقريزي ، السلوك ، ٧١/١ .
٣٤ - أبو شامة : الروضتين ، ٢٠٦/١ .
٣٥ - ابن الأثير ، الكامل ، ٣٢٥/١٢ .
٣٦ - أبو الفداء ، مصدر سابق ، حوادث ٦٤٧ .
٣٧ - القلقشندي ، صبح الأعشى ٢٠٨/٤ .
٣٨ - نفس المصدر السابق ، ٢٠٤/٤ .
٣٩ - ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٢٥٥/٢ .
٤٠ - ابن عبري ، تاريخ مختصر الدول ٢٣٩ ز
٤١ - المقريزي ، السلوك ، ٢٥٨/١ .
٤٢ - فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب ، ٧٤٤ .
٤٣ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١١٠/٦ .
٤٤ - حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام ، ٦٢٧/٤ .
٤٥ - ابن تغري بردي ، مصدر سابق ١١٠/٦ .
٤٦ - ابن منقذ ، الاعتبار ، ١٢٥ .
٤٧ - نظير سعداوي ، جيش مصر ، ٨٦ .
٤٨ - المقريزي ، الخطط ، ١٩٨/٢ .
٤٩ - عبد الله علوان ، صلاح الدين الأيوبي ، ٨٧ .
٥٠ - ابن منقذ ، مصدر سابق ، ٧٨ .
٥١ - عبد الرحمن حبنكه ، أسس الحضارة الاسلامية ، ٣٨ .
٥٢ - عبد الرحمن محمد مراد ، عز الدين بن عبد السلام ، ١٧ .
٥٣ - ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٣/١١ .
٥٤ - أحمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٨٢/١٢ .
٥٥ - إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٨٢/١٢ .
٥٦ - إبن الوردي ، تتمة المختصر ، ٢٤٣/٢ .
٥٧ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢١١/٤ .

٥٨ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٩٤/٦ .
٥٩ – إسماعيل عبد العزيز الخالدي ، مرجع سابق ص ٦٢ .
٦٠ – رحلة إبن جبير ص ٢٢٩ .
٦١ – المقريزي ، الخطط ، ٢١/٣ .
٦٢ – ابن خلدون ، العبر ، ٦٤/٥ .
٦٣ – كرد علي ، خطط الشام ، ٢٥٢/٢ .
٦٤ – رحلة ابن جبير ، ٢٥٢ .
٦٥ – المقريزي ،الخطط ، ١٦١/٢ .
٦٦ – نفس المصدر السابق والصفحة .
٦٧ – نفس المصدر السابق ٢٧٥/٢ .
٦٨ – المقريزي ، الخطـط . ٣١/٣ .
٦٩ – هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الاسلامية، ٢٥).
٧٠ – ابن الأثير ، مثصدر سابق ، ١٠ /٢٣٢ .
٧١ – ابن الأثير ، الكامل ، ٢٣٢/١ .
٧٢ – Nutting The Arabs .p. 185
٧٣ – هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، ٥٢ .
٧٤ – ابن جبير ، الرحلة ، ٧٠ .
٧٥ – نفس المصدر السابق ، ٩٠ .
٧٦ – عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ١٣٣ ز
٧٧ – شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ٥٤٠/٦ .
٧٨ – إبن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨ .
٧٩ – إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢١/١٢ .
٨٠ – نفس المصدر السابق ، ١٢ / ١٦٧ .
٨١ – محمد علي الهرفي ، شعر الجهاد ، ٦٣ ز
٨٢ – محمد سعيد كيلاني ، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي ، ٣٥ .
٨٣ – أبو شامه ، مصدر سابق ، ١٤٦/٢ .
٨٤ – عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ٤٢٦/٣
٨٥ – الاصفهاني ، الفتح القدسي ١٨٤ .
٨٦ – إبن منقذ ، الإعتبار ١٣٦ .
٨٧ – المقريزي ، الخطط ، ٢٨٠/٢ .

٨٨ – المقريزي ، الخطط ، ٣٠٤/٢ .
٨٩ – ابن الجوزي ، المنتظم ، ١١/١٠ .
٩٠ – إبن الوردي ، تتمة المختصر ، ١٢٢/٢ .
٩١ – إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٥٨/٥ .
٩٢ – إبن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٨٢/١٢ .
٩٣ – إبن واصل ، مفرج الكروب ، ١٩٨/١ .
٩٤ – أبو شامه ، الروضتين ، ١٣/١ .
٩٥ – النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٣٩٣/١ .
٩٦ – إبن الوردي ، تتمة المختصر ، ١٢١/٢ .
٩٧ – إبن كثير ، البداية والنهاية ٢٩٣/١٢ .
٩٨ – سليم بشور ، التربية الجديده ، ٤١ .
٩٩ – الشيرزي ، نهاية التربة في طلب الحسبة ، ١٠٣ .
١٠٠– أحمد أبو هلال ، مقدمه في الأنثروبولوجيا التربوية ، ١٧٢ .
١٠١– القصص ٧٧ .
١٠٢– المؤمنون ١٣ .
١٠٣– عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص ١٥ .
١٠٤– قرآن كريم ، سورة البقرة ، آية ٣٠ .
١٠٥– قرآن كريم ، سورة الزخرف ، آية ١٤ .
١٠٦– عبد الفتاح جلال ، من الأصول التربوية في الإسلام ، ص ٦٣ .
١٠٧– قرآن كريم ، سورة النحل ، آية ١٦ .
١٠٨– سورة النحل ، آية ٧٨ .
١٠٩– قرآن كريم سورة الذاريات ، آية ٥٩ .
١١٠– عبد الكريم عثمان ، مرجع سابق ١٨ .
١١١– عبد الكريم النحلاوي ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .
١١٢– قرآن كريم ، سورة التوبة ، آية ٣٨ .
١١٣– ابن الأثير ، الكامل ، ١٨٣/١٠ .
١١٤– هاملتون جب، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ٣٣ .
١١٥– إبن شداد ، النوادر السلطانية ، ٢١ .
١١٦– ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٧٣ .
١١٧– حسن أمين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ٢٢٢ .

١١٨- إبو شامة ، الروضتين ، ١٩٧/١ .
١١٩- إبن كثير، البداية والنهاية ٢٤١/١٢ ، إبن الوردي، مصدر سابق ، ١٢١/٢ .
١٢٠- المقريزي ، السلوك ، ١٦٣/١ .
١٢١- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٣٥/١ .
١٢٢- إبن كثير ، مصدر سابق ، ٢١٤/١٢ .
١٢٣- إبن الأثير ، الكامل ، ٣١٩/١١ .
١٢٤- ابن واصل ، مصدر سابق ، ١٩٨/١ .
١٢٥- إبن الأثير ، مصدر سابق ، ٣٢٠/١١ .
١٢٦- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ٥٠٠ .
١٢٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٠٠/٢ .
١٢٨- هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ٣٠ .
١٢٩- هاملتون جب ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .
١٣٠- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٢١ .
١٣١- دريد عبد القادر نوري ، سياسة صلاح الدين العسكرية ، ٤٥ .
١٣٢- ابن الأثير ، الكامل ، ٥٩٧/١١ .
١٣٣- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣٧/١٢ .
١٣٤- إبن واصل ، مفرج الكروب ، ٢٥٤/٢ .
١٣٥- أبو شامة ، الروضتين ، ١٢٩/٢ .
١٣٦- ابن شداد ، مصدر سابق ، ٢١ .
١٣٧- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٢٧٥/٢ .
١٣٨- ابو شامه ، ذيل الروضتين ، ١٠٣ .
١٣٩- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ٣٣٧/٦ .
١٤٠- عبد الله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام ، ١٠٨٨/٢ .
١٤١- سورة محمد آية ٣٥ .
١٤٢- سورة الحج آية ٧٨ .
١٤٣- سورة الأنفال آية ٦٠ .
١٤٤- سورة النساء آية ٧١ .
١٤٥- سورة التوبة آية ٤١ .
١٤٦- سورة النساء آية ٧٤، ٧٥ .
١٤٧- سورة النساء آية ١٠٤ .

١٤٨- سورة النساء آية ٧٦ .
١٤٩- سورة الأنفال آية ١٥، ١٦ .
١٥٠- سورة الأنفال آية ٤٥ ، ٤٦ .
١٥١- التوبة آية ١١١ .
١٥٢- سورة التوبة آية ٥٢ .
١٥٣- سورة آل عمران آية ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
١٥٤- سورة الأنفال آية ١٢ .
١٥٥- سورة الصف آية ١٠،١١،١٢،١٣ .
١٥٦- سورة محمد آية ٧ .
١٥٧- سورة النور آية ٥٥ .
١٥٨- نظير سعداوي ، جيش مصر ، ٨٦ .
١٥٩- ابن خلدون ، تاريخ إبن خلدون ٣٦٤/٤ .
١٦٠- أبو شامه ، الروضتين ٤٩/٢٠ .
١٦١- أبو العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ١٨/٥ .
١٦٢- أبو شامه ، الروضتين ٢٣٣/٢ .
١٦٣- جودت الركابي ، الأدب العربي ، ١٠٠ .
١٦٤- المقريزي ، السلوك ، ١٢٦/١ .
١٦٥- المقريزي ، الخطط ، ٤٩٠/١ .
١٦٦- إبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ١١٤/٦ .
١٦٧- مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ١٤٤/٩ .
١٦٨- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣٧/١٣ .
١٦٩- نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .
١٧٠- كامل العسلي ، معاهد التعليم في بيت المقدس ، ٣٠٥ .
١٧١- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٨/١٣ .
١٧٢- غنيمه ، إمارة الكرك ، ٣٤٧ .
١٧٣- عمر البرغوثي ، تاريخ فلسطين ، ١٦٣ .
١٧٤- إبن منقذ ، الإعتبار ، ١٢٥ .
١٧٥- المقريزي ، الخطط ، ٣٨١/٢ .
١٧٦- إبن جبير ، الرحلة ١٣٢،
١٧٧- ابن منقذ ، الاعتبار ، ١٨٧ .

١٧٨- أبو العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١٤٨/٥ .
١٧٩- المقريزي ، السلوك ، ٩٨/١ .
١٨٠- السيد الباز العريني ، الأيوبيين ، ١٣٩ .
١٨١- المقريزي ، الخطط ، ٤١٥/٢ .
١٨٢- إبن جبير ، الرحلة ، ٣٣٣ .
١٨٣- المقريزي ، الخطط ، ٤١٦/٢ .
١٨٤- كامل العسلي ، معاهد العلم في بيت المقدس ٣٠٥ .
١٨٥- ابن جبير ، الرحلة ، ٣٣٤ .
١٨٦- هاملتون جب ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ٣٦ .
١٨٧- سيد حسين نصر ، الصوفية بين الأمس واليوم ٣٢ .
١٨٨- إبن خلكان، وفيات الأعيان ٢٠٤/٣ .
١٨٩- عبد الجليل عبد المهدي ، المدارس في بيت المقدس ١١١/١ .
١٩٠- إبن كثير ، البدايـة والنهايـة ، ٧٤/١٣ .
١٩١- عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ٥٢٤/٣ .
١٩٢- إبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦٧/١٣ .
١٩٣- عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي ٥٢٧ .
١٩٤- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٣/١ .
١٩٥- الغزالي ، الاحياء ، ٥٦/١ .

الفصل الثاني

تطور الحركة التعليمية

١- نشأة المدارس

* رعاة التعليم في العهد الأيوبي
* خصائص المدارس الأيوبية
* مدارس العهد الأيوبي
* أنواع المدارس

٢- الكتاب

٣- مصادر تمويل التعليم

٤- المراكز ذات الأثر التعليمي

* المساجد والجوامع
* الربط
* الخوانق
* الزوايا

٥- المكتبات



تطور الحركة التعليمية

كان التعليم يتم في المسجد والمجالس الخاصة، وبيوت العلماء والوزراء، وكانت الحلقات الدراسية والمناقشات الأدبية واسعة الانتشار، ولا سيما في المساجد حيث كانت أهم مراكز التعليم والتثقيف حتى القرن الخامس الهجري، وما أن أطل القرن السادس الهجري حتى بدأت المؤسسات التعليمية تنتظم في مدارس منظمة، يعين لها مدرسون هدفهم تعليم الطلاب وتهذيب سلوكهم.

قرب الأيوبيون العلماء، وكانوا يستقطبونهم ويغدقون عليهم ويباحثونهم في العلوم المختلفة، فقد استدعى الملك المعظم العلماء الى بيت المقدس سنة ٦٢٣ / ١٢٢٦ ، وباحثهم في مسائل لغوية وفقهية(١).

ازدهرت النهضة العلمية في بلاد الشام ومصر أيام الأيوبيين، فقد أشادوا المدارس لدعم المذهب السني، ولتوعية الناس به وتعزيز مكانة أهل السنة العلمية، وكانت المدارس من الأجهزة الرسمية السياسية الهامة، هدفها زيادة شعبية الحكام بين الناس واكتساب ثقتهم، وبخاصة انهم كانوا غرباء عن البلاد التي كانوا يحكمونها، بالاضافة الى تخريج القضاة والخطباء والموظفين اللازمين للدولة.

أشاد الأيوبيون المدارس، وأقاموا المساجد، ودعموا المكتبات والزوايا والربط والخوانق، وقلد بعض المحسنين حكامهم في بناء المدارس تقربا لله، واحتسابا لوجهه، في حين شيد بعض الموسرين المدارس كمظهر من مظاهر الفخر والظهور، بالاضافة الى ما سبق.

سأعالج في هذا الفصل تطور نشأة المدارس ورعاية الأيوبيين للحركة التعليمية. والمدارس التي أشادها الأيوبيون، أنواعها، ومصادر تمويل التعليم، بالاضافة الى المراكز ذات الأثر التعليمي من مساجد، وربط وخوانق وزوايا.

١ – نشأة المدارس

كانت المساجد مركزا للحلقات الدراسية العديدة، وكانت أصوات الطلاب والمدرسين تنبعث عاليا أثناء المناقشات والمناظرات، فتختلط فيما بينها، وتعرقل التدريس، وتضايق المصلين أحيانا، وتحد من مناقشة الأمور، والقيام بالتطبيقات الدراسية العملية، هذا بالاضافة الى ما كان يعانيه طلاب العلم القادمين من مناطق نائية من عدم توفر المساكن والمرافق العامة، فكان لزاما عليه توفير حل لهذه الأمور.

لم يعد المسجد يلبي حاجات المجتمع كمكان لعبادة الناس، وصلاتهم، ومكان لتلقي الطلاب الدروس، فبدأت فكرة اقامة المدارس في القرن الرابع الهجري(٢)، وسرعان ما بدأ انتشار المدارس، وتولى التدريس فيها فئة من المدرسين الذين كانوا يختارون بعناية، وفق شروط يحددها واقف المدرسة(٣).

وعندما فتح السلاجقة بغداد، وجدوا ضرورة تحرير عقول الناس من أفكار الشيعة التي نشرها البويهيون(٤)، فكان أن أسس نظام الملك وزير ألب أرسلان المدارس، وقد نسبت هذه المدارس اليه، فعرفت باسم المدارس النظامية، وقد انتشرت في المدن الكبيرة، ومن أشهرها المدرسة النظامية في بغداد، والمدرسة النظامية في نيسابور(٥).

عرفت المدارس في الشام في وقت مبكر، اذ بنى شجاع الدين صادر بن عبدالله أولى المدارس بدمشق للأحناف عام ٤٩١ / ١٠٩٧(٦)، ولما جاء نور الدين استدعى شرف الدين بن أبي عصرون، فبنى له المدرسة النورية بدمشق، وقد وصفها ابن جبير بأنها(٧) (من أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين، وهي قصر من القصور الأنيقة) ،كما أسس نور الدين مدارس في حلب وحماة وحمص وبعلبك.

ولما جاء صلاح الدين اقتفى أثر نور الدين في بناء المدارس في أنحاء مختلفة من القاهرة والقدس، ودمشق، فلدى توليه وزارة العاضد في مصر أسس مدرسة الشافعية بجوار الجامع العتيق عرفت بأسماء كثيرة منها المدرسة الناصرية(٨)، كما أسس مدرسة للمالكية عرفت باسم القمحية، وبعد موت العاضد استمر صلاح

الدين في بناء المدارس، وتابع خلفاؤه من بعده اقامة المدارس ورعاية التعليم، ولدى زيارة ابن جبير بلاد الشام، ذكر أنه كان في حلب خمس مدارس، وفي حماة ثلاث مدارس وفي حمص مدرسة واحدة، وفي دمشق عشرين مدرسة(٩).

لم تتوقف حركة انشا المدارس بسقوط الأيوبيين، وقيام المماليك، فقد سار هؤلاء سيرة سادتهم في هذا الشأن.

• رعاة التعليم في العهد الأيوبي

اشتهر سلاطين الأيوبيين بحبهم العلم والعلماء، وتشجيعهم بناء المدارس والمساجد، فكان صلاح الدين يجمع حوله رجال العلم، ويحضر مجالسهم، ويشاركهم في أبحاثهم. ذكر ابن خلكان(١٠)، أنه سمع الحديث من الحافظ السلفي توفي سنة ٥٧٦ / ١١٨١ في الاسكندرية، والفقيه أبي ظاهر بن عوف الزهري، وسمع بمصر من أبي محمد بن بري النحوي ٥٨٢ / ١١٨٧ ، وكان يكرم أرباب العلم ويحضرهم عنده وينالهم احسانه(١١)، وقد أسس صلاح الدين المدرسة الناصرية في القاهرة، والصلاحية في القدس والصلاحية بدمشق(١٢).

ويبدو أن صلاح الدين أنشأ في الاسكندرية مدارس جديدة كما يفهم من كلام ابن جبير ((ومن مناقب أهل الاسكندرية ومفاخره العائدة في الحقيقة الى سلطانه المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل العلم والتعبد، يفدون من الأقطار النائية، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، واجراء يقوم به في جميع أحواله)).

سار خلفاء صلاح الدين على سنته، فقد عرف عن ابنه الملك الظاهر صاحب حلب أنه عمر المدرسة الظاهرية البرانية في دمشق ٦١٣ / ١٢١٦، وأجرى عليها الأوقاف، كما قرر اقطاعا جيدا للمدرسة الصاحبية التي أنشأها ابن شداد في حلب، واستدعى الفقهاء من كل الأمصار ليجعل من حلب كعبة العلوم والعلماء،واشتهر العزيز عثمان بن صلاح الدين بثقافته الواسعة، فكان يواصل سماع الحديث من العلامة ابومحمد النحوي توفي سنة ٥٨٢ / ١١٨٧ .

ورحب بمقدم عبداللطيف البغدادي توفي عام ٦٢٩ /١٢٣١ الى مصر،

وأجرى عليه من بيت المال ما يزيد عن كفايته(١٣)، واستقدم الحسن بن الخطير إلى القدس، وأغدق عليه حتى أغناه(١٤).

وقد أوصى الملك الأفضل قاضي مصر زين الدين بن بندار العناية بالعلم (نحن نوصيك بطلبة العلم وصيتين(١٥)، الأولى أن تنحو لهم في أوقات الاشتغال، وتكون لهم كالفرائض الذي لا يبسط لهم بساطة الراحة، ولا يكلفهم مشقة الكلال، والثانية أن تدر عليهم أرزاقهم ادرار المسامح، وتنزلهم فيها قدر الافهام والقرائح).

أحب الملك العادل العلم والعلماء، حتى أنه شيع جنازة شهاب الدين الطوسي في مصر عام ٥٩٦ / ١٢٠٠، كما أشاد المدرسة العادلية الكبرى سنة ٦١٢ / ١٢١٥(١٦)، وأوقف عليها، وقد ذكر النعيمي أن بناءها كان متقنا لا نظير له في بناء المدارس(١٧). وكان الملك المعظم حجة في الفقه والنحو، وقد اشتغل في الفقه الحنفي، وصنف كتابا رد فيه على الخطيب البغدادي لطعنه في أبي حنيفة، واسمه (السهم المصيب في الرد على الخطيب)(١٨)، وساهم في بناء المدرسة المعظمية بالقدس، وشجع العلم حتى أنه خصص بعض المكافآت لمن يتقن بعض العلوم، فكان يقول، "من حفظ الجامع الكبير للبلخي أعطيته مائة دينار، ومن حفظ الزمخشري أعطيته ثلاثين دينارا"(١٩).

وعرف الكامل بولعه بالتاريخ والفلسفة، والعلوم لدرجة أنه كان يحتفظ بجوار مخدعه في القلعة بجماعة من العلماء ينامون قربه، ليناقش معهم في مختلف العلوم(٢٠) وكان شاعرا، وعنده شغف بسماع الحديث فبنى المدرسة الكاملية بالقاهرة سنة ٦٢٢ / ١٢٢٥، وجعل عليها الأوقاف(٢١)، واهتم الأشرف موسى بن العادل بالحديث النبوي، فأسس دارين خاصتين لدراسة الحديث، وهما دار الحديث الجوانية، ودار الحديث البرانية بدمشق(٢٢).

وكان الناصر داود يحب العلم، وفي عهده راجت العلوم العقلية، ونشطت دراسة الفلسفة(٢٣)، وكان يتردد الى شمس الدين الخسرو شاهي يقرا عليه عيون الحكمة للشيخ أبي علي بن سينا، وكان اذا وصل الى بيت الخسرو شاهي أومأ لمن معه من الحشم ليقفوا مكانهم ويترجل، ويأخذ كتابه تحت ابطه ملتفا بمنديل،

ويجيء الى باب الحكيم ويقرعه، فيفتح له، ويدخل، ويقرأ، ويسأل عما خطر له، ثم يقوم دون أن يمكن الشيخ من القيام له(٢٤).

وأشاد الملك الناصر يوسف بن العزيز دار الحديث الناصرية، والمدرسة الناصرية الجوانية(٢٥)، أما الصالح أيوب فكان محبا للعزلة غير ميال للعلم والمطالعة، ولكنه أغدق على التعليم فبنى المدرسة الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١ / ١٢٤٣، وكان يدرس بها فقه المذاهب الأربعة(٢٦)، واشترى المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب منازل العز في مصر، وجعل احداها للشافعية، كما أسس المدرسة التقوية في الشام، ولما أصبح صاحب حماة بنى المدرسة المظفرية فيها.

وكان الأمجد الأيوبي صاحب بعلبك يحضر دروس الحافظ اليونيني، ومما ساعد على ازدهار الدراسة والعلم أيام الأيوبيين أن أمراء البيت الأيوبي توزعوا بلدان الشام فيما بينهم، وتحول كل أمير منهم في بلده الى راع للعلوم والآداب، ودفع ذلك الى تنافس بينهم فاستقطبوا العلماء في كل فروع العلم، الى اماراتهم من كل مكان.

لم يقتصر الاهتمام بالتعليم وبناء المدارس ودور الحديث والمساجد على الملوك الأيوبيين، بل شاركت الأميرات وبناتهن في ذلك، فذكر ابن جبير(٢٧) (ومن الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها الأوقاف).

لقد أسست ست الشام زمرد خاتون أخت صلاح الدين مدرستين للشافعية هما الشامية البرانية والشامية الجوانية. وبنت ربيعة خاتون مدرسة الصاحبية بدمشق وأنشأت زهرة خاتون بنت العادل المدرسة العادلية الصغرى بدمشق، ووقفت عليها، كما أنشأت مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر صاحب حماة مدرسة ووقفت عليها(٢٨)، وأسست زوج الملك الأشرف مدرسة بجبل قاسيون(٢٩)، وكذلك زوج الملك المعظم الماردانية بدمشق.

حذا الولاة والوزراء والعلماء والتجار والمحسنون حذو السلاطين في رعاية العلم، وتنافسوا في بناء المدارس والمراكز التعليمية، وحبس الأوقاف عليها، فبنى القاضي الفاضل سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ المدرسة الفاضلية، وبنى التاجر زكي الدين بن

رواحة الحموي مدرستين للشافعية، احداهما في دمشق والأخرى في حلب، وشرط أن لا يدخلها حنبلي، أو نصراني أو يهودي(٣٠) وأنشأ أبوسعيد بن ميمون خازندار صلاح الدين المدرسة الميمونة في بيت المقدس(٣١).

وبنى الأيوبيون المدارس في اليمن، فقد أسس مجير الدين كافور التقوى أحد خدام سيف الاسلام العزيز بن طغتكين بن أيوب المدرسة المجيرية في تعز(٣٢)، وأشاد الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب المدرسة المعزية في تعز كما بنى الأمير سيف الدين الأتابك سنقر بن عبدالله الأيوبي المدرسة التابكية في هزيم جنوب تعز.

• **خصائص مدارس الأيوبية :**

ازدادت المدارس في العهد الأيوبي، وقد أنشئت لتعليم الفقه السني بمذاهبه الأربعة، (الشافعي، والحنفي، والمالكي والحنبلي) وابعاد النفوذ الشيعي.

كانت المدارس تنسب الى منشئها أو مدرسها المشهور، لذلك تشابهت أسماء المدارس في دمشق والقاهرة والقدس، كالمدرسة الصلاحية، فقد سميت هذه المدارس نسبة الى منشئها السلطان صلاح الدين، وبقيت عدة مدارس تحمل أسماء منشئها حتى اليوم.

امتازت المدارس الأيوبية بأنها كانت مفتوحة لجميع الناس دون تمييز بين الطبقات وبالمجان(٣٣)، وكانت بعض المدارس كبيرة جدا، وتدرس فيها مختلف العلوم، حتى يمكن تشبيهها بكلية، ومن هذه المدارس المدرسة الصلاحية بالقدس، والصالحية بالقاهرة والغزالية والنورية بدمشق، حيث كانت تدرس العلوم الشرعية والاجتماعية والأدبية والرياضية والطبيعية بالاضافة الى علم الكلام والفلسفة والموسيقى(٣٤).

لم تكن الدولة تنفق على جميع المدارس، بل كان يقتصر على بعض المدارس، وكانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية يحدد شروطها الواقف على المدرسة، اذ كان يبين هدف المدرسة وعدد طلابها والعاملين فيها، وكان في غالب الأحيان يحدد لكل مدرس عشرين طالبا، الا أن العدد غير ثابت، اذ يزداد حسب شهرة المدرس ومكانته، ومقدار الوقف الذي خصص لها(٣٥).

لم تكن المدارس بصورة عامة مؤسسات تابعة للدولة بل كانت تنشأ باسم أشخاص، حكاما كانوا أو محكومين، وبهذا كانت معظم المدارس مستقلة ماليا، الا أنها لم تكن مستقلة استقلالا سياسيا ودينيا، اذ كان الحكام السنيون يراقبون التعليم في المدارس، كما كان الفاطميون يعملون في معاهدهم(٣٦).

كانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية، وهذه الأوقاف توقف على المدرسة للانفاق عليها ولضمان استمرارها، وتكون الأوقاف الأراضي الزراعية والحوانيت أو طواحين، ولذلك كانت تزدهر المدارس بازدهار أوقافها(٣٧)، ومن حسنات نظام الوقف على المدارس أنها فتحت أبوابها لجميع فئات المجتمع، فنبغ كثير ممن ولدوا في بيوت الفقر، وكانت المدرسة تنقرض اذا زال الوقف.

استقطب الأيوبيون علماء الأندلس النابهين كالشاطبي، وكثير من علماء بغداد مثل عبداللطيف البغدادي، وكفوهم مؤنة المعيشة، وأجروا عليهم الادرارات الكثيرة، وقد أحدث هؤلاء الوافدون حركة علمية قوية وكانت فرص التعليم مكفولة للجميع، فلم تكن مقتصرة على الأغنياء، اذ أولى منشئو المدارس الطلاب الفقراء والغرباء عناية كبيرة، وخصصوا لهم الجرايات الكافية لتأمين معيشتهم والتفرغ للدراسة، وقد شق كثير من الفقراء طريقهم في طلب العلم، ويقول ابن جبير عما يلقاه طالبو العلم من الرعاية في بلاد الشام، (من شاء الفلاح فليرحل الى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم، فيجد المعينات كثيرة)(٣٨)، ومما يسترعي الانتباه أنه لم يكن للفتيات مكان في المدارس، وانما كن يدرسن على آبائهن أو أقاربهن في غالب الأحيان.

كانت الوظائف في المدارس على نوعين، وظائف علمية ووظائف ادارية، وكانت أهم الوظائف هي وظيفة شيخ المدرسة(٣٩)، اذ كان يعين السلطان المدرسين بمرسوم رسمي، وكان بعض المدرسين يتولون الخطابة والامامة والقضاء بالاضافة الى التدريس، وكان يتولى شرح الدرس للطلاب بعد المدرس المعيد(٤٠).

أما الوظيفة الادارية فهي وظيفة الناظر، وهو الذي يتولى ادارة شؤون المدرسة، فيشتري لوازمها، ويصرف رواتب العاملين بها، وكان الناظر عادة من العلماء،

ويشارك في التدريس، ويساعده نائب له اذا غاب، بالاضافة الى خازن الكتب المسؤول عن المكتبة، وكتبه وجباه وقراء وفراشون وأذنة(٤١).

ويلاحظ أن وظائف التدريس في بعض المدارس كانت شبه وراثية، ومحصورة في أبناء العائلات، فقد كان التعليم في المدرسة المعظمية مقصورا على أبناء عائلة الديري(٤٢). امتازت المدارس الأيوبية بأن معظمها بني من الحجر الجيد، وان بعضها كان تحفا معمارية تجلت فيها روعة وجمال الهندسة العربية، وكانت المباني تتميز ببوابات عالية، وفي أعلى البوابة قوس مرتفع، وكان الباب نفسه يشكل جزءا من البوابة، وكان هناك عدد من النوافذ المطلة على الشارع والمغطاة بشعريات من الخشب، وكانت مباني المدارس غالبا مؤلفة من طابقين، وجدرانها مبنية من الحجارة الكبيرة يشد بعضها الى بعض بالجير والرمل.

أما خطة المباني من الداخل فيقول الدكتور حسن ابراهيم(٤٣) (يدخل المرء من بوابة الى بهو يفضي الى صحن واسع كبير مربع، وفي كل جانب من جوانبه الأربعة ايوان تعلوه قبة تحتها محراب. وكان أكبرها الايوان القبلي، وكان هناك درج في احدى زوايا الصحن يصعد منه الى الطابق الثاني، حيث غرف سكن العاملين في المدرسة).

(وقد وصف ابن جبير مدرسة القرافة الصغرى التي عمرها صلاح الدين(٤٤)، لم يعمر بهذه البلاد مثلها لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن بها أنها بلد مستقل بذاته بازائها حمام، والمتفقهة لا تحصى).

* **مدارس العهد الأيوبي :**

قامت العديد من المدارس في العهد الأيوبي، اضافة الى ما كان موجودا من المدارس في العهود السابقة، قد انتشرت في المدن، وفيما يلي المدارس التي تأسست في أيام الحكم الأيوبي، ويرمز الى نوعها الفقه الشافعي ش، والفقه الحنفي ح، الفقه المالكي م، الفقه الحنبلي ل.

أ - مدارس مصر

المدرسة	المؤسس	المرجع	نوع المذهب
الناصرية	السلطان صلاح الدين	خطط المقريزي ٣١٥/٣	ش

القمحية	السلطان صلاح الدين	خطط المقريزي ٣/٣١٦	م
السيوفية	السلطان صلاح الدين	خطط المقريزي ٣/٣١٨	ح
الناصرية/القرافة	السلطان صلاح الدين	خطط المقريزي ٣/٣٧٧	ح
العادلية	السلطان العادل	خطط المقريزي ٣/٣١٨	م
الكاملية	السلطان الكامل	خطط المقريزي ٣/٣٣٥	المذاهب الأربعة
الصالحية	السلطان صالح نجم الدين أيوب	خطط المقريزي ٣/٣٣٣	المذاهب الأربعة
القطبية	الأمير قطب الدين أحمد	خطط المقريزي ٣/٣١٨	ش
منازل العز	الأمير تقي الدين عمر الأيوبي	خطط المقريزي ٣/٣١٦	ش
مدرستا الفيوم	الأمير تقي الدين عمر الأيوبي	خطط المقريزي ٣/٣٣٢	ش
الأزكشية	الأمير سيف الدين أبا زكوج	خطط المقريزي ٣/٣٢٢	ح
السيفية	الأمير سيف الاسلام طغتكين بن أيوب	خطط المقريزي ٣/٣٢٢	ش
الشريفية	الأمير الشريف فخر الدين أبونصر اسماعيل	خطط المقريزي ٣/٣٣٢	ش
الصيرمية	الأمير جمال الدين بن صيرم	خطط المقريزي ٣/٣٤٢	ش
القطبية	الأمير قطب الدين خسرو بن شجاع أحد أمراء صلاح الدين	خطط المقريزي ٣/٣٢٣	ش
العاشورية	عاشوراء بنت ساروخ الأسدي زوجة الأمير ايازكوج	خطط المقريزي ٣/٣٢٣	ح
الفاضلية	الوزير القاضي الفاضل	خطط المقريزي ٣/٣١٩	ش، م
الصاحبية	الوزير عبدالله بن علي بن الحسن	خطط المقريزي ٣/٣٢٦	م
الفائزية	الوزير شرف الدين هبة بن صاعد الفائزي	خطط المقريزي	ش
الفخرية	استادار الكامل فخر الدين البارومي	خطط المقريزي ٣/٣٢٢	ش
الأرسوفية	التاجر عفيف الدين بن أحمد الأرسوفي	خطط المقريزي ٣/٣١٦	ش
المسرورية	مسرور الصفدي	خطط المقريزي ٣/٣٤٠	م
الغزنوية	العتيق حسام الدين قايماز	خطط المقريزي ٣/٣٦١	ح
ابن رشيق	القاضي علم الدين بن رشيق	خطط المقريزي ٣/٣١٨	ش

ب - مدارس بلاد الشام

أنشأ نور الدين اربعة عشر معهدا في بلاد الشام، منها ستة في دمشق، وأربعة في حلب، واثنان في حمص، وواحدا في بعلبك(١)، وأنشأ الأيوبيون مدارس عديدة في معظم بلاد الشام.

١ – مدارس بيت المقدس

المدرسة	المؤسس	المرجع	نوع المذهب
الصلاحية	السلطان صلاح الدين	الأنس الجليل ٢/٤١	ش
الأفضلية	السلطان الأفضل بن صلاح الدين	الأنس الجليل ٢/٤٦	م
النحوية	السلطان المعظم عيسى	الأنس الجليل ٢/٤٦	ح
الميمونية	الأمير أبوسعيد ميمون بن القصري خازندار صلاح الدين	الأنس الجليل	ش
البدرية	الأمير بدر الدين أبوالقاسم	الأنس الجليل ٢/٤٧	ش
الناصرية أو/ الغزالية(٢)	السلطان المعظم عيسى	الأنس الجليل ٢/٣٤	ح
المعظمية أو/ الحنفية	السلطان المعظم عيسى	عارف المعارف ٢٨١	ح زاوية للقرآن
الجراحية	الأمير حسام الدين الحسني شرف الدين عيسى الجراحي	عارف المعارف ٢٧٩	ش
العزية	عزالدين أيبك المعظمي استادار الملك المعظم	النعيمي ١/٥٧٧	ح

٢ – مدارس دمشق

المدرسة	المؤسس	المرجع	المذهب
الصلاحية	السلطان صلاح الدين	النعيمي ٢/١٠	ش + م
العزيزية	السلطان العزيز بن صلاح الدين	النعيمي ١/٣٨٢	ش
الظاهرية البرانية	الملك الظاهر بن صلاح الدين	النعيمي ١/٣٤٠	ش
العادلية الكبرى	السلطان العادل	النعيمي ١/٣٥٩	ش
المعظمية	الملك المعظم عيسى	النعيمي ١/٥٧٩	ح
دار الحديث البرانية	الملك موسى بن العادل	النعيمي ١/٤٧	حديث
العزيزية	الملك العزيز بن العادل	النعيمي ١/٥٤٩	ش
الفروخشاهية	الأمير فرخشاه بن شاهنشاه	النعيمي ١/٥٦١	ش + ح
العادلية الصغرى	زهرة خاتون بنت الملك العادل	خطط الشام ٦/٨٦	ش
التقوية	الأمير تقي الدين بن شاهنشاه	النعيمي ١/٩٦	ش
الصاحبية	الأميرة ربيعة بنت نجم الدين	النعيمي ٢ / ٧٩	ل

الشامية البرانية	الأميرة ست الشام بنت نجم الدين	النعيمي ٢٧٧/١	ش
الشامية الجوانية	الأميرة ست الشام بنت نجم الدين	النعيمي ٣٠١/١	ش
الماردانية	زوجة المعظم خاتون عزيزة	النعيمي ٥٩٢/١	ح
العذراوية	الأميرة عذراء بنت صلاح الدين	النعيمي ٣٧٣/١	ش
الأتابكية	زوجة الأشرف خاتون بنت عز صاحب الموصل	النعيمي ١٢٩/١	ش
البهنسية	الوزير مجد الدين البهنسي	النعيمي ٢١٥/١	ش
العزية البرانية	عزالدين الأعطمي حاكم صرخد	النعيمي ٥٥/١	ح
الجركسية	فخر الدين شركس الصلاحي	النعيمي ٤٩٦/١	ش + ح
دار الحديث العروية	الفقيه شرف الدين بن عروة	النعيمي ٨٢/١	
الاقبالية	العتيق جمال الدين اقبال	النعيمي ١٥/١	ح
الرواحية	التاجر زكي الدين بن رواحة	النعيمي ٢٦٥/١	ش
الركنية الجوانية	العتيق ركن الدين منكورس	النعيمي ٢٥٣/١	ش
الدولعية	الفقيه جمال الدين الدولعي	النعيمي ٣٤٢/١	ش
الدماغية	زوجة شجاع الدين بن دماغ	النعيمي ٢٣٦/١	ش
العصرونية	القاضي شرف الدين بن عصرون	النعيمي ٣٩٨/١	ش
الركنية الجوانية	الأمير ركن الدين بنكورس الفلكي	ابن كثير ١٥٢/١٣	ح
العالمة	أم اللطيف بنت الناصح	خطط الشام ٩٩/٦	ل
العلمية	علم الدين سنجر المعظمي	أحمد بدوي ٣٤	ح
الصارمية	العتيق صارم الدين بن ازبك	النعيمي ٣٢٦/١	ش
الفلكية	فلك الدين سليمان أخ الملك عادل لامه	النعيمي ٤٣١/١	ش
الصدرية	صدر الدين لأبي الفتح اسعد التنوخي	خطط الشام ٩٧/٦	ل
المسرورية	شمس الدين الخواص مسرور	النعيمي ٤٥٥/١	ش
الشبلية	شمس الدين الحسامي	النعيمي ٥٣٠/١	ح
الضيائية المحمدية	ضياء الدين محمد بن عبد الواحد	خطط الشام ٩٧/٦	ل
الكروسية	محمد بن عقيل كروس / محتسب	النعيمي ٩٨/١	ش

٣ — مدارس حلب

المدرسة	المؤسس	المرجع	المذهب
الجردكية	جرديك النوري	خطط الشام ١٠٨/٦	ح
الحدادية	حسام الدين محمد بن لاجين	خطط الشام ١٠٨/٦	ح
الصاحبية	بهاء الدين بن شداد	خطط الشام ١٠٣/٦	ش

الظاهرية	الملك الظاهر	خطط الشام ١٠٤/٦	ش + ح
الشرفية	شرف الدين عبدالرحمن	خطط الشام ١٠٤/٦	ش
الرواحية	ركن الدين هبة الله محمد	خطط الشام ١٠٤/٦	ش
البدرية	بدر الدين عتيق عماد	خطط الشام ١٠٥/٦	ح
السيفية	سيف الدين علم بن علم	خطط الشام ١٠٥/٦	ش + ح
الشادبختية	جمال الدين شادبخت	خطط الشام ١٠٥/٦	ش
الظاهرية	الملك الظاهر غياث	خطط الشام ١٠٥/٦	ش
الهروية	الملك الظاهر غازي	خطط الشام ١٠٦/٦	ش
الفردوس	الملكة ضفة خاتون بنت الملك العادل	خطط الشام ١٠٦/٦	ش
البلدقية	الأمير حسام الدين بلدق	خطط الشام ١٠٦/٦	ح
القيصرية	حسام الدين القيصري	خطط الشام ١٠٦/٦	ش
الأتابكية	طغرل بك عتيق الملك الظاهر غياث	خطط الشام ١٠٧/٦	ش
الحسامية	الأمير حسام الدين محمود	خطط الشام ١٠٨/٦	ح
الطمانية	الأمير حسام الدين طمان النوري	خطط الشام ١٠٨/٦	ش
الأسدية	بدر الدين عتيق أسد الدين شيركوه	خطط الشام ١٠٩/٦	ح
الفليجية	الأمير مجاهد الدين بك شمس الدين	خطط الشام ١٠٩/٦	ح
الكمالية	كمال الدين عمر بن العديم	خطط الشام ١١٢/٦	ش
العديمية	سعد الدين مسعود عتيق	خطط الشام ١٠٩/٦	ش
القطيسية	عز الدين		

٤ — مدارس حماة

المدرسة	المؤسس	المرجع	المذهب
الخاتونية	خاتون بنت الملك المظفر صاحب حماة	خطط الشام ١١٧/٦	ش
الطواشية	خاتون بنت الملك المظفر صاحب حماة	خطط الشام ١٢٤/٦	ش

٥ — مدارس حمص

العصرونية	نجم الدين توتان ياروق	خطط الشام ١٢٤/٦	ش

٦ – مدارس المعرة والرها

المعرة	الملك المنصور محمد الأيوبي	خطط الشام ١٢٤/٦	ح
الرها	تقي الدين عمر	طبقات الشافعية ٣٨٦/٤ السلوك ٣١٧/٣ خطط المقريزي ٣٣٣/٣	ش

* أنواع المدارس

ازداد اقبال الناس على الانخراط في المدارس لتوسيع ثقافتهم، وتعميق ادراكهم لمختلف العلوم، فاختصت بعض المدارس في التركيز على أحد المواضيع، كأن تختص في تدريس الفقه، أو تدريس القرآن أو الحديث أو الطب، وبهذا تنوعت المدارس وفقا للمواضيع التي تركز على تدريسها. وفيما يلي أبرز هذه الأنواع :

١ – مدارس الفقه :

كانت المدارس تعنى بالدراسات الاسلامية، كعلم القراءات والتفسير والحديث وبالدراسات اللغوية من نحو وأدب، لأن الفقيه في أي مذهب لا يتم تكونه الا مع اتقانه هذه الدراسات.

أولى الأيوبيون علم الفقه عنايتهم، ذلك أنه القواعد التي تنظم حياة المسلمين من عبادات ومعاملات وعلاقات وادارة، واستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها، لذلك انتشرت المدارس التي تختص بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، الشافعي والحنفي، والحنبلي، المالكي.

لقد كثرت المدارس الحنفية في بلاد الشام(٤٧) ثم الشافعية، ثم الحنبلية، واخيرا المالكية، أما المدارس في مصر فكان معظمها للشافعية ثم للحنفية فالمالكية، ويبدو أنه لم تنشأ مدارس في مصر للحنابلة اذ كان يدرس الفقه الحنبلي مع باقي المذاهب. أنشأ الملك الصالح أيوب المدرسة الصالحية عام ٦٤١ / ١٢٤٣ لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة(٤٨)، وجعلها أربعة أواوين لكل مذهب من المذاهب الأربعة ايوان، فكانت أول مدرسة لهذه المذاهب، وكانت من اجل مدارس القاهرة.

وتخصصت مدارس أخرى في تدريس الفقه لأحد المذاهب، أي انها اعتمدت

الكتب في أصول الفقه وفق المذهب في التدريس.

* **مدارس الحنفية :**

بنيت مدارس في مصر والشام لتدريس الفقه الحنفي، ومنها المدرسة السيوفية في مصر وبناها صلاح الدين سنة ٥٧٢ / ١١٧٧ وأوقف عليها (٤٩) ومن مدرسيها الشيخ مجد الدين محمد الجبتي، والشيخ محمد الغزنوي ت ٦٣٢ / ١٢٣٥، والمدرسة الأزكشية والعاشورية، كما اشتهرت المدرسة (المعظمية) في بيت المقدس، وقد أمر بانشائها الملك المعظم ٦١٤ / ١٢١٧ (٥٠)، وعين ابنه الملك الظاهر بهاء الدين عبدالله ناظرا لها، وفي دمشق اشتهرت المدرسة المعظمية التي أنشأها الملك المعظم سنة ٦٢١ / ١٢٢٤ (٥١)، وقد درس فيها الفقيه كمال الدين بن العديم ت ٦٢٠/ ١٢٢٤ (٥٢) ومن كبار فقهاء الاحناف في العهد الأيوبي يحيى بن معطي ت ٦٢٨ / ١٢٣١ وعبدالله الجريري ت ٥٨٤ / ١١٨٩، وعبدالوهاب بن النحاس الحنفي المعروف بالبدر المجن ت ٥٩٩ /١٢٠٢ ، وأبوالقاسم القوصي ت ٦٤٣ / ١٢٤٥ .

* **مدارس الحنابلة :**

كانت هذه المدارس قليلة، وقد أسس معظمها في الفترة التي سبقت مجيء الأيوبيين، ومن هذه المدارس، الضيائية المحمدية التي أنشأها ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي ت سنة ٦٢٠ /١٢٢٣ في دمشق شرقي جامع المظفرية بجبل قاسيون(٥٣)، والمدرسة الحنبلية في سوق القمح بدمشق، وتولى عمارتها سعد الدين بن عبدالعزيز توفي سنة ٦٤٢ / ١٢٤٤ أيام الملك الأشرف موسى بن الملك العادل. وقد أصبحت مآوى للعلماء والفقهاء والصالحين، ولم يكن في مصر مدارس مستقلة للحنابلة اذ كان يدرس الفقه الحنبلي مع باقي المذاهب(٥٤)، ومن مدرسي الفقه الحنبلي الشيخ محمد بن أحمد الفقيه اليونيني توفي عام ٦٥٧ / ١٢٥٩ ومن كبار فقهاء الحنابلة الحافظ عبدالغني الجاعيلي المقدسي ت ٦٠٠ / ١٢٠٣ .

* **مدارس الشافعية :**

كثرت مدارس الشافعية في مصر والشام، ذلك أن معظم ملوك الأيوبيين كانوا على المذهب الشافعي، ومن هذه المدارس المدرسة الناصرية في القاهرة التي وقف

عليها صلاح الدين فرنا وجزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة(٥٥) وفي القدس اشتهرت المدرسة الصلاحية، وقد أسسها صلاح الدين بعد تحريرها وأوقفها على الشافعية، وفوض أمر التدريس بها للقاضي بهاء الدين بن شداد(٥٦) توفي سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥ ، وقد درس فيها الفقه الحنفي، والفقه الحنبلي، الى جانب الفقه الشافعي، ومن شيوخها، شيخ الاسلام مجد الدين طاهر بن جبيل ت ٥٩٦ / ١٢٠٠ وشيخ الاسلام فخر الدين عبدالرحمن محمد ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر ت ٦٢٠ / ١٢٢٣ (٢)، وشيخ الاسلام تقي الدين ابوعمر عثمان بن صلاح الدين الشهرزوي ت سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ ، الذي انتقل الى المدرسة الرواحية بدمشق ليدرس فيها بعد أن سلم الكامل بيت المقدس للصليبيين، وفي دمشق اشتهرت المدرسة العادلية الكبرى التي عمل بها ابن خلكان، ووضع كتابه وفيات الأعيان(٥٧) كما أن أباشامة عمل مدرسا بها، وصنف كتابه الروضتين وهو يعمل بها، وفي حلب اشتهرت المدرسة الصاحبية التي أنشأها بهاء الدين ابن شداد(٥٨).

ومن مدرسي الشافعية المشهورين العز بن عبدالسلام ت ٦٦٠ / ١٢٦٢(٥٩)، وعبدالرحمن بن عبدالرحيم بن الحسن بن نوح مدرس الفقه بالمدرسة الرواحية توفي سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦ . ومن كبار فقهاء الشافعية ابراهيم بن منصور ت ٥٩٦ / ١٢٠٠ ، وعبدالملك بن عيسى ابن درياس ٦٠٥ / ١٢٠٨ قاضي قضاة الشافعية، وقاضي القضاة محمد بن عين الدولة ت ٦٣٩ / ١٢٤٢ ، واشتهر لزمنه بأنه رد شهادة السلطان الكامل، وقال له (أنت تحكم ولا تشهد)، وقاضي قضاة دمشق ابن أبي عصرون ت ٥٨٥/١١٨٩ .

• مدارس المالكية :

انتشرت مدارس المالكية ولا سيما في مصر، وقد أنشأ صلاح الدين المدرسة القمحية سنة ٥٦٦ / ١١٧٠ ، وأوقف عليها ضيعا بالفيوم تغل القمح فسميت بهذا الاسم(٦٠)، وعين فيها اربعة مدرسين لكل منهم عدد من الطلبة. وكان الحافظ ابوالحسن علي بن الأنجب توفي سنة ٦١١ / ١٢١٥ مدرسا للمالكية في

الاسكندرية(٦١)، كما كان الحسين بن عتيق ابن رشيق سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥ شيخ المالكية ومدرسا بالقمحية، وصاحب الفتيا في وقته. ومن كبار فقهاء المالكية، ابن شاس عبد بن محمد ت ٦١٦ / ١٢١٩، الذي استشهد بدمياط، وكان مدرسا بالمدرسة القمحية.

وفي القدس أسست المدرسة الأفضلية، وأوقف الملك الأفضل حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم، ذكورهم واناثهم(٦٢).

أما في دمشق فكانت تخلو من مدارس المالكية اذا استثنينا الزاوية المالكية التي وقفها صلاح الدين على فقهاء المالكية، والواقعة غربي الجامع الأموي(٦٣).

وأسست مدارس كانت تدرس الفقه على المذهب المالكي والشافعي كالمدرسة الفاضلية في القاهرة، والتي أسسها القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي سنة ٥٨٠ / ١١٨٤، وقد درس بها الفقيه ابوالقاسم عبدالرحمن بن سلامة الاسكندراني، وعثمان بن الحاجب، صاحب (الكافية) و(الشافية) في النحو والعربية(٦٤).

وهناك مدارس للشافعية والحنفية كالمدرسة العذراوية بدمشق التي أسستها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٩٣ / ١١٩٧، وكان أول من درس فيها فخر الدين بن عساكر، والمدرسة الجركسية التي أسسها فخر الدين شركس الصلاحي.

وكانت المدرسةالصالحية التي بناها الملك الصالح أيوب تدرس الفقه على المذاهب الأربع، وكان لها أربعة ايوانات وخصص كل ايوان لتدريس فقه أحد مذاهب أهل السنة، كما كان فيها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب وسائر العلوم(٨).

٢ - دور القرآن الكريم :

اقتدى الأيوبيون بأسلافهم المسلمين في حفظ آيات القرآن، ودراسة علومه كعلم القراءات، وعلم التفسير، وقد ذكر ابن واصل(٦٥) انه قرأ على الشيخ شمس الدين بن رزين البعلبكي في القبة التي أنشأها الملك المعظم في بيت المقدس لاقراء القراءات السبع، وكان القرآن يدرس في المدارس بالاضافة الى الزوايا، وقد جعل الملك المعظم المدرسة النصرية زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو، ووقف عليها

٦١٠ / ١٢١٤ كتبا كثيرة، كما أنشأ الشيخ وجيه الدين بن عثمان التنوخي دارا في دمشق لتدريس القرآن سميت الوجيهية.

٣ - دور الحديث الشريف :

تكاثرت دور الحديث في القاهرة، ودمشق، فقد بنى نور الدين دار الحديث النورية بدمشق، وأشاد الملك الكامل دار الحديث الكاملية في القاهرة عام ٦٢١ / ١٢٢٤ ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي، وبنى فيها منازل يسكنها المعلمون وجعل لها خزانة كتب، وقد تولى الكاملية عدد من الشيوخ، منهم الشيخ عبد العظيم عبدالقوي النذري ت سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨(٦٦)، والشيخ تاج الدين أبوالحسن علي بن ابن علي المتوفي سنة ٦٦٥ / ١٢٦٧ ، وأنشأ والي قوص دارا للحديث بها، وجعل مدرسها أباالفتح محمد بن علي القشيري.

أسس الأشرف موسى بن العادل دار الحديث الأشرفية سنة ٦٣٠ /١٢٣٢ بدمشق، ودرس فيها جماعة من المدرسين المشهورين أمثال أبي شامة وابن الصلاح(٦٨)، كما بنى الأشرف موسى دار الحديث البرانية سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ وأقام ضياء الدين محمد بن عبدالواحد أحمد المقدسي الحنبلي ت ٦٤٣ / ١٢٤٥ دار الحديث الضيائية، على سفح جبل قاسيون بدمشق، وخصصها للمحدثين والغرباء الواردين، وتشتمل على مسجد وصفه وبئر ماء وصحن، ومكتبة وغرف للطلاب.

ومن مدرسي الحديث قاضي القضاة صدر الدين أبوالعباس من سني الدولة توفي ٦٥٨ / ١٢٦٠ .

٤ - مدارس النحو :

تخصصت بعض المدارس بتدريس النحو كمادة أساسية، بالاضافة الى المواضيع الأخرى، كالقراءات والتفسير والحديث، وفقه المذهب الشافعي، خصصت مدرسة بالقدس لتدريس النحو سنة ٦٠٤ / ١٢٠٧(٨)، وأخرى في دمشق .

أ - **المدرسة النحوية بالقدس:** أسسها الملك المعظم عيسى بن العادل، وخصصها للاشتغال بالعربية، وكان يدرس فيها الكتاب لسيبويه، والايضاح لأبي علي الفارسي واصلاح المنطق لابن السكيب، وملحة الاعراب للحريري، ودرست

فيها اللغة والأدب والبلاغة والعروض.

ويشير الى هذا نقش على القبة من الداخل من جهة الشمال هذا نصه(٧٠) (بسم الله الرحمن الرحيم) "تبارك الذي أنشأ جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا. أمر بانشاء هذه القبة المباركة وما يليها من العمارة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبوالنصر عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الاسلام والمسلمين ابوبكر بن أيوب أعز الله أنصارهما وجرى ذلك على يد عبده الراجي عفو ربه الأمير حسام الدين أبي سعد قيماز بن عبدالله المعظمي الوالي بالبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة اربع وستماية)."

ب – **المدرسة المعظمية بدمشق**: أوقفها الملك المعظم سنة ٦١٤ / ١٢١٧ ، أمر مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبوالعزائم عيسى بن أبي بكر ابن أيوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقهة من أصحاب الامام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه. (مجير الدين الحنبلي ، مصدر سابق، ١/٤٠٣).

٥ – مدارس الطب :

تقدمت العلوم الطبية في عهد الأيوبيين، لما فيها من حفظ الصحة ورفع العلل والأمراض، وتحسنت وسائل العلاج، ووسائل الدراسة، ففتحت مستشفيات (بيمارستانات) لمعالجة المرضى، كما أسست مدارس طبية لتخريج أطباء مؤهلين.

كان المحتسب يراقب مهنة الطب لأهميتها، ولم يكن يسمح للطبيب بمزاولة المهنة الا اذا اجتاز الامتحان في صناعة الطب والكحل، وكان من واجبه أن يأخذ على الأطباء عهد أبقراط ويحلفوا ألا يعطوا أحدا دواء مضرا، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا التمائم عند أحد العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة(٧١)، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل،وعليهم أن يغضوا أبصارهم عن المحارم، ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوها. كان الطلاب يلازمون مشاهدة المرضى في البيمارستان، ويتعرفون على أمراضهم، وما يضعه الأطباء لهم، وما يكتبون للمرضى في تذكرة

الصلاح (القانون)(٧٢)، كما كانوا يعتمدون على تشريح جثث القردة اذا لم يتمكنوا من الحصول على الجثث البشرية، وفي عهد الملك العادل عين رئيسا للأطباء، يمنح الشهادة التي تسمح للطبيب بمزاولة الطب(٧٣)، وكان لا يعطي هذه الشهادة الا لمن يثبت جدارته. وكان في العهد الأيوبي مدارس للطب منها :

أ - المدرسة الدخوارية :

جعل مهذب الدين بن عبدالرحيم بن حامد المعروف بالدخوار توفي سنة ٦٢٨ / ١٢٣١ داره مدرسة للطب(٧٤)، وقف عليها ضياعا عدة لدفع رواتب العاملين فيها، وكذلك الطلاب الذين يلتحقون بها، وقد تخرج منها عدد من الطلاب، كما تتلمذ على الدخوار جماعة من الأطباء، وكان مهذب الدين اذا خرج من البيمارستان وتفقد المرضى، يأتي الى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة والنسخ، فاذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون اليه، ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين به، وكان كل واحد منهم يقرأ درسه ويبحث معه فيه، ويفهمه اياه بقدر طاقته، ويفصل في ذلك مع المتميزين منهم اذا كان الموضوع يحتاج الى توسع في البحث، أو فيه اشكال يحتاج الى مزيد من التوضيح، وكان لا يقرىء أحدا الا وبيده نسخة من ذلك.

اشتغل الرحبي في التدريس بها في صناعة الطب، ودرس فيها بدر الدين ابن قاضي بعلبك، ولما ملك دمشق الملك المظفر الدين بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل، كتب للحكيم بدر الدين منشورا برئاسته على سائر الحكماء في صناعة الطب، وأن يكون مدرسا في مدرسة الحكيم مهذب الدين، وتولى ذلك ٦٣٧ / ١٢٤٠ ، (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٧٣٣، ٧٣٤).

ب - المدرسة اللبودية :

أنشأها نجم الدين يحيى بن محمد اللبودي في دمشق، وكان اللبودي يدرس صناعة الطب، ويعالج في بيمارستان النوري، وقد درس فيها جمال الدين الزواوي.

جـ - المدرسة المهذبية :

بناها الطبيب مهذب الدين أبوسعيد محمد بن أبي الوحش سنة ٦٢٠ / ١٢٢٣

في القاهرة (٧٥) وكان مدرسا للطب في البيمارستان المنصوري، وكان رئيسا للأطباء أيام الملك الكامل بن العادل.

د – المدرسة الدنيسرية :

أسسها عماد الدين محمد الدنيسري الذي كان مدرسا بالمدرسة الدخوارية. هذا وقد ذكر عبداللطيف البغدادي انه كان يلقي درسا في الطب في الجامع الأزهر في منتصف النهار من كل يوم(٧٦).

اهتم الأيوبيون بنشر العلوم الطبية، فشجعوا المدارس الطبية، وبناء المستشفيات الا أن المدارس الطبية كانت قليلة، ذلك أن الطب كان لا يدرس في مدارس خاصة الا قليلا، كما أن بناء المدارس الطبية كان يقتصر على الأطباء أنفسهم، وكان الطب يدرس في المستشفيات ليسهل التطبيق العملي للنظريات العلمية الطبية التي يلقيها المدرسون على الطلاب، وكان في البيمارستان ايوان، قاعة محاضرات، ليستمع فيه الطلاب الى الدرس ثم ينسابون بين المرضى ليشاهدوا هذه الأمراض، وليعالجوها باشراف المدرسين، ويروى أن الطبيب الماهر كان يأتي الى البيمارستان النوري في دمشق، فيجلس في الايوان، ويأتي اليه الأطباء، ويجلسون، ثم تجري مباحثات طبية، وكذلك يتم هذا في المستشفى المنصوري بالقاهرة، اذ كان يجلس رئيس الأطباء في مكان معين ليحاضر في الطب.

* البيمارستانات :

أبدى الأيوبيون اهتماما بانشاء البيمارستانات المنظمة، وكانت على نوعين، ثابتة وقد بنيت في المدن، ومحمولة وهي التي كانت تنقل على ظهور الحيوانات من مكان الى آخر كلما دعت الحاجة اليها، وقد جمعت بين تطبيب المرضى وتعليم الطب، وأنيطت ادارتها بالمديرين، وأوكل أمر المعالجة فيها الى أطباء انتخبوا عن جدارة، وعين لكل منها طبيب وجراح وكحال وفاصد، وخدم عديدون لتأمين راحة المرضى.

وكانت هذه البيمارستانات تستقبل المرضى، وتعالجهم مجانا، وكانت العناية الطبية تتم على أكمل وجه وفق الامكانات المتوفرة، وكانت الأوقاف الجارية تحبس

لتغطية نفقاتها وبخاصة أجور الأطباء والمستخدمين، وثمن العلاج، بالاضافة الى طعام المرضى وأثاث البيمارستان.

عدد ابن جبير(٧٥) في رحلته المستشفيات في مصر والشام، فذكر انه كان في دمشق مارستانان وفي الموصل مارستانان، وفي حلب مارستانان، وفي حمص مارستان واحدة، هذا وبني في بيت المقدس مستشفى سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ ، وقد اختط توران شاه مستشفى في تعز(٧٦)، كما اصطحب معه الأطباء الى اليمن، وفي مصر ذكر ابن جبير انه كان في القاهرة مستشفيان وفي الاسكندرية مستشفى.

أ – البيمارستانات بدمشق :

ذكر ابن جبير أنه كان بدمشق مارستانان قديم وحديث، والحديث أحفلها وأكبرهما، وهو البيمارستان النوري، وكان نور الدين زنكي قد بناه سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ ووقف له الأموال اللازمة، ويقال أن المال الذي أنفق على بنائه كانت فدية أحد أمراء الافرنج الذي أطلقه زنكي(٧٧).

وقد وصفه بن جبير، "(وجرايته نحو ١٥ دينارا) وكان له قوم بأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك. وكان الأطباء يبكرون اليه في كل يوم، ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلح لهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم(٧٨)".

وقد عمل به عدد من الأطباء منهم مهذب الدين النقاش، وموفق الدين بن المطران، ورضي الدين الرحبي، وكمال الدين الحمصي، ومهذب الدين عبدالرحيم بن علي، ورشيد الدين بن خليفة، وعمران الاسرائيلي، وشمس الدين اللبودي، وعماد الدين الدنيسري. وهناك مستشفى ثالث أسسه ابوالحسن القيمري ت ٦٥٣ / ١٢٥٥ في الصالحية يسمى البيمارستان القيمري.

ب – بيمارستان بيت المقدس :

أقام صلاح الدين بيمارستانا في بيت المقدس، ووقف عليه اوقافا لتسيير شؤونه، وكان يدرس الطب فيه، وممن تعلموا فيه موفق الدين يعقوب بن صقلاب ت ٦٢٥ / ١٢٢٨، وعمل عدد من الأطباء المشهورين فيه، من أمثال أبي الفضل رشيد

الدين بن علي الصوري، أبومنصور الصوري. عبداللطيف البغدادي .

ج - مارستان القاهرة :

وكان يسمى البيمارستان الناصري، ذكر بن جبير أنه شاهد بالقاهرة مارستانا يعتبر من مفاخر صلاح الدين، وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا، وكان له قيم، وضع لديه خزائن العقاقير، وقد وضعت في مقاصير القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع لهم، وهي كاملة الكسوة، كما كان الخدم يتفقدون أحوال المرضى بكرة وعشيا، ويقدمون لهم الأغذية والأدوية المقررة، ويضيف ابن جبير، ان بالمارستان قسما خاصا للنساء، ومعهن من الخدم ما يتكفل بحاجاتهن، وقسما خاصا بالمجانين، وقال ابن جبير، وخصص للمستشفى مجموعة من الأطباء يتفقدون أحوال المرضى ويصفون لهم العلاج، وكان العلاج مجانا. وذكر ان جبير أن هذا المستشفى كان ينقسم الى ثلاثة أقسام، قسم للرجال، وآخر للنساء، وثالث للأمراض العصبية(٧٩)، وهو من القصور الرائعة، حسنا وسعة، وقد رتبت في غرف ذلك المستشفى أسرة مفروشة فرشا كاملا نظيفا، بحيث يكون لكل مريض فراشه الخاص به. وكان بالفسطاط مارستانا اخر على مثال ذلك. ودرس فيه الشيخ السديد بن أبي البيان.

وكان للجيش بيمارستانات متنقلة خاصة بهم، وأطباء وصيادلة، وكان ابوالحكم المغربي عبدالله بن المظفر بن عبدالله المرسي طبيب بيمارستان متنقل يحمله أربعين جملا في دمشق. ان انتشار المستشفيات أدى الى وعي صحي، وتحسن المستوى الطبي في الدولة الأيوبية.

٢ - المكتب (الكتاب)

كانت معظم الكتاتيب في العهد الأيوبي مرتبطة بالمساجد، ولكن بعضها كان مستقلا. ومع انه كان ينصح بألا تكون في المساجد للحفاظ على طهارتها، الا أن بعض المعلمين اتخذوا زوايا بعض المساجد لتكون مركز الكتاب.

ذكر ابن جبير(١)، أن من مآثر صلاح الدين أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء خاصة، تجري عليهم الجراية الكافية لهم، وأوقف القاضي الفاضل أوقافا لتعليم الأيتام بالكتاب وذكر المقريزي(٣) أنه كان في الخانقاه الصلاحية بمصر مكتب للأيتام حيث يتم اطعام الأطفال وتحفيظهم الكتاب الكريم، ويتعلمون الخط. ويضيف وكنا نقرأ في تراجم المقتدرين والأغنياء عبارات، "وأنشأ بجانب الجامع مكتبا لاقراء أيتام المسلمين القرآن".

كانت الكتاب تؤهل الأطفال لدخولهم المدارس (٨٢). ويتعلم فيها الأطفال عدة سنوات، وتستمر الحياة الدراسية من الصباح حتى العصر، ولم يكن للسلطة علاقة بانتشار الكتاتيب، وصرف الأموال عليها، أو حبس الأوقاف، بل كان المعلمون يتلقون أجورهم من الصبيان، ولم تكن هذه الأجور محددة، بل تتفاوت حسب حالة الطفل المادية، وكانت أبواب التعليم في الكتاتيب مفتوحة لبعض البنات(٨٣)، وكان التعليم المختلط نادرا، ولكن لا يعني هذا أن البنات قد حرمن من التعليم كليا، فقد ألزم القابسي تعليم البنات لمعرفة الدين والعبادات، وجرت العادة أن يتم ذلك في الدور، وليس أدل على تعليمهن من اشتهار شاعرات وأديبات في ذلك العصر. كان الأطفال يبدأون دراستهم بحفظ السور القصار من القرآن الكريم عن طريق التلقين،بالاضافة الى الأحاديث الشريفة، وبعض أصول الحساب وحفظ المأثور من الحكم، وقصص الأنبياء، وحكايات الأبرار والأمثال والخط وبعض الشعر(٨٤)، وكان المعلم يبذل جهده لتحسين خطوط الأطفال، وكان الصبيان يتعلمون الخط في الشعر والنثر، ولا يتعلمونه بالآيات القرآنية تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو، وقد كان المعلمون يركزون على تحفيظ البنات سورة النور(٨٥).

بعد أن يتقدم الصبيان في دراستهم يقوم المعلمون بتدريس عقائد السنة والجماعة الرئيسة(٨٦) بطريقة سهلة ومبسطة، وما يستحسن من الأشعار دون سخيفها ومسترذلها، وكانت الأشعار تختار بعناية فائقة بحيث تخلو من المجون والخلاعة، كما منع الصبيان دراسة الأشعار التي كتبها أهل الشيعة المغالون في أهل البيت، وركز

على دراسة الأشعار التي تمدح الرسول والصحابة رضوان الله عليهم، ليرسخ ذلك في قلوبهم(٨٧)، بالاضافة الى الأشعار التي تحض على الجهاد والخلق القويم والمديح ووصف المروج.

كان الأطفال يربون تربية خلقية ودينية، وذلك بممارسة الشعائر الدينية الجماعية، ذلك أن الطفل هو النبتة الصغيرة التي تنمو في حضن المجتمع ليقطف النظام الاجتماعي ثمرة الجهد، عملا بقول الرسول عليه الصلاة والسلام (علموا أبناءكم الصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر)، كما اهتم المعلمون باكساب الصبيان طاعة الوالدين والانقياد لهما والبر بهما، ومساعدتهما وتقبيل أيديهما عند الدخول عليهما، كما يعلمونهم حسن الحديث، وتبصيرهم مواقع الكلام، بدئه ونهايته، وعدم الضحك الا في أوقاته، والاقلال من الكلام، والكف عن لغو الكلام، وفحشه وتنمية الخصال الجيدة الأخرى لديهم، وحثهم على الاعتماد على النفس(٨٨).

كان المعلمون يدربون الأطفال على الحنو على غيرهم والرحمة والعطف، واحترام كل من هو أكبر سنا، ويعودون على التواضع والاكرام لكل من عاشرهم، وذلك تيمنا بالرسول (ص)، فقد روى أنه قبل الحسن بن علي مرة، فقال أحد جلسائه، إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت أحدا منهم، فقال محمد (ص) (من لا يرحم لا يرحم)(٨٩)، وهذه الرحمة الاجتماعية لم تكن لتمنع من توجيه الصبي وتأديبه، فقد روى عمر بن أبي سلمة عن نفسه، فقال (كنت غلاما في حجر رسول الله ص، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال يا غلام، سم بالله، وكل بيمينك، وكل مما يليك).

كان المعلم يضرب الصبي اذا ما أساء الأدب(٩٠)، واذا استخدم كلمات نابية، أو عمل فعلا لا يتفق والقيم والاعراف الاسلامية، من فحش في الكلام، أو اعتداء على الآخرين، الا أنه لم يكن يستخدم عصا غليظة تؤذي الطفل، ولا رفيعة تؤلم الجسم، بل وسطا، وكثيرا ما كان يتخذ جلدا عريض السير، فيضرب به على الأفخاذ أو الكعبين، أو الكوايا، لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض، ولا

غائلة(٩١).

كان في المكتب (مكان الكتاتيب) مكتبة تشمل المصاحف، وكتب التاريخ وعلوم اللغة، كما كان لكل مكتب سائق يرعى الأطفال، ويوصلهم الى المنازل ويحضرهم منها، وكان يختار هذا الموظف من الأشخاص الذين عرفوا بالأخلاق الحميدة، والسمعة الطيبة، والصدق والأمانة والثقة، حتى لا تفسد به أخلاق الصغار تقليدا له. وكان لنجم الدين أبوالفتح يوسف بن الحسن بن المجاور المتوفي سنة ٦٠١ / ١٢٠٥ ، مكتبا لتعليم الصبيان على باب جامع دمشق.

وكان أبومحمد الشياب فتيان الشاغوري المتوفي سنة ٦١٥ / ١٢١٨ معلما للخط لأبناء الأمراء، ويبدو أن مهنته كانت تعليم الصبيان(٩٢).

وكان هناك نوع خاص من الكتاتيب في قصور السلاطين والوزراء لتعليم ابنائهم، وكان يدرس هؤلاء الأطفال مناهج مماثلة لما يدرس أطفال العامة في الكتاتيب، اضافة الى توجيهات خاصة يراها ولي الأمر للطفل، وكان يطلق على المعلمين في هذه الكتاتيب الخاصة المؤدبين، اذ كان عملهم يعنى بالناحية التعليمية عنايته بالتأديب(٩٣)، وكان أبوسعيد البدهي مؤدبا لأولاد صلاح الدين.

٣ – مصادر تمويل التعليم

كان الراغبون في العلم يتجهون الى المساجد، ومنازل المدرسين للسماع منهم قبل فتح المدارس، وكانت الدولة تقدم المكافآت للمدرسين في بعض الأحيان، ولكن هذه المساهمة لم تكن مقررة أو شاملة في بداية الأمر،وكان المعلمون يتبرعون للتعليم بدون أجر، وكان يتلقى البعض هدايا الطلاب.

وعندما كثرت المعاهد التعليمية في القرن الخامس الهجري، أصبح لزاما العثور على مصدر لتمويل هذه المعاهد وتغطية نفقاتها، وظهرت فكرة أن يوقف على المعاهد وقفا منتجا يكفي للانفاق على شؤون كل معهد، وشؤون القائمين عليه.

وقف معظم السلاطين الأوقاف الثابتة التي تمد المعاهد بما تحتاجه من مصروفات، فقد وقف السلطان نور الدين على المدارس الحنفية والشافعية والمالكية

والحنبلية، وعلى أئمتها ومدرسيها أوقافا كافية(٩٤)، وعين للمغاربة الذين كانوا يلتحقون بزاوية المالكية بالمسجد الجامع بدمشق أوقافا كثيرة، منها طاحونتان، وسبع بساتين، وحمام ودكاكين، وجعل أحد المغاربة مشرفا على هذه الأوقاف(٩٥).

كان السلطان صلاح الدين يعين أوقافا تقوم بكل مسجد مستحدث أو مدرسة أو خانقا، فأوقف على المدرسة الصلاحية بالقدس الأوقاف، جزءا منها للمتفقهين وللطلبة المتفقهة المتنزهة(٩٦)، وذكر المقريزي أن صلاح الدين وقف على المدرسة الناصرية بالقرافة عندما شيدها، حماما بجوارها، وفرنا تجاهها، وحوانيت بظاهرها، والجزيرة التي يقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة(٩٧)، وشملت رعاية صلاح الدين العلمية الأيتام والمساكين الذين اعتبرهم أبناء له، فأوجب على نفسه تقديم العون لهم، فخصص لهم الأموال والوقوف الكافية، كما رتب لكل جماعة منهم معلما خاصا، يأخذ تلك الأوقاف ما يسير نفقة أولئك الأيتام من الصبيان، وما يقوم به ويكسوهم(٩٨).

اقتفى السلاطين الأيوبيون صلاح الدين في الانفاق على المدارس، وأوقفوا عليها الأوقاف السخية، فقد أوقف الملك الأفضل حارة المغاربة بالقدس على طائفة المغاربة، فقهائهم وطلابهم الذين أخذوا يتوافدون اليها من الأندلس عام ٥٨٥ / ١٢٩٣ ، وأوقف الملك المعظم عيسى جهات على المدرسة المعظمية والفقهاء من أصحاب المذهب الحنفي(٩٩)، وأوقف الكامل على المدرسة الكاملية، اما السلطان صالح أيوب فقد أوقف على المدرسة الصالحية(١٠٠).

اقتدى التجار والعلماء والوزراء بالسلاطين، فقد أنشأوا المدارس، ورعوا العلم ووقفوا عليه، فقد اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المنازل التي تشرف على النيل، والتي كانت معدة لنزهة الخلفاء الفاطميين، وجعلها مدرسة للشافعية، ووقف عليها ما حولها من حوانيت وحمام، وبنى فندقا عرف بفندق النخلة، ووقفه عليها، كما وقف عليها جزيرة الروضة التي كان قد اشتراها من قبل .

وساهمت النساء والتجار والعلماء في تمويل التعليم، فقد وقفت ست الشام أخت صلاح الدين على المدرسة الشامية الجوانية(١٠١)، فشمل الوقف عمارة

المدرسة، وثمن الزيت والقناديل والبسط، وعلى الفقهاء والمتفقهة والقيم المسؤول عن كنس المدرسة، وجعلت زوجة شجاع الدين بن الدماغ بيت زوجها بعد وفاته مدرسة للشافعية، ووقفت عليها ثمانية أسهم من أربعة وعشرين سهما من المزرعة الدماغية، والحصة بدير سليمان من البرج ومزرعة شرخوب عند قصر ام حكيم.

ووقف قاضي القضاة شرف الدين ابوسعيد عبدالله بن محمد بن علي بن عصرون على المدرسة العصرونية عشرة قراريط في قرية شمال دمشق، ومزرعتان بدير النبط وقدرهما عشرة قراريط، ومزرعة تعرف بالجلدية، وفي قرية حمادا قيراط ونصف القيراط.

كان الموقفون أو الموقفات يشترطون بعض الشروط عند وقفهم على التعليم، فقد ذكرت ست الشام ام حسام بنت أيوب بن شادي في وقفها على المدرسة الجوانية، أن من شروط الفقهاء والمتفقهة والمدرس والمؤذن والقيم أن يكونوا من أهل الخير والدين والصلاح والعفاف وحسن الطريقة، وسلامة الاعتقاد والسنة والجماعة، كما شرطت رغبة منها في أن يظل الملتحقون بالمدرسة في مستوى مالي لائق، ألا يزيد عدد الفقهاء والمتفقهين والمشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلا من جملتهم المعيد بها، والامام، وذلك بخلاف المدرس والمؤدب والقيم، الا أن يوجد ارتفاع في الوقف ونماء وزيادة وسعة فللناظر أن يقيم بقدر ما زاد ونما(١٠٢).

لقد أنشأت مؤنسة بنت المظفر زوجة صاحب حماة مدرسة في حماة، ووقفت عليها وقفا جديدا وكتبا كثيرة، وحددت عدد المنتفعين بها وفقا لدخل الوقف، واشترط بعض الواقفين أن تكون المدرسة لمذهب من المذاهب كالمذهب الشافعي، في حين اشترط آخرون أن لا يدخل مدارسهم نصراني أو يهودي او حنبلي، كما فعل زكي الدين بن رواحة الحموي التاجر الذي أنشأ مدرستين للشافعية واحدة في دمشق والأخرى في حلب(١٠٣).

وهكذا كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي الذي كان ينفق منه على التعليم، وان كانت بعض نفقات التعليم تدفع من الخزانة العامة للدولة أحيانا، فقد جاء في رسالة بعثها القاضي الفاضل الى صلاح الدين (وما يجب أن يعلم الوالي أن أرزاق

العمائم في دولته اقطاعا وراتبا ربما كانت ثلاثمائة ألف دينار)(١٠٤).

وكان لكثرة الوقوف التي أوقفها الملوك والأمراء والتجار وجمهور الناس من الرجال والنساء، أثر كبير في تطور الحركة التعليمية ردحا من الزمن.

وكانت الأوقاف ثلاث جهات :

الأولى وتعرف بالأحباس وهي أراض من أعمال مصر حبست على المساجد والزوايا للقيام بمصالحها، ويشرف عليها دوادار السلطان وهو أحد الأمراء.

الثانية وهي الأوقاف الجمكية ويشرف عليها قاضي القضاة الشافعي، وفيها ما حبس من الأرباح على الحرمين وعلى الصدقات والأسرى، ويتولى هذه الجهة رجل من أعيان نواب القاضي.

الثالثة وهي للأوقاف الأهلية، ولها ناظر خاص يرعى الخوانق والمدارس والجوامع والترب، وغيرها وصاروا يفردون لها الأراضي من أعمال مصر والشام.

تعرضت بعض الأوقاف للاغتصاب، واحتلها المتولون على أوقاف المدارس، وماطل بعض نظار المدارس في دفع رواتب المدرسين، والعاملين في المدارس، وكان بعض المدرسين لا يحصلون على مرتباتهم الا بشق الأنفس، ولعل هذا الذي دفع أبا شامة أن ينقطع عن المدرسة ويشتغل بزراعة أرضه، فلما عوتب قال (إن ترك الوقف تحت رحمة نظاره، يدفعهم الى التلاعب على حسب أهوائهم، ويؤدى ذلك في النهاية الى اغلاق بعض المدارس)(١٠٥).

٤ - المراكز ذات الأثر التعليمي

لم يقتصر اهتمام الأيوبيين على بناء المدارس، بل تعدى ذلك الى بناء العديد من المساجد والخوانق والربط والزوايا، وذلك تشجيعا للتعليم، وتوعية المواطنين وتحصينهم ضد خطر المذهب الاسماعيلي والوقوف في وجهه ومقاومته، والعمل على نشر الثقافة الاسلامية السليمة، واعادة العمل بالفقه السني، ومنع الانحراف الخلقي لدى فئات المجتمع. وكانت هذه بمثابة معاهد دينية اسلامية، أنشئت لايواء المنقطعين للعلم والزهد والعبادة، وايواء المسافرين(١٠٦)، كما كان الغرض من بنائها فعل الخير واكتساب الثواب.

ساهمت هذه المراكز بأدوار مختلفة، منها الدور الديني والثقافي والتعليمي والاجتماعي، اذ كانت معاهد لتدريس القرآن والقراءات، والحديث النبوي، والعلوم الشرعية بالاضافة الى ممارسة الشعارات الدينية.

كانت الأوقاف هي مصدر الانفاق على هذه المراكز، التي كان يبالغ في عمارتها وزخرفتها أحيانا، ويعنى باختيار من يقوم بالتدريس فيها، أو القيام على خدمتها، وبخاصة الاشراف على خزانة الكتب التي حوتها هذه المراكز.

* **المساجد** :

يرتبط تاريخ التربية الاسلامية ارتباطا وثيقا بالمسجد، فكان مركزا تشرح فيه تعاليم الدين الاسلامي، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وبهذا فالمسجد هو الصورة الأولى للجامعة المتخصصة بالبحث والدراسة، والتي تمثل حركة الاشعاع الفكري والثقافي التي كانت تنطلق بعد ذلك الى المجتمع فتوجهه الوجهة الصحيحة.

استخدم الفاطميون المسجد لتدريس الفقه الشيعي، فلما جاء صلاح الدين عني بتدريس الفقه السني، وأمر بتحويل العديد من السجون الى مساجد(١٠٧)، كما شجع على بنائها في أرجاء مصر والشام، واتخذها المحدثون والعلماء لاعطاء الدروس، وتوضيح المذهب السني، فكان المصلون بعد أداء صلاتهم يجلسون في حلقات للاستماع الى شروح بعض الأمور الفقهية والعبادات.

أكثر الأيوبيون من ترميم الجوامع، وبخاصة في المدن والقرى بعد تحريرها من الصليبيين، فرمم الحرم في بيت المقدس(١٠٨) والخليل، وعُمّر مسجد الرملة، وجدد صلاح الدين الجامع العتيق بمصر سنة ٥٦٨ هـ. وأوقف الملك عثمان بن صلاح الدين على الزاوية الشافعية في الجامع العتيق بمصر، وكان يدرس بها قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي، ووسع الملك الكامل مسجد الشافعي بالقرافة، وأسس الملك الصالح أيوب جامع الروضة، وانتشرت حلقات العلم في مختلف فروع الثقافة في المساجد، وكان النشاط يبلغ أقصاه في المسجد ما بين المغرب والعشاء(١٠٩)، اذ كان الحضور في حلقة المسجد متاحا للجميع، غير أنه كان يختلف عدد الطلبة والحضور حسب شهرة العالم ومقدرته.

اتخذ كثير من المدرسين زوايا المساجد مكانا لتدريس الطلاب وعقد المناقشات، والمناظرات في العهد الأيوبي، وذلك لاقبال الناس على الدراسة، وعدم كفاية المدارس لاعداد الطلاب المتزايدة، وأصبحت الجوامع الرئيسية في الأمصار مركزا للعلم يفد اليها العلماء والتلاميذ، واحتلت مكانة مرموقة في نفوس العلماء والمفكرين، ولم يعد التدريس قاصرا على العلوم الدينية فقط، كما كان في العصور الخالية، بل تعداها الى العلوم الأخرى كاللغة والأدب والكيمياء، وعلم الكلام والطب(١١٠).

وكان المدرس يجلس في مكان عال، ومن حوله طلاب العلم يشرح لهم الدروس المختلفة، وهم من حوله يصغون، ويستوضحون ما غمض عليهم فهمه، ويناقشونه ويبادلونه الرأي، وكان هناك عدد من المدرسين في المسجد، يحاضر كل منهم فيما تخصص فيه من علم، وكان بعض المدرسين لا يتقاضون أجرا، بل كانوا يدرسون ابتغاء وجه الله تعالى وخدمة للعلم.

اتخذت كثير من المساجد كمراكز تعليمية وتثقيفية، وحفظ لنا التاريخ جملة ممن قاموا بالتدريس فيها، وكان بينهم في القراءات والتفسير الشيخ عبدالله بن بري، المتوفى عام ٥٨٢ / ١١٨٦ ، والأديب النحوي المقرىء عبدالسلام بن عبدالباقي الأنباري، المتوفى سنة ٥٩٠ / ١١٩٤ ، والعز بن عبدالسلام المتوفى سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢، ونصر بن محمد المظفر المتوفى عام ٦٣٠ / ١٢٣٣ ، وعثمان بن سعيد الصهناجي المتوفي سنة ٦٣٩ / ١٢٤١ .

مما سبق نلاحظ أن المساجد استقطبت العلماء المشهورين، وبهذا تنوعت حلقات الدروس فيها، فشملت النحو وعلم الكلام، وحلقات ينشد فيها الشعراء، ويقرأ فيها الآداب.

كان جامع دمشق مركزا هاما من مراكز الثقافة في العالم الاسلامي، يحدثنا ابن جبير فيقول، (وفيه حلقات للطلاب، وللمدرسين فيه اجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيها الطلبة المغاربة ولهم اجراء معلوم، ومرافق هذا الجامع للغرباء، وأهل العلم كثيرة واسعة، وأغرب ما به أن سارية من سواريه لها وقف معلوم يأخذه المستند اليها للمذاكرة والتدريس، وفي الجامع عدة زوايا يتخذها

الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس، وهي من جملة مرافق الطلبة،(١١١) وقد رأى ابن جبير، ما كان يعقد من حلقات الدراسة التي كان ينفق على طلبتها ومدرسيها أوسع النفقات، ودخل زاوية المالكية، وشاهد الطلبة المغاربة مجتمعين فيها.

وكان علي بن عبدالله بن عساكر المتوفي سنة ٦١٢ / ١٢١٥ يسمع القرآن في الجامع الأموي، في حين كان الشيخ الفقيه كمال الدين مودود المتوفي سنة ٦١٢ / ١٢١٥ ، يدرس فيه الفقه، وكان المعز محمد بن الحافظ عبدالغني المقدسي المتوفي سنة ٦١٣ / ١٢١٦ ، له حلقة تدريس في الجامع.

كان **المسجد الأقصى** مركزا للحياة العلمية النشيطة، وذلك بعد فتح صلاح الدين القدس، اذ حرص على اعادة الحياة العلمية الى المسجد الأقصى، ورتب له اماما وخطيبا، ومدرسين، ونقل اليه عددا من المصاحف، ووقف عليه الأوقاف الكثيرة للانفاق(١١٢). لقد كان العلماء من المشرق والمغرب يجتمعون به، فكثرت فيه الحلقات الدراسية، فلم يعد يستوعب الأعداد الكبيرة، فبنيت فيه المصاطب لتمكين المدرسين من القاء دروسهم على هذه المصاطب التي كان يجلس عليها الطلاب للاستماع الى الدروس(١١٣). لقد أورد مجير الدين الحنبلي في الجزء الثاني من كتابه الأنس الجليل سيرا مختصرة لعدد من القضاة والعلماء والمؤلفين، ممن عملوا بالمسجد الأقصى كمدرسين منهم، مجد الدين أبوجبيل المتوفي سنة ٥٩٦ / ١١٩٩ ، وأبو عبدالله القرشي المتوفي سنة ٥٩٩ / ١٢٠٢ (١١٤)، أبوالحسن المغفري خطيب القدس المتوفي سنة ٦٠٥ / ١٢١٠ .

وقد كتب عدد من العلماء سلسلة من الكتب عن بيت المقدس سميت بكتب الفضائل منها، "الجامع المستقصى في فضل المسجد الأقصى" لبهاء الدين بن عساكر المتوفي سنة ٦٠٠ / ١٢٠٣(١١٥)، وفضائل القدس لأبي فرج الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ / ١٢٠٠ .

وكان **الجامع الأزهر** أهم مواطن الثقافة في مصر، ومركز تعليم الفقه على المذهب الشيعي، ولكن صلاح الدين أبطل فيه الخطب، وبقي مركزا لتدريس

التفسير والقراءات والحساب، والمنطق والتاريخ واللغة والعروض(١١٦)، وقد أكثر المدرسون الذين عملوا فيه، ومن أشهرهم نصر بن محمد المظفر المتوفي سنة ٦٣٠ / ١٢٣٣ الذي كان يدرس اللغة، وألق به رسالة في الضاد والظاء، وقد جاء عبداللطيف البغدادي الى مصر أيام العادل، وقام بتدريس الطب والفلسفة والمنطق في الأزهر(٤). كما كان الحسن بن الخطير المتوفى سنة ٥٩٨ / ١٢٠١ ، مدرسا مشهورا فيه(٥).

وكان **جامع عمرو بن العاص** من المراكز الهامة الذي يدرس فيه الفقه، وانتشرت فيه حلقات العلم في مختلف فروع الثقافة المعروفة، ويقال ان العزيز عثمان بن صلاح الدين أوقف أرضا عليه، وقد درس فيه عبدالله بن بري ت ٥٨٢ / ١١٨٦ ، وعبد السلام بن عبدالباقي الأنباري ت ٥٩٠ / ١١٩٥، وتصدر ابن معطي بجامع عمرو لاقراء الطلاب النحو.

وكانت المساجد منتشرة في المدن والقرى، واستغلت للتدريس وتثقيف الناس، فقد اشتهر **الجامع الأقمر** في تدريس الفقه الشافعي والنحو والقرآن(١١٧)، ومن أشهر المدرسين فيه الفقيه العالم النحوي محمد بن عبدالقوي الملقب بالأخفش، المتوفى عام ٦٣٣ / ١٢٣٦ ، والعالم عماد الدين عثمان الكردي، والفقيه عثمان بن سعيد الصهناجي، ٦٣٩ / ١٢٤١ .

وهناك مساجد أخرى عديدة يصعب حصرها، كانت مركزا لطلاب يؤمونها للدراسة، كما كان بعض المدرسين يلقون الدروس في الترب والمشاهد، فكان أبوالحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني ت ٦١٧ / ٦٢٠ فقيها، يدرس بتربة الشافعي بمصر، وبمشهد الحسن، وولي مشيخة سعيد السعد والنظر فيها(١١٨).

* **الربط** :

ومفردها رباط، وهو مصدر رابط يرابط، جاء في المصباح المنير، انها اسم من رابط مرابطة اذا لازم ثغر العدو، وقد أطلق الرباط على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الاسلامية قرب الثغور، ويقيم فيها المجاهدون(١١٩)

المرابطون.

وأصل الرباط ما يربط فيه الخيل، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد. (الغزالي، احياء علوم الدين، الملحق، ص ٨١).

ان الرباط دار يسكنها أهل طريق الله، والربط والمرابطة ملازمة العدو والمواظبة على الأمر(٢). قال تعالى، (إصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا)(١٢٠)، والرباط يقال له بالتركية التكية(١٢١) وهو المكان السبيل للأفعال الصالحة، لقد كانت الربط محصنة بالأبراج التي يقيم بها المجاهدون أيام الصليبيين، وكان لها أهمية كبيرة للمراقبة.

بنى نور الدين ومن بعده صلاح الدين وخلفاؤه الكثير من الربط، ووقف على كل منها الوقوف، وأصبحت مأوى يلجأ اليها العلماء والرحالة وطلاب العلم الذين ينتقلون في أرجاء العالم الاسلامي، كما أصبحت مراكز للمتصوفة، وممن نذروا أرواحهم في سبيل الله ونصرة الدين، وقد اشتهرت بأنها كانت مدارس لتعليم الذين يعيشون فيها، كان فيها حلقات التعليم، وبخاصة تعليم القراءة والكتابة والقرآن والحديث، وشعر المواعظ الذي يسمى الرقائق، وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للمطالعة والكتابة، يساعدهم على ذلك وجود مكتبات فيها، ساهمت في بعث الحركة العلمية، وتشجيع حركة الجهاد، وتوجيه الناس، وقادتهم الى الطريق الصحيح. ويلاحظ أن كثيرا من كتب التصوف ألفت في الربط، لأنها كانت مجمعا للزهاد والمتصوفة، وكانت الربط أحيانا دار استنساخ للمصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه(١٢٢).

انتشرت الربط في الدولة الأيوبية، وقد اشتهر الرباط الذي عمره بن الصاحب فخر الدين محمد بمصر، وكان يدرس فيه فقه المذهب الشافعي، وجعل له مدرسا وعددا من الطلبة، ورابط ابن أبي المنصور بقرافة مصر، وعرف برباط الشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور الصوفي المالكي المتوفي سنة ٦٦٢ / ١٢٦٥ ، وصنف كتاب الرسالة، وذكر فيه عدد من المشايخ، وروى الحديث، وشارك في الفقه(١٢٣).

وفي سوريا اشتهر رباط نجم الدين أيوب، ورباط أسد الدين شيركوه بدمشق، ورباط عزالدين مسعود صاحب الموصل، ورباط للصوفية على نهر بانياس بنته عصمت الدين خاتون زوجة صلاح الدين، ووقفت عليه أوقافا(١٢٤)، كما اشتهر رباط صفية بسفح جبل قاسيون بدمشق، والرباط البياني الذي تولى مشيخته محمد بن معز الدين بن عبدالرحمن الدمشقي المتوفي سنة ٦٣٥ / ١٢٣٨ .

* الخوانق :

الخانقاه كلمة فارسية الاصل معناها البيت، وكانت مراكز لاعطاء دروس الفقه والدين واللغة والتصوف والحديث(١٢٥)، وكانت الخوانق تبنى على شكل مسجد للصلاة وتشمل غرفا عديدة، بيت للصوفية والفقراء، وصالة كبيرة للصلاة، والقيام والأذكار، ويقول ابن جبيرأن "أسماء الخوانق والربط كانت تستعمل بدون تمييز في بلاد الشام(١٢٦)".

ساهمت الخوانق في الحركة التعليمية، فقد اقيمت فيها الحلقات الدراسية، وشملت تدريس اللغة العربية، والفقه، وحفظ القرآن، والقراءات بالروايات المختلفة، ودروس الحديث النبوي، وكان المدرسون يقومون بالوعظ، والبعض بالقضاء، وكانت الخوانق تحتوي على خزائن الكتب، ولا سيما المصاحف، وكتب علوم اللغة والفقه والنحو والفلك، كما كان من في الخوانق ينسخون الكتب، وقد خصص لكل جماعة من الطلبة الذين يقيمون في الخوانق مدرسين يعلمونهم، ويدربونهم للقيام بمراسيم التصوف(١٢٧).

كان يعمل في الخوانق من يقوم على توفير حاجات المتصوفة والطلاب، من مأكل وملبس وأدوية، فقد رتب لكل مقيم الطعام اليومي من لحم وخبز، بالاضافة الى الحلوى والصابون والزيت، وعين في الخوانق من يقوم على حلق رؤوس الطلاب، وتدليك أجسامهم حتى يتمكنوا من التفرغ للعبادة والدرس داخل الخانقاة، وحتى لا يكونوا في حاجة للاتصال الخارجي(١٢٨).

عني صلاح الدين في بناء الخوانق محبة للصوفية وتقربا لله، وأقام الخانقاه الصلاحية بالقدس بعد تحريرها من الصليبيين، وأوقف عليها قرية صور باهر(١٢٩)،

وقد خصصت للمشايخ من الصوفية والكهان والشبان البالغين من العرب والعجم، وكانت مستقرا للطلاب الذين يشتغلون بالعلم، وكانت مشيخة الخانقاة من الوظائف الهامة، اذ كان شيخها من أرباب الوظائف الدينية، وكان يعين بتوقيع من السلطان، ومن مشايخها، غانم بن علي الأنصاري المقدسي المتوفي سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥، وقد بنى والي دمشق مجاهد الدين ابراهيم بن اونبا بنى الخانقاة المجاهدية في دمشق(١٣٠).

وفي دمشق اشتهرت خانقاة الناصرية لايواء المسافرين، والحسامية التي أقامتها أخت صلاح الدين ست الشام أم الأمير حسام الدين بن لاجين عام ٥٨٧ / ١١٩٠(١٣١)، وهناك الخانقاة الأندلسية في دمشق، وكان شيخها شهاب احمد العناني.

وفي القاهرة اشتهرت خانقاه سعيد السعداء التي كان يملكها الأستاذ قنبز، أحد خدام القصر الفاطمي، وحولت سنة ٥٦٩ / ١٧٢ للفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وولي مشيختها تقي الدين عبدالرحمن بن الوزير، وكان شيخها يلقب (شيخ الشيوخ).

* الزوايا

الزوايا كالربط والخوانق، الا أنها أصغر منها في الغالب، وهي مأخوذة من فعل انزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد(١٣٢)، وكانت الزوايا تطلق على ناحية من نواحي المساجد الكبرى، كما كانت تنشأ حول ضريح ولي مشهور، أو تبنى أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة، وقد ارتبطت الزوايا بأسماء شخصيات دينية معروفة بالفضيلة والعفة، ولهم أتباع مريدون ومعارف، كما كان لهم حظوة لدى السلاطين، بل يذكر المقريزي أن بعضهم(١٣٣) كان يجلس للوعظ، فيجتمع اليه الناس، ويروي عليهم الحديث، ويعلمهم علوما أخرى.

أنشأ صلاح الدين الزاوية الختنية بالقدس، ووقفها على الشيخ جلال الدين

محمد بن أحمد الشاشي ٥٨٧ / ١١٩٠، وعلى من يحذو حذوه من الصالحين، كانت الزوايا في البراري مركزا للتصوف، وملجأ للمتضررين يأوي الفقراء من الفقهاء، تصعيدا للانقطاع للعبادة، وممارسة التصوف، وكان الزهاد يعتكفون في غرف صغيرة.

ساهمت الزوايا في التعليم، فكانت مراكز لتحفيظ القرآن وتعليم الدين، بالاضافة الى دعوة شيوخها الى الجهاد، واقامة الأذكار(١٣٤)، وكان كبار الشيوخ يدرسون في الزوايا كما يعلمون في المدارس سواء بسواء(١٣٥).

كان يطلق أحيانا على بعض الزوايا اسم المدارس، فكانت المدرسة الأمينية تدعى الزاوية الأمينية، وكانت الزوايا تحتوي على خزائن كتب موقوفة، وقد اشتهرت بعض الزوايا في بلاد الشام، منها الزاوية الأيوبية، والزاوية السيوفية في دمشق، والزاوية الهلالية والكمالية والصالحية في حلب، وفي القدس زاوية بدرالدين بن محمد بن يوسف المتوفى سنة ٦٥٠ / ١٢٥٢ ، والزاوية الحراجية، والزاوية الختنية.

أما في مصر فقد اشتهرت زاوية الامام الشافعي التي وقفها الملك العزيز عثمان، والزاوية المجدية التي رتبها مجد الدين أبوالأشبال الحارث مهذب الدين أبوالمحاسن بركات المتوفى سنة ٦٣٨ / ١٢٤١ ، وقد درس فيها وجيه الدين بن عبدالوهاب البهنسي، والزاوية الصاحبية التي وقفها الصاحب تاج الدين محمد ابن فخر الدين.

٥ – المكتبات

اهتم المسلمون كثيرا بجمع الكتب واقتنائها، وكان الخلفاء والوزراء والأمراء يتنافسون في هذا المضمار، فقد حرص الفاطميون على جمع الكتب المختلفة، ووضعها في خزائن منظمة، خاصة في القصور والمساجد لنشر ثقافة الشيعة، تقليدا للخلفاء العباسيين الذين أقاموا المكتبات، لقد أمد الفاطميون (دار العلم) بمئات الألوف من المصنفات، وأباحوا للناس الانتفاع منها، وبما يحتاجون من مواد وأقلام ومساند دون مقابل(١٣٦).

أوقف نور الدين خزائن كتب على مدرسته بحلب، وسلمت الى محمد بن علي

بن ياسر الجياني الأندلسي(١٣٧) ووقف الكتب الطبية على البيمارستان الذي شيده بدمشق، ولم يلبث ان اقتدى الأيوبيون بأسلافهم، وشجعوا اقتناء الكتب، وايجاد مكتبات في معاهد العلم فكان صلاح الدين يبيح لرجاله أن يأخذوا ما شاءوا من الكتب التي وقعت اليه، لاقامة المكتبات الخاصة أو العامة أو مكتبات المدارس، فقد أعطى مؤدب ولده الأفضل أبي سعيد البندهي كتبا من خزائن حلب،كما أعطى في مصر وزيره القاضي الفاضل من خزانة الفاطميين قدرا كبيرا من كتبها(١٣٨).

انتشرت المكتبات في العهد الأيوبي، وأوقفت عليها الأوقاف الجارية لتغطية النفقات اللازمة، وكانت المكتبات مؤثثة تأثيثا جيدا، ومفروشة بالبسط والسجاد، وكان للنوافذ ستائر جميلة(١٣٩)، وكانت الكتب تعار للعلماء والأدباء لفترة محددة، وكان بعض المستعيرين يستهينون بالكتاب المستعار ولا يردونه أو يتلفوه، لذلك اختلفت شروط الاعارة الخارجية باختلاف الظروف، مع أن المبدأ الأساسي هو السماح باعارة الكتب بدون مقابل(١٤٠)، الا أنه أصبح المستعير يدفع تأمينا للمكتبة حتى يعيد الكتاب ويحافظ عليه، واعادته خلال شهرين.

كانت الكتب ترتب في الحجرات المختلفة حسب المواضيع، وكان لكل مكتبة فهرس يرجع اليه لسهولة استعمال الكتب، وكانت الفهارس منظمة، وكانت الى جانب الفهارس توجد قائمة ملصقة على باب كل خزانة توضح ما فيها من كتب(١٤١)، لقد شملت كتب المكتبات ألوان الثقافة المختلفة في ذلك العصر من فقه وحديث وتفسير ولغة وأدب وتاريخ وفلك وكيمياء وطب وهندسة.

• أنواع المكتبات :

تنوعت المكتبات أيام الأيوبيين، وكانت لخدمة الناس، ولا سيما العلماء، والمثقفين والطلاب، ومن أنواعها:

١ – المكتبات العامة : أنشئت في المساجد والمدارس والزوايا والربط والخوانق لتكون في متناول الدارسين، ولم تكد تخلو مدرسة من خزائن الكتب، وكان بجامع دمشق مكتبة عامرة، كما كان بجامع الاسكندرية مكتبة كبيرة، وكان في المدرسة الكاملية دارا للكتب لها قيم، وبها ٦٨ ألف مجلدا. ولما أسس القاضي الفاضل

مدرسته في القاهرة وقف عليها جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، ويقال انها مائة ألف كتاب(١٤٢)، وفيها مصحف كبير اشتراه الفاضل بأكثر من ٣٠ ألف دينار، مكتوب بالكوفية على أنه مصحف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وكان صلاح الدين قد سمح للقاضي الفاضل بأخذ ما يريد من مكتبة آمد، ويقال ان ابن قرة أرسلان باع من خزائن آمد مالا حاجة له به مدة سبع سنين، حتى امتلأت الأرض من ذخائرها(١٤٣)، وكان في المستشفيات مكتبات تضم كتب الطب، فقد أوقف نور الدين الكتب الطبية على مستشفى دمشق. وكانت مكتبة المارستان المنصوري كبيرة.

كان في المكتبات العامة الكبيرة عدد من الموظفين، كالخازن الذي كان يشرف على الناحية الادارية والعلمية فيها، وكان يتمتع بثقافة عالية، والنساخ، وكانت مهمتهم تشبه قسم الطباعة والنشر اليوم، اذ أن عملهم استنساخ الكتب الجديدة، وقد عرف النساخ بالدقة والأمانة وجودة الخط، ويروى أنه كان في مكتبة القاضي الفاضل عدد من النساخ(١٤٤) والمجلدين، وكانوا يقومون بتجليد الكتب للمحافظة عليها، وهناك المناولون ومهمتهم ارشاد القراء الى أماكن وجود الكتب، أو احضارها لهم من أمكنتها حيث يقرأون،وكان الفراشون يعنون بنظافة المكتبة والكتب.

كانت الأوقاف هي المصدر الذي ينفق منه على المكتبات، وما يلزمها من ترميم للبناء أو مد المكتبات بما استجد من كتب، ودفع مرتبات الموظفين وشراء الورق والحبر والأقلام(١٤٥).

٢ - المكتبات الخاصة : كان الأمراء والوزراء والمثقفون يكونون لأنفسهم مكتبات خاصة بهم في منازلهم، فكانت دار العلم في القصر الفاطمي بمصر تحوي مليوني مجلدا(١٤٦)،وقد وصفها أبوشامة، بأنها كانت من عجائب الدنيا، لم يكن في جميع بلاد الاسلام مكتبة أعظم من الدار التي في القاهرة بمصر(١٤٤٧)، ويؤكد ابن تغري بردي ذلك، فيقول، (أمر الخليفة الحاكم بعمارة دار العلم، وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة).

كانت مكتبة أسامة بن منقذ تضم أربعة الاف مجلد ثمين، وكانت مكتبة

الطبيب الموفق بن المطران الذي توفي سنة ٥٨٧ / ١١٩١ ، تضم ما يناهز على ١٠ الاف مجلد من الكتب الطبية عدا ما استنسخه من كتب، وعل مكتبة القاضي الفاضل من أشهر المكتبات الخاصة، اذ كان له همة عالية في تحصيل الكتب، وكان صلاح الدين يسمح له بأخذ ما يريد من المكتبات التي تؤول اليه، فقد أخذ من مكتبة العاضد الفاطمي الشيء الكثير، كما أخذ حوالي ٧٠ حملا من مكتبة آمد، وقد أوقفها جميعها على المدرسة التي أقامها في القاهرة. واشتهرت مكتبة جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ ، فقد جمع من الكتب مالا يوصف، وكان لا يحب من الدنيا سوى الكتب، وكانت تساوي ٥٠ ألف دينار(١٤٩)، وقد أوصى بها الى الملك الناصر الأيوبي.

وضمت المكتبة الضيائية المؤلفات العديدة، وقد أوقف ضياء الدين محمد ابن عبدالواحد المقدسي فيها كتبه ومؤلفاته، ومؤلفات شيوخه وتلاميذه وغيرهم.

وكانت سوق الكتب رائجة في هذا العهد، فكان بمصر سوق يقع في الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص، وأسواق أخرى، وكان في دمشق سوق كبير للكتب يضم أنواع مختلفة من الكتب، كما كان في المدن أسواق لبيع الكتب يؤمها العلماء والأدباء.



هوامش الفصل الثاني

١ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢١٣/٤ .
٢ - المقريزي ، الخطط ، ٣١٤/٣
٣ - النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٤٠١/١ .
٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ١٢٧/١٠ .
٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤٩/١٢ .
٦ - النعيمي ، مصدر سابق ، ٣٩٩/١ .
٧ - ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٨ .
٨ - ابن الأثير ، الكامل ، ٤٤٠/١١
٩ - ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٩ .
١٠- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١/ ٣٥١ .
١١- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٥ .
١٢- النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ١٠/٢ .
١٣- ابن ابي اصيبعه ، عيون الانباء ، ٢٠٧/٢ .
١٤- ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٠٧/٢ .
١٥- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٥٥/٢ .
١٦- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧٥/١٣ .
١٧- النعيمي ، مصدر سابق ، ٣٥٩/١ .
١٨- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٣٥٧/١ .
١٩- ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢٢٦/٢ .
٢٠- ابن واصل ، مفرج الكروب ،، ٢٢٦/٢ .
٢١- المقريزي ، الخطط ، ٣٠٧/٢ .
٢٢- النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٤٧/١ .
٢٣- يسف غوانمه ، إمارة الكرك الأيوبية ، ٣٦٧ .
٢٤- ابن عبري ، تاريخ مختصر الدول ، ٢٥٤ .
٢٥- النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ١١٥/١ .
٢٦- المقريزي ، الخطط ، ٣٣٣/٣ .
٢٧- ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٥ .

٢٨- كرد علي ، خطط الشام ، ١٢٦/٦ .
٢٩- أبو شامه ، ذيل الروضتين ، ١٤ .
٣٠- النعيمي ، مصدر سابق ، ١٦٥/١ .
٣١- مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ٤٨/٢ .
٣٢- الأكوع ، مدارس اليمن ، ١٤ .
٣٣- هاملتون جب ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .
٣٤- كامل العسلي ، مرجع سابق ، ص١٦ .
٣٥- د. عبد الجليل عبد المهدي ، المدارس في بيت المقدس ، ٢١٣/١ .
٣٦- عمر كحالة ، مرجع سابق ، ٨٩ .
٣٧- المقريزي ، الخطط ، ٣٦٣/٢ .
٣٨- ابن جبير ، الرحلة ، ٢٩ .
٣٩- أحمد بدوي ، مرجع سابق ص ٤٧ .
٤٠- عبد الله عبد الدايم ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .
٤١- كامل العسلي ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .
٤٢- عبد الجليل عبد المهدي ، المدارس في بيت المقدس ، ٣٦٣/١ .
٤٣- حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام الثقافي ، ٦٠٨/٤ .
٤٤- إبن جبير ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .
٤٥- السباعي ، من روائع حضارتنا ، ص ١٢٧ .
٤٦- تنسب الى الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي ، وقد أسست سنة ٤٩٠هـ، وجددت في عهد المعظم عيسى ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن (الأنس الجليل ٢٨/٢) .
٤٧- كرد علي ، مرجع سابق ، ٩٨/٦ .
٤٨- السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ٢٦٣/٢ .
٤٩- المقريزي ، الخطط ، ٣٨٣/٣ .
٥٠- مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ٤٦/٢ .
٥١- النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٥٧٩/١ .
٥٢- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٩/١٣ .
٥٣- كرد علي ، خطط الشام ، ٩٧/٦ .
٥٤- أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ٣٧ .
٥٥- المقريزي ، الخطط ، ٣١٥/٢ .
٥٦- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٤٠٧/٢ ، مجير الدين الحنبلي ، ٢/١٠١ .

٥٧- النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٣٥٩/١ .
٥٨ - كرد علي ،خطط الشام ، ١٠٤/٦ .
٥٩ - ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢٤٨/١٣ .
٦٠ - المقريزي ، الخطط ، ٣٦٤/٢ .
٦١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧٤/١٣ .
٦٢ - مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ٤٦/٢ .
٦٣ - كرد علي ، خطط الشام ، ٩٦/٦ .
٦٤ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٠٧/٦ .
٦٥ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٢١١/٤ .
٦٦ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٥٩/١ .
٦٧ - احمد بدوى ، الحياة العقلية ، ٣٥ .
٦٨ - النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٤٨/١ .
٦٩ - مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ٣٤/٢ .
٧٠ - كامل العسلي ، معاهد بيت المقدس ، ١٠٩ .
٧١ - الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٠ .
٧٢ - الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٠ .
٧٣ - ابن ابو اصيبعة ، عيون الانباء ، ٧٥٣
٧٤ - ابن ابي اصيبعة ، مصدر سابق ، ٦٢٨ .
٧٥ - المقريزي ، الخطط ، ٢/ ٣٦٦ .
٧٦ - ابن ابي اصيبعة ،عيون الانباء ، ٢٠٧/٢ .
٧٥ - ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٠ .
٧٦ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٦٢٨ .
٧٧ - المقريزي ، الخطط ، ٤٠٨/٢ .
٧٨ - ابن جبير ، الرحلة ، ٢٣٠ .
٧٩ - ابن جبير ، الرحلة ، مرجع سابق ، ص ٥١ .
٨٠ - ابن جبير ، الرحلة ، ٢٧٢ .
٨١ - المقريزي ، الخطط ، ٤٢١/٢ .
٨٢ - كرد علي ، خطط الشام ، ١٦٧/٦ .
٨٣ - احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٥٧ .
٨٤ - الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٣ .

٨٥ – احمد شلبي ، مرجع سابق ، ٥٧ .
٨٦ – الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٣ .
٨٧ – احمد بدوى ، مرجع سابق ، ٥٣ .
٨٨ – الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٣ .
٨٩ – ابن حجر ، هدى الساري مقدمة فتح الباري ٣٧٨ .
٩٠ – الشيرزي ، نهاية الرتبةة في طلب الحسبة ،١٠٤ .
٩١ – الشيرزي ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ١٠٤ .
٩٢ – ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ٢٤٣/٢ .
٩٣ – احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٢٧ .
٩٤ – ابوشامة ، الروضتين ، ١٦/١ .
٩٥ – رحلة ابن جبير ٢٨٥/٥ .
٩٦ – مجير الدين الحنبلي ، مصدر سابق ص ٤٧/١ .
٩٧ – المقريزي ، الخطط ، ٣١٥/٢ .
٩٨ – ابن جبير ، مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .
٩٩ – النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ٥٩٩/١ .
١٠٠ – المقريزي ، الخطط ٣٣٣/٣ .
١٠١ – النعيمي ، مصدر سابق ، ٣٠٣/١ .
١٠٢ – ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٢ .
١٠٣ – النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ١٦٥/١ .
١٠٤ – كرد علي ، خطط الشام ، ٣٩/٤ .
١٠٥ – ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ٢٣٣ .
١٠٦ – المقريزي ، الخطط ، ٤١٤/٢ .
١٠٧ – ابو شامة ، الروضتين ، ١٩١/١ .
١٠٨ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٤٨/١٢ .
١٠٩ – احمد بدوي ، الحياة العقلية ، ١٢٧ .
١١٠ – السيوطي ، طبقات الشافعية ، ١٣٨/٢ .
١١١ – رحلة ابن جبير ، ٢١٩ – ٢٢٠ .
١١٢ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤٨/١٣ .
١١٣ – كامل العسلي ، معاهد العلم في بيت المقدس ، ٣٩ .
١١٤ – مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ٣٥٧/٢ .

١١٥ – النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ١٠١/١ .
١١٦ – احمد بدوى ، الحياة العقلية ، ١٧ .
١١٧ – ياقوت ، معجم الادباء ، ٨٠/٢ .
١١٨ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠٠/١٣ .
١١٩ – عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، ١٦٠ .
١٢٠ – سورة النفال ، اية ٨ .
١٢١ – د. كامل العسلي ، مرجع سابق ، ٣٠٦ .
١٢٢ – عمر كحالة ، دراسات اجتماعية ، ٥٩ .
١٢٣ – المقريزي ، الخطط ، ٤٢٨/٣ .
١٢٤ – ابن تغرى بردى ، مصدر سابق ، ٩٩/٦ .
١٢٥ – المقريزي ، الخطط ، ٣٩٩/٣ .
١٢٦ – ابن جبير ، الرحلة ، ٢٤٣ .
١٢٧ – كرد علي ، مرجع سابق ، ١٣١/٦ .
١٢٨ – السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ١٢٥ .
١٢٩ – العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ١٤٥ .
١٣٠ – مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١٤١/٢ .
١٣١ – الكتبي ، فوات الوفيات ، ٣٢٩/٤ .
١٣٢ – حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ٤٢٣/٤ .
١٣٣ – المقريزي ، الخطط ، ٤٣٥/٢ .
١٣٤ – كرد علي ، خطط الشام ، ١٣٦/٦ .
١٣٥ – كامل العسلي ، معاهد العلم في بيت المقدس ٣٠٨ .
١٣٦ – د. حسن ابراهيم ، مرجع سابق ، ٤٣٢/٤ .
١٣٧ – كرد علي ، مرجع سابق ، ١٧٧/٦ – ١٧٨ .
١٣٨ – المقريزي ، الخطط ، ٣٤٧/٢ .
١٣٩ – نفس المصدر السابق ، ٤٥٨/١ .
١٤٠ – محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الاسلام ، ١٦٠ .
١٤١ – المقريزي ، الخطط ، ٤٥٨/١ .
١٤٢ – المقريزي ، الخطط ، ٣٦٥/٢ .
١٤٣ – ابو شامة ، الروضتين ، ٣٩/٢ .
١٤٤ – ابن جماعة ، تذكرة السامع ، ١٦٦ .

١٤٥ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣٢٧/١ .
١٤٦ – ابو شامة ، الروضتين ، ٢٠٠/١ .
١٤٧ – نفس المصدر ونفس الصفحة .
١٤٨ – ابن تغرى بردى ، مصدر سابق ، ٢٢٢/٤ .
١٤٩ – الكتبي ، فوات الوفيات ، ٩٧/٢ .

الفصل الثالث

عناصر العملية التعليمية

١ - المعلمون

* مراتب المعلمين والقابهم
* ثقافة المعلمين وتخصصاتهم
* أحوال المعلمين المادية والاجتماعية
* الاجازات التعليمية

٢ - الطلاب

* سن قبول الطلاب
* اعداد الطلاب
* الثواب والعقاب

٣ - المناهج التعليمية



عناصر العملية التعليمية

نشط التعليم أيام الأيوبيين، وأقبل الناس على تلقي العلم صغارا في المدارس، وكبارا في المساجد والخوانق والربط والزوايا، وكانت العملية التعليمية تتكون من عناصر رئيسة هي المدرس والطالب والمنهاج.

حظي المدرسون بمكانة مرموقة في العصر الأيوبي، ذلك أنهم كانوا مصدر العلم والمعرفة، وكانوا يتمتعون بسعة الصدر والعفة والعدل، والقدرة على التوجيه، بالاضافة الى ما كانوا يملكون من ثقافة وعلوم، ولم تشارك النساء في الحركة التعليمية الا في نطاق ضيق، فلم أعثر في المصادر التي اطلعت عليها ما يفيد أن المعلمات شاركن في الحركة التعليمية آنذاك.

وكان الطلاب يتعلمون على أيدي آبائهم في البيوت أو في الكتاب، قبل أن يلتحقوا بالمدارس، التي كانوا يقبلون عليها في سن مبكرة، وكانت أعدادهم تختلف من مدرسة الى أخرى.

أما المناهج الدراسية فكان القرآن والسنة محورها، وما دراسة اللغة العربية والحساب والفلك والطب الا لتوضيح وتعزيز العلوم الدينية لدى أفراد المجتمع. سأحاول أن أبحث عناصر العملية التعليمية الرئيسة بشيء من التفصيل في الصفحات اللاحقة.

١ — المعلمون

اهتم الأيوبيون بالمعلم، وأولوه مكانة ملؤها التقدير والاحترام، وليس أدل على ذلك من أن معظم السلاطين كانوا يسامرون العلماء كلما سنحت الفرصة لهم، كما كانوا يشيعون جنازة المشهورين منهم، فعندما توفي علي بن الحسن بن عساكر الحافظ الدمشقي سنة ٥٧٠ / ١١٧٤ حضر جنازته صلاح الدين في الميدان، وصلى عليه(١).

مراتب المعلمين وألقابهم :

كان المشتغلون بالتدريس يتمتعون بمكانة عالية، وكانوا ينقسمون الى مدرس ومعيد.

* **المدرس** : هو الاسم الذي يطلق على من يقوم بالقاء الدرس، كأن يقوم بتدريس أحد المواضيع، كالفقه والتفسير أو النحو أو غير ذلك. وكان المدرس في المدارس المشهورة يعين بمرسوم سلطاني، يتم اعلانه في احتفال خاص(٢)، فقد فوض صلاح الدين الى شيخ الاسلام أبوالعز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي المتوفى سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥ التدريس في المدرسة الصلاحية سنة ٥٨٨ / ١١٩١(٣). كما فوض السلطان أمر التدريس في المدرسة السيوفية للشيخ مجد الدين محمد بن الجبتي.

لم يكن بالمدرسة أول الأمر الا مدرس واحد، ثم صار يعين عدد من المدرسين في المدارس الكبيرة، ففي المدرسة القمحية عين صلاح الدين أربعة مدرسين(٤) ورتب الملك الصالح أربعة مدرسين في المدرسة الصالحية سنة ٦٤١ / ١٢٤٣ .

وكان بعض المدرسين يتولون التدريس في مدرستين، أو في المدرسة والجامع، وكان أبومنصور الدمشقي، عبدالرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفى سنة ٦٢٠ / ٦٢٣ شيخ الشافعية، يعلم في المدرسة التقوية، ودار الحديث النورية. ومشهد بن عروة والمدرسة الصلاحية بالقدس، وكان يقيم في دمشق أشهرا، وبالقدس أشهرا.

وكان بعض المدرسين يتولى مناصب أخرى، كالخطابة والقضاء بالاضافة الى التدريس، وكثيرا ما كان المدرس يجمع بين التدريس والقضاء، فقد قلد الملك الأفضل قضاء مصر الى زين بن بندار بالاضافة الى التدريس فجاء في المرسوم(٦) (ومنصب التدريس كمنصب القضاء يشد من عضده، ويكثر من عدده، فتولى المدرسة الفلانية عالما، انك قد جمعت بين سيفين في قراب، وسلكت بابين الى تحصيل الثواب، وركبت أعز مكان، وهو تنفيذ الحكم، وجالست خير جليس وهو الكتاب).

وكان عبد الصمد بن محمد بن الفضل جمال الدين الحرستاني المتوفي سنة ٦١٥ / ١٢١٨ قاضيا، ويدرس الفقه بالمدرسة العزيزية، كما كان يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري المتوفى سنة ٦٢٣ / ١٢٢٦ قاضي القضاة في دمشق، ومدرس التفسير في المدرسة العادلية الكبرى أيام الملك المعظم. وعين بدر الدين السخاوي مدرسا في المدرستين التقوية، والشريفية بالاضافة الى عمله كقاضي القضاة. كان المدرس ينيب عنه من يقوم مقامه بالتدريس، فقد أناب والد ابن واصل الحموي شيخ الصلاحية سنة ٦٢٤ / ١٣٢٧ ابنه اثناء سفره للقيام بأداء فريضة الحج.

• **المعيد**:

كان يلي المدرس رتبة، وكان يحضر درس الشيخ أو المدرس، فيجلس الى جانبه، حتى اذا انتهى المدرس وانصرف من الحلقة، ترك المعيد يشرح النقاط الصعبة أو ليعيد الدرس الذي ألقاه المدرس لتوضيح ما لم يتضح، حتى يرسخ في أذهان الطلاب(٧).

وكان المعيد لا يبخل بوقته في سبيل افهام العاجزين بسعة صدر، ويناقشهم، ويختبر مقدار فهمهم، وكان يوصي كل واحد منهم بقراءة الكتب التي تلائم مستواه الفكري ومقدار علمه، كما كان المعيد يعاون الطلاب في اعادة ما حفظوه ويراجعهم بالمذكرات(٨)، يقول السبكي(٩)، المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس، من تفهيم بعض الطلبة، ونفعهم، وعمل ما يقتضيه حافظ الاعادة، والا فهو والفقيه سواء، فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الاعادة.

كان يشترط أن يكون المعيد من صلحاء القوم الفضلاء، صبورا على أخلاق الطلاب حريصا على فائدتهم فاذا سأل طالب عن شيء، قال لا أعلم اذا كان لا يعرف(١٠) دون خجل، وكان الطالب المجد، والذي يجد فيه المدرس كفاءة عالية يعين معيدا.

ظهرت وظيفة المعيد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري بظهور المدارس، ولم يرد لها ذكر قبل هذا التاريخ، ويعتقد أن تفاوت مقدرة الطلاب العلمية أوجدت وظيفة المعيد، ليساعد المتخلفين حتى يتمكنوا من مسايرة زملائهم.

كان للمدرس معيد أو أكثر تبعا لعدد الطلبة وكثرتهم(١١). فقد كان في المدرسة الناصرية بالقاهرة معيدين الى جانب الخبوشاني مدرسها وناظر وقفها(٧)، وكان في المدرسة الصالحية بمصر أربعة مدرسين، وقد عين لكل منهم معيدين يساعدانهم.

كثيرا ما كان المعيد معيدا في مدرسة، ولكنه يعمل مدرسا في مدرسة أخرى، فقد روى السيوطي(١٢) أن النصير بن الطباخ درس في المدرسة القبطية، وكان معيدا بالمدرسة الصالحية عند عز الدين بن عبد السلام، وكان قاضي القضاة علاء الدين أبوالحسن ابن شرف التميمي معيدا بالمدرسة الصلاحية، وعمل أبوالحسن السيف الآمدي المتوفى سنة ٦٣١ / ١٢٣٤ معيدا بالمدرسة الناصرية بالقاهرة، ثم عمل مدرسا بالمدرسة العزيزية بدمشق، وكان تقي الدين بن الصلاح المتوفي سنة ٦٤٣ / ١٢٤٦ معيدا عند الشيخ العلامة عماد الدين بن حامد بن يونس بالموصل، ثم عمل مدرسا بالمدرسة الصلاحية بالقدس ثم بالمدرسة الرواحية بدمشق، وأخيرا مدرسا في دار الحديث الأشرفية في دمشق.

كانت بعض المدارس تخلو أحيانا من المدرسين ويُكتفى بالمعيدين، فقد خلت المدرسة الصلاحية من مدرسين مدة ثلاثين سنة، ثم جرى تعيين مدرس بعد ذلك(١٣)، قد يكون تعيين المدرسين أو المعيدين في مدرسة ما يعتمد على مستوى المدرسة العلمي، فالمدرسة التي يعين فيها مدرسين تكون أرقى علميا من المدرسة التي يعمل فيها معيدين فقط.

كان بعض الموقفين والموقفات يشترطون أن يكون في المدرسة مدرس ومعيد، فقد شرطت زهرة خاتون بنت العادل في أن يكون في المدرسة العادلية الصغرى بدمشق مدرسا ومعيدا واماما، ومؤدبا، وقيما.

أطلق على المشتغلين بالتدريس ألقاب تشريف وتقدير، لا علاقة لها بالدرجات العلمية على ما يبدو، منها الشيخ والامام والفقيه، والأستاذ، ولم يكن هناك أسس علمية متفق عليها لحيازة هذه الألقاب، مع أنها كانت دليلا على المكانة العلمية التي تلقب بها صاحبها، وأقر له زملاؤه بها(١٤)، ولا نستطيع أن نضع حدا فاصلا بين هذه الألقاب، اذ أننا نجد أن الأئمة والشيوخ والأساتذة يشتركون في تصنيف

الكتب، والتعمق في مادة تخصصهم، وثقافتهم العلمية، ولكن ذلك لا يبني وجود فوارق في المكانة العلمية التي تدل عليها الألقاب،ذلك أن هذه الألقاب في الغالب استندت الى تقديرات اجتماعية، وقد أطلقها الطلاب على معلميهم، وربما تشير الى مراتب في المستويات العلمية في أغلب الأحيان.

فكان المدرس مثلا يقوم بالتدريس بعد حصوله على الاجازة بالتدريس والافتاء، وفيما يلي فكرة عن هذه الألقاب:

* الشيخ :

كان يطلق على العالم الذي بلغ أعلى المراتب العلمية، فيقال شيخ المحدثين، وشيخ النحاة، وشيخ المدرسة، كان بهاء الدين بن شداد المتوفى عام ٦٣٢ / ١٢٣٥ يتولى مشيخة المدرسة الصلاحية بالقدس(١٥)، وكانت رتبة الشيخ رتبة مرموقة لا يجلس بها الا كبار العلماء، فكان الشيوخ والمدرسون يعينون بمرسوم سلطاني خاص، يعلن في احتفال خاص وهذا دليل على المكانة التي كان يتبوأها الشيوخ والمدرسين، فكان الحافظ أبوعمر وعثمان بن دحية المتوفى سنة ٦٣٤ / ١٢٣٣ يعرف بالشيخ، أما أبوالخطاب عمر ابن الحسن بن علي بن بدر بن أحمد بن دحيه المتوفى سنة ٦٣٣ / ١٢٣٦ فكان معروفا بأنه شيخ الحديث في الديار المصرية.

* الامام :

وهو أسمى ألقاب العلم عامة، ويدل على تمكن صاحبه من علمه بحيث يصبح قدوة يحتذى، أو اماما في هذا العلم، فيقال أئمة في الحديث أو الحساب،وكان شيخ الاسلام مجد الدين بن جهبل اماما في الفقه والحساب والفرائض(١٦)، وكان الشاطبي يكنى الامام أبومحمد الشاطبي، وكان عبدالله بن بري النحوي المصري ت ٥٨٢ / ١١٨٦ اماما في النحو.

* الأستاذ :

يبدو أن لقب الأستاذ هو لقب خاص بالمعلم، ولكنه يطلق على فئة استطاعت أن تنجح في مهمتها التدريسية(١٧)، في حين أن الامام والشيخ أطلقا على العلماء سواء عملوا في التعليم أم لم يعملوا.

* **المعلم :**

يبدو أن المعلم كان أقل الرتب العلمية، اذ كثيرا ما قرن بتعليم الأولاد والصبيان في الكتاتيب، ويقول ابن خلكان، انه كان معلما للصبيان ثم رفع الى مرتبة علمية(١٨)، وقد قيل (أحمق من معلم كتاب)، دلالة على أن المعلمين هم دون غيرهم من الفئات الاجتماعية(١٩).

* **المؤدب :**

كان يعمل في تعليم أولاد الخاصة من خلفاء وأمراء وقادة، والمؤدبون لا يعلون الى مرتبة الشيوخ والأئمة في البحث والابداع وانما يكتفون من العلم بما يساعدهم على القيام بمهمتهم، خاصة وأنه يطلب منهم التأديب والتعليم بأكثر من مادة، وكان سعيد البندهي مؤدبا لأولاد صلاح الدين.

* **ثقافة المعلمين وتخصصاتهم :**

تزود المعلمون بثقافة عامة تتناول علوم العصر وألوان العلوم والثقافة الموسوعية، وكان القرآن الكريم محور ثقافة جميع المعلمين وأساس تخصصاتهم، فقد كان هدف دراسة اللغة من نحو وبلاغة وأدب، والحديث والفقه والفلك والحساب(٢٠) ، هو خدمة ما في القرآن من عبادات تحتاج الى معرفة الأوقات، ومن قسمة للارث تحتاج الى معرفة بالحساب. وهكذا كان المعلمون حريصين على أن يزودوا أنفسهم بثقافة واسعة تمكنهم من تلبية حاجات المجتمع الأساسية العلمية ولا سيما الدينية، واختص كثير من المعلمين بمواضيع مختلفة كالفقه والحديث، وتدريس القراءات، غير أن هذه الثقافة كانت تختلف من معلم لآخر.

كان مؤيد الدين أبوالفضل محمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمن الحارثي المتوفى سنة ٥٩٩ / ١٢٠١ واسع الثقافة، فقد اشتغل بالأدب وعلم النحو، وله شعر جيد، وسمع الحديث عن السلفي بالاسكندرية، كما اشتغل بصناعة النجوم، وعمل الزيجات، وله معرفة بالهندسة وصناعة الطب.

اشتهر معلمو الكتاب بضحالة ثقافتهم(٢١) وقلة معارفهم، حتى ان قسما منهم فقد الاحترام، وجلب السمعة السيئة الى الطائفة كلها، فتناقل الناس قول الجاحظ

حتى اصبح من الأمثال العامة، (أحمق من معلم الكتاب) لقد كانت مؤهلاتهم انهم حفظوا القرآن، دون معرفة لعلومه، أو حتى فهم آياته، وكان بعض الصبيان ينشأون بعقيدة فاسدة(٢٢)، ولذلك أصبحت عبارة معلم صبيان تضرب للامتهان(٢٣) في كثير من الأحيان.

أما المدرسون في المدارس والجوامع فقد تمتعوا بثقافة واسعة، وتعمق في تخصصاتهم، فهذا أبوعمرو عثمان بن عبدالرحيم المعروف بابن الصلاح والملقب تقي الدين المتوفى سنة ٦٤٣ / ١٢٤٦ برز فضلاء عصره في التفسير والفقه. لقد اختص الامام الشاطبي بالقراءات، وشيخ الاسلام مجد الدين ظاهر بن جهبل في الفقه والحساب والفرائض(٢٤)، وكان موفق الدين بن المطران مختصا في الطب(٢٥)، ولكنه قرأ علم النحو والأدب على تاج الدين لأبي اليمن زيد بن الحسن الكندي. وعلى سبيل المثال سأستشهد بمدرس كان ذا ثقافة عالية هو بهاء الدين بن شداد وكان ذا مكانة مرموقة، حفظ القرآن، ودرس القراءات السبع، وروى الحديث، وحصل على الاجازات في القراءات والحديث والتفسير والأدب، وألف في التاريخ(٢٦)، أما ابن الحسين بن عبدالله الشيخ أبوالبقاء المتوفى سنة ٦١٥ / ١٢١٨ فكان نحويا، وهو صاحب اعراب القرآن، وكتاب اللباب في النحو، وله حواش على المقامات ومفصل الزمخشري، وديوان المتنبي، وكان اماما في الفقه، فقيها عارفا بالأصول، والأمثلة كثيرة يصعب حصرها.

استقطب الأيوبيون العلماء المشهورين ووفروا لهم كل وسائل المعيشة الكريمة، فقد نزل السلفي الاسكندرية في القرن السادس الهجري، وقصده طلاب الحديث من كل فج على نحو ما يصدر ذلك معجمه، وسمع عليه الحديث صلاح الدين وبعض أبنائه، ووفد من الفقهاء الى مصر والشام أبوعبدالله الفاسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ وعبداللطيف البغدادي. واستوطن مصر الحافظ بن دحية الأندلسي ت ٦٣٣ / ١٢٣٦ وتولى دار الحديث الكاملية.

ووصل الى دمشق ابن مالك محمد بن عبدالله الأندلسي سنة ٦٣٣ / ١٢٣٦ وأخذ عن ابن يعيش، ولما طار صيته في آفاق الشام قصده الطلاب، وكان يحسن

التدريس والشعر، ونظم ألفيته المشهورة التي توالى العلماء على شرحها حتى بلغت ٤٩ شرحا، وألف في النحو كتابه التسهيل، وله في الصرف لامية الأفعال، وتحفة المودود في المقصور والممدود. وظل توافد العلماء على مصر والشام طوال أيام الأيوبيين.

* **أحوال المعلمين المادية والاجتماعية :**

اختلفت أحوال المعلمين المادية والاجتماعية، فكان المعلم يتمتع في غالب الأوقات بمكانة عالية لأهمية الدور الذي يقوم به، فالمعلم قدوة حسنة لطلابه، يكسبهم قيم وعادات وتقاليد المجتمع، ويساعدهم في الحصول على المعارف، ويعودهم الاعتماد على النفس ويمكنهم من تمثل أهداف المجتمع الذي ينتمي اليه، ومما زاد من مكانة المعلم، قوله صلى الله عليه وسلم (انما بعثت معلما)(٢٧).

لقد نال المدرسون كثيرا من الاجلال والتقدير في عهد الأيوبيين، وليس أدل على ذلك من أن صلاح الدين حضر جنازة ابن عساكر الدمشقي(٢٨)، كما أن الملك الأفضل بن صلاح الدين كان ينزل من قلعة دمشق، يتأبط كتابه ويأتي دار أستاذه تاج الدين الكندي المتوفى سنة ٦١٣ / ١٢١٦ في درب العجمي.

وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه، فينتظر حتى تأتي نوبته، جاء الملك العادل الى خص محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ لزيارته، وجلس السلطان ينتظر حتى أتم الشيخ صلاته، ولم يقطعها، وعندما توفي، خرج الأمراء والعلماء في جنازته وشيع الملك الكامل جنازة يحيى بن معطي سنة ٦٢٨ / ١٢٣١ .

أما المؤدبون، وهم معلمو الخاصة، فكانوا يتمتعون بمكانة تنم على التقدير والاحترام وربما كانت مكانة معلمي الكتاتيب ليست مرتفعة لضحالة معلومات معظمهم(٢٩).

لقد تمتع كثير من المعلمين بمكانة ومناصب عالية، فهذا القاضي الفاضل كان وزيرا لصلاح الدين، وابن القفطي كان وزيرا في الدولة الأيوبية وغيرهما كثير. كما تمتع المعلمون بالامتيازات، فكان لهم نقابة تمثلهم، وكانوا يختارون النقيب، ولم

يكن يتدخل السلطان بهم الا اذا وقع خلاف بين الأعضاء، اذ كان يتدخل للتوفيق والاصلاح، لا للأمر واستعمال النفوذ(٣٠).

تباينت أحوال المعلمين المادية من عصر الى عصر، فكان مستقبحا أن يأخذ المعلم أجرا في القرون الاسلامية الأولى، ذلك أن القرآن الكريم هو مادة الدراسة في جميع الحلقات التعليمية، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرىء أصحابه، كما كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصحف ويرونه عظيما، اذ كانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن أجرا(٣١) لذلك كان المعلمون لا يتفرغون للتدريس، بل يعملون أعمال أخرى لكسب معاشهم.

وصارت الدراسات كلها لها حكم القرآن والحديث، فسار بعض المدرسين يجلسون لتعليم الناس دون مقابل، فكان كمال الدين أبوالبركات الأنباري الفقيه النحوي يعلم الناس، ويستقبل طالبي العلم في بيته لوجه الله تعالى.

وعندما ازداد الاقبال على التعليم، وانتشرت المدارس، واحتاج المجتمع لاعداد كبيرة من المدرسين، لتعليم الناس فقه السنة بدل المذهب الشيعي، بدأت فكرة اعطاء مرتبات لمن يخدمون العلم، ويسهمون في رفع المستوى الثقافي، وأصبح دفع الراتب للمدرسين شيئا عاديا، واختلفت الرواتب من معلم لآخر، مما أدى الى تباين مستوى المعلمين وأحوالهم الاجتماعية، وبخاصة أن المعلمين تفرغوا للتعليم، فكان الراتب هو المصدر الرئيسي لدخل معظم المعلمين، وكان الوضع المالي كما يلي:

١ - معلمو الكتاب :

احترف معلمو الكتاب هذه المهنة بثقافة ضحلة أو بدون ثقافة، لذلك كان بعضهم موضع الهزء أحيانا، وكان من حق معلم الكتاب ألا يعلمهم شيئا قبل القرآن ولا يتكلم معهم في العقائد(٣٢)، وكانت حالتهم شحيحة في غالب الأحيان.

كان المعلمون يعتمدون على ما يدفعه لهم الصبيان، ولهذا كان دخلهم يختلف من فترة لأخرى وفقا لأعداد الصبيان ومستواهم المادي، فلم تكن الأجور التي تدفع لهم محدودة، بل كانت متروكة لحالة الطفل نفسه، وقدرة أهله المالية، فكانوا يدفعون مبلغا قليلا من المال أسبوعيا أو شهريا، ورغيف خبز كل اسبوع، كما كان

الأطفال يدفعون في المواسم والأعياد مقدارا من القمح والذرة بدل دفع النقود الشهرية.

وكان الطفل يكرم معلمه اذا أكمل حفظ سورة من السور، مثل سورة تبارك. كما يكرمه اذا سار شوطا آخر، وقد يكون الأب سخيا كريما فيكرم المعلم أجمل تكريم، وقد يشمل العطاء شيئا من المال أو الكساء، حسب قدرة الوالد(٣٣).

٢ – المؤدبون :

وهم معلمو الخاصة، أي المعلمون الذين يعلمون أبناء السلاطين والقادة، وكان تعيين شخص ما مؤدبا يعتبر فاتحة خير عليه، اذ نعم المؤدبون بالغنى والرخاء اللذين استمتعت بها طائفة العظماء الذين اتصل بهم المؤدب، وكان المؤدب يتلقى راتبا جاريا من الحاكم، وكثيرا من الهدايا بالاضافة الى منزل يليق بمؤدب ابن السلطان أو القائد، وبهذا كانت حالة المؤدبين ممتازة، ولهم جاه وهيبة بين أفراد المجتمع.

٣ – المدرسون :

كان المدرسون يتناولون مرتبات شهرية منتظمة حسب مكانة المدرس العلمية، وكانت هذه الرواتب سخية، كما كانوا يتلقون الهدايا من الحاكم، وأصحاب الأوقاف، لذلك عاشوا في بحبوحة من العيش، ونعموا بمستوى مالي مرموق، وأفاض عليهم السلاطين كثيرا من عنايتهم وتكريمهم.

عندما بنى صلاح الدين المدرسة الناصرية بالقاهرة، عين بها الشيخ نجم الدين الخبوشاني للتدريس وشرط له أو لمن يشغل هذا المنصب من بعده كما يلي(٣٤):

٤٠ دينارا في كل شهر عن التدريس و١٠ دنانير للنظر في أوقاف المدرسة

٦٠ رطلا مصريا من الخبز في اليوم راويتين من ماء النيل في كل يوم.

استمرت المدرسة بيد الخبوشاني الى أن مات عام ٥٨٧ / ١١٩١ ، فوليها عدد من الشيوخ منهم، برهان الدين الأخضر السنجاري الذي كان له نفس الراتب السابق. وعندما بنى صلاح الدين المدرسة السيوفية عين لها الشيخ محي الدين الجبتي، ورتب له عشرة دنانير شهريا(٣٥).

تفاوتت رواتب المدرسين، فقد كان اكبر راتب عرف في عهد الأيوبيين هو

الراتب الذي فرضه العزيز عثمان للحسين بن الخطير، فقد قرر له في الشهر ٦٠ دينارا ومائة رطل من الخبز(٣٦)، وخروفا وشمعة في كل يوم، في حين كان اقل راتب عرف هو راتب مدرس التفسير بالقبة المنصورية، وكان مقررا له ٤٠ درهما في الشهر (٣٧)، أي ما يعادل ثلاثة دنانير.

لقد كان ينفق في عهد صلاح الدين على فقهاء دمشق البالغ عددهم حوالي ٦٠٠ مبلغا يتجاوز ٢٠٠ ألف دينار أو يزيد(٣٨)، وفي مقارنة للرواتب أيام صلاح الدين، نجد فروقا بين رواتب المدرسين، وفقا لشهرتهم ومكانتهم العلمية، وفيما يلي بعض الأمثلة :

مجد الدين الجبتي	١٠ دنانير للتدريس
الخبوشاني	٤٠ دينارا للتدريس
ابن زريق	٢٠ دينارا للتدريس
ابن دقيق العبد	١٠ دنانير للتدريس
السنجاري	٤٠ دينارا للتدريس

وكان المدرس الذي يقوم بمناصب أخرى كالقضاء ينال مرتباتها جميعها أو يقتصر على بعضها(٣٩)، وكان اذا مات الفقيه أو المعيد أو المدرس، وله زوجة وأولاد، يعطون من معلوم تلك الوظيفة التي كانت له ما تقوم به كفايتهم.

وكان هناك مدرسون يعلمون الدراسات العالية، ويتقاضون أجورهم من الطلاب، فكانت مؤسساتهم بمثابة مدارس خاصة أنشأها المعلمون، وقد نعموا بمستوى مالي لائق.

تأثرت مرتبات المدرسين في أواخر العهد الأيوبي تأثرا واضحا بمقدار الوقف على المدرسة، وبمكانة المدرس وسمعته، وبأخلاق الواقف والناظر، فاذا تولى أمر المدرسة رجل عفيف كريم أغدق على المدرسين،واذا كان شحيحا قل الراتب الذي يمنح للمدرس مهما كان ريع الوقف أو شرط الوقف، حتى أن أباشامة ترك التدريس وعمل في الزراعة، لأنه لم يتناول راتبه لسوء سلوك الناظر وتلاعبه بأموال الوقف.

٤ – **مدرسون دون أجر :**

كان هناك بعض المدرسين الذين أحبوا العلم للعلم، وكانوا يلقون دروسهم دون أن يأخذوا أجرا على ذلك، احتسابا لوجه الله تعالى، اذ كانوا أغنياء، يبيعون وينفقون على أنفسهم(٤٠).

٥ – **المعلمات :**

كانت أعداد المعلمات قليلة وكان هناك معلمات فاضلات من النساء يهذبن الجواري والبنات في المنازل، وكان يفضل أن يقوم بتعليم البنات نساء يقرأن القرآن ويروين الحديث.

• **مهام المدرسين وطرق تأديتها :**

كانت مسؤولية المعلمين في العهد الأيوبي كبيرة، فكان عليهم تربية الناشئة من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية والروحية، وقد اتخذوا الرسول صلى الله عليه وسلم مثلهم عندما قال (انما بعثت معلما) وانما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق(٤١)، فكانت مهمة المعلم تعليم الصبيان وتقويم سلوكهم، وتعويدهم الاعتماد على النفس، بالاضافة الى خدمة المجتمع، وحث الناس على الجهاد، والافتاء بين الناس، ولكن مهمتهم الأساسية كانت التربية والتعليم.

كان على المدرس أن يحسن القاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، وكان يعتمد على استخدام قدرة الطالب العقلية، فان كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم مالا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون الى أن ينتهي الى درجة التحقيق(٤٢)، وقد اتبع المدرسون بعض القواعد العامة التي يعمل بها المعلمون، منها مثلا :

– ملاطفة الطلاب والحنو عليهم وكأنهم أولاده(٤٣).
– تشويق الطلاب للدرس ، وعدم اطالة الدرس حتى لا يمل الطالب.
– عدم تقصير الدرس حتى لا يفقد ترابطه.
– عدم تجاوز صوت المعلم مجلسه.
– حرص المعلم أن لا يدرس وقت جوع الطالب أو عطشه.
– اعتمد المعلم طريقة التكرار لتحفيظ الطلاب.

- كان المعلم يعمل بعلمه، ولا يكذب قوله عمله.
- كان المعلم لا يستخدم أحد الصبيان في حوائجه، كنقل الزبالة وحمل الحجارة، ولا يرسله الى داره وهي خالية(٤٤).

لقد شجع المعلمون الطلاب حفظ الدرس بعد فهمه، وذلك للأسباب التالية:
- قلة الكتب وصعوبة استنساخ المؤلفات الكبيرة التي تحتاج الى الورق الطويل.
- علو طبقة الحفاظ السامية في المجتمع، وكان الحافظ يعتبر أسمى درجات المشتغل باللغة، كما اعتبر حفظ القرآن شرطا لاستكمال التعلم.
- كانت بعض العلوم كاللغة والأدب تتطلب الحفظ للاستشهاد بما يحفظ من شعر أو قرآن.

وهكذا اعتمد الطلاب في دراستهم على حفظ الدروس لصعوبة حصول كل طالب على الكتاب المقرر، ولعدم معرفة الطباعة في تلك الفترة، ولاستغراق نسخ الكتاب فترة طويلة اذا كان حجمه كبيرا. لقد أوصى عبداللطيف البغدادي الطلاب ألا يأخذ العلم من الكتب بل عليهم بالأستاذ في كل علم يطلبون اكتسابه، واذا كان الأستاذ ناقصا، فليأخذون عنه ما عنده، ويوصي الطالب باستظهار الكتب استظهارا يستغني به عن الكتاب، وعليه أن لا يشغل نفسه الا بكتاب واحد حتى يتقنه، وعليه أن يواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله، الى أن ينتقل الى علم آخر، وعليه مباحثة الأقران، والاشتغال بالتعليم والتصنيف، وأكد علي بن خليفة بن يونس على ضرورة الابتداء بالسهل ثم التدرج في العلم، وعدم التعصب لكل انسان قبل اختباره ووزنه(٤٥).

* **أساليب التدريس :**

استخدم المعلمون في تدريسهم عدة طرق، كما كانوا يعلمون الطلاب كتابة البحوث(٤٦) ولكن الطرق الشائعة في التدريس كانت:

أ - التلقين :

كان المدرس يلقي درسه على الطلاب، فكان هو يتحدث والطلاب يصغون لما يقول، ويحفظون ما يسمعون بالتكرار أحيانا، وكثيرا ما كان المعلم يملي على طلابه،

وكان الطلاب يجلسون في حلقات كثيرة، قال ابن جبير خلال زيارته الجامع الأموي(٤٧) (وفيه حلقات لتدريس الطلبة، وعند الفراغ من قراءة القرآن صباحا يستند كل انسان الى سارية، ويجلس أمامه صبي يلقنه القرآن، وللصبيان على قراءتهم جراية معلومة،.. وتعليم الصبيان بهذه البلاد انما هو تلقين).

ب - المحاضرة :

كان المدرس في المراحل المتقدمة يحاضر في الطلاب، ويترك للمعيد توضيح ما لم يتضح، وكان يتم ذلك في المدارس الكبيرة، كالمدرسة الصلاحية بالقدس، والكاملية والصالحية في القاهرة، والنورية في دمشق وغيرها.

حـ - الاملاء :

كان المدرس يفتتح مجلسه بالتسمية، ثم يبدأ املاءه، مراعيا مستوى السامعين، وكلما أملى شيئا علق عليه، وأبرز قيمته، وبين ما فيه من المعاني الدقيقة التي يصعب فهمها على غير العلماء، فاذا ختم مجلسه، استغفر الله.

د - المناظرة :

كانت أداة تعليم يمارسها كبار العلماء، لذلك كان على المدرس أن يدرب الطلاب على المناظرة والمناقشة، وكانت تتم بين الطلاب أنفسهم، أو بين المدرس والطالب، وكان الطالب يخالف أستاذه في الرأي أحيانا بطريقة ملؤها الأدب والاحترام، ويشترط للمناظر أن يتحلى بدقة الحس وقوة الملاحظة، واجادة اللغة والاستنتاج، وكان المعلم يزجر الطالب لسوء خلقه بطريق التقريض ما أمكن، ولا يصرح بالزجر الا عند الضرورة. وكان بعض المعلمين يقوم بقراءة الدرس على مسمع من الطلاب والتسميع لهم بعد ذلك.

* الاجازات الدراسية

اعتاد طلاب العلم أن يتنقلوا من مكان الى آخر طلبا للعلم، فكانوا يرتادون مراكز العلم المختلفة في مصر والشام وبغداد ومكة وبلاد فارس، فاذا شعر الطالب أنه أصبح ذا كفاءة تؤهله لأن يجلس مجلس الشيوخ، جلس للتعليم، وكان مجلس التعليم مرهبا بسبب الأسئلة التي يمطرها الطلاب على المدرسين الجدد، فاذا وفق في

الاجابة، وأقنع الطلاب استمر مدرسا، والا عاد يتلقى العلم في مجالس الشيوخ(٤٨).

شاع الحصول على الاجازات من المدرسين في العلوم المختلفة، كالقراءات، والحديث والفقه، وعلوم اللغة العربية وغيرها في القرن الرابع الهجري، وكان ان صدرت أول اجازة عام ٣٠٤ / ٩١٦ ، وقد منحها الشيخ محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري الى أبي عمر سعيد بن عمر.

وهكذا أصبح منح الاجازات شائعا، فاذا وصل الطالب الى مرحلة يقتنع عندها مدرسه أنه أصبح أهلا أن يجلس مجلس المدرس منحه اجازة، أي يعطيه الأذن لفظا أو كتابة، وكان الطالب لا يصل الى مرتبة الفقيه، الا اذا أمكنه الاعتراض على أستاذه، وتمكن أن يقول له (لم؟)، ويحسن الاعتراض عليه(٤٩)، ولا ينال الاجازة بالتدريس والخطابة الا من ثبت لمشايخه كفايته، وكان قادرا على استعداد لأن يزداد علما وبحثا.

كانت الاجازة تشمل اسم المدرس المجيز، واسم الطالب المجاز له، ولفظ الاجازة والكتاب أو الموضوع المجاز به، كأن يقول الشيخ، أجزت لفلان أن يروي عن كتاب كذا.

* **أنواع الاجازات :**

تنوعت الاجازات التي كانت تمنح للطلاب، ومنها :

١ - الاجازة بكتاب :

يمكن للطالب أن يحصل على الاجازة بكتاب واحد معين، فيحفظ الطالب كتابا في الفقه أو الحديث أو الأدب أو النحو، ثم يعرضه على المدرس، فيختبره في عدة أماكن من الكتاب، فاذا أحسن الاجابة، كتب له الاجازة في ذلك(٥٠)، وتتوقف قيمة الاجازة على شهرة المجيز، وقد أجاز الشيخ كريم الدين عبدالحكيم القرماني الرومي الى سعد الدين الديري برواية كتاب الهداية، كما يمكن للطالب أن يحصل على اجازة بكتاب واحد من عدد من المدرسين أو أقطار مختلفة، وقد يجاز الفرد بعدد من الكتب.

٢ – الاجازة في موضوع :

شاع حصول الطالب على اجازة في موضوع، بغض النظر عن الكتب التي تعالج هذا الموضوع، فقد كثرت اجازات الطلاب في الحديث، اذ حصل الشيخ عبدالمنعم بن يحيى بن ابراهيم توفي سنة ٦٨٧ / ١٢٨٩ خطيب المسجد الأقصى على الاجازات في مصر والشام بعلم الحديث، ثم حدث ومنح الاجازات(٥١)، كما أجاز الشيخ زين الدين تلميذه مجير الدين الحنبلي في الحديث. وتعددت الاجازات في موضوع، فشملت الاجازة في الحديث أو القراءات السبع، أو الاجازة في التفسير.

٣ – الاجازة بعدد من المواد :

يحصل الطالب على اجازة بتدريس المواد المتعددة التي أجاد دراستها، وتنص الاجازة على هذه المواضيع، وقد اعتاد المدرس أن يثني على تلميذه في الاجازة، فهذا مجد الدين علي القشيري يجيز محمد بن علي القوصي بالتدريس، ويكتب في اجازته(٥٢)، " الفقيه العالم عماد الدين محمد، بدأ بدراسة القرآن الكريم فأحكم القراءات السبع، ثم ثنى بالاشتغال بمذهب الامام الشافعي درسا وتكرارا، فختم على المهذب أو أكثره، ثم اشتغل بعلم التفسير، تفسير القرآن العظيم، واحتوى منه على حظ جسيم شج، وقلب صادق في مسجد الجامع، ومساجد الجوامع، وصحبني مدة طويلة، سنين عديدة، تزيد على العشرة.. " ثم كتب اذنه له بالتدريس، وختمه بخطه، وفيها شهادة الشيخين الفقيهين العالمين، بهاء الدين هبة الله القفطي، وجلال الدين أحمد الأشناوي، شهدا على شيخهما، وأثنى كل منهما على المجاز، وأرخ الشيخ بهاء الدين في رسم شهادته بالنصف من شعبان ٦٥٠ / ١٢٥٢ .

٤ – اجازة بالتدريس والفتوى :

جرت العادة أنه اذا تأهل بعض العلماء للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه أن يفتي ويدرس، ويكتب له اجازة بذلك، وهي تحتاج الى جهد علمي كبير، وقد أجاز ابن دقيق العبد تلميذه عمر بن الفضل، قال (أستخير الله تعالى في الايراد والاصدار، واعتصم به من آفتي التقصير والاكثار، واستغفر الله فيما فرط في الجهر

والأسرار، وأقول أني ذاكرت فلانا زينه الله بالتقوى، وحرسه في السرى والنجوى، في فنون من العلوم الشرعية العقلية والنقلية، فألفيته يرجع الى معقول صحيح، ومنقول صريح واطلاع على المشكلات، واضطلاع بحل المشكلات لا سيا في فقه المذهب، فانه أصبح فيه كالعلم المذهب، وقام بعلم العربية والتفسير، فصار فيها الفاضل وقد أجبته الى ما التمس وان كان غنيا بها حصل واقتبس، فليدرس الشافعي لطالبيه، وليجب المستفتي بقلمه وفيه، ثقة بفضله الباهر، والله تعالى ينفعنا واياه بما علمناه، ويرفعنا بذلك لديه، فما القصد سواه)(٥٣).

هذا وقد تكون الاجازة بالفتوى فحسب، كما أجيز بها محمد بن صادق الأرمنتي، وقد تكون برواية الحديث، فقد أذن السلفي لعلي بن يوسف القفطي الوزير أن يروي عنه، وقد يجيز الأستاذ لطالبه أن يروي مصنفاته، أو يروي مسموعاته، أو أن يدرس كتابا بعينه درسه عليه. كانت الاجازات تشمل على عبارات الثناء، وتنتهي برسم المجيز، وقد تكون قصيرة كما ورد، وقد تطول حتى تصبح قريبة من كراستين، كالتي منحت لابن شداد، وفيها يذكر كل شيء بالتفصيل، وكانت الاجازة تكتب بقلم الرقاع أسطرا متوالية بين كل سطرين نحو اصبع عريض. كانت الاجازة تنتهي بتعيين المجاز معيدا في كثير من الأحيان، وهذا يدل على المستوى العلمي الذي وصل اليه الدارس(٥٤).

أما في الطب فكان الطالب يدرس نظريا وعمليا علم الطب في المستشفيات، وكان على الطبيب أن يجتاز امتحانا في الناحية النظرية والعملية، فاذا اجتاز الامتحان نال اجازة تحدد له الأمراض التي يمكن أن يعالجها.

٢ – الطلاب

لقي طلاب العلم الرعاية في عهد الأيوبيين، لذلك شجع ابن جبير اهل المغرب التوجه الى المشرق في طلب العلم، حيث يجد الأمور المعينات الكثيرة، وأولها فراغ المنال من أمر المعيشة، فكان التلميذ بمصر وسوريا يلقى مسكنا يأوي اليه، ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، واجراء يقوم به في جميع أحواله(٥٥).

وفد الطلاب على مدن مصر وسوريا لتلقي العلوم، كما وفد طلاب الأندلس طلبا للعلم، وقد ذكر ابن جبير أن صلاح الدين خصص لكل طالب غريب مسكنا يأوي اليه، ومدرسا يعلمه وراتبا شهريا يسد به جميع حاجاته، كما أنشأ حمامات ليستحم بها الطلبة، ونصب لهم مستشفى قريبا للمعالجة لمن مرض منهم. أوقف منشئو المعاهد أوقافا على تلك المعاهد، فمثلا وقف صلاح الدين على المدرسة الصلاحية الأوقاف جزءا منها للمتفقهة وللطلبة المتعطفة(٥٦)، ونهج الملك الأفضل نهج والده، فوقف حارة المغاربة على طائفة أهل المغرب، فقهائهم وطلابهم الذين أخذوا يتوافدون على القدس من مختلف أقطار شمال افريقيا عام ٥٨٩ / ١١٩٢ ، ووقف الملك المعظم عيسى جهات كثيرة من القرى على المدرسة المعظمية والفقهاء والطلاب، ولا سيما المتفقهة من أصحاب المذهب الحنفي، ووقف الكامل على المدرسة الكاملية، وأوقف الملك الصالح أوقافا عديدة على المدرسة الصالحية، كما أوقف القادة والناس الموسرون على الطلبة، وهكذا تبدو العناية جليلة بالطلبة ومخصصاتهم مما مكنهم من التفرغ للدراسة والبحث.

لقد توفرت الفرص أمام الجميع للالتحاق بالمدارس، فاستطاع الفقراء نتيجة عناية المجتمع الأيوبي بالتعليم أن يشقوا طريقهم الى المجد العلمي، وأن يتزودوا بالمعرفة في مختلف الفنون دون مشقة، فنشأ في مصر والشام عشرات من العلماء ذوي الشهرة العالية والصيت الذائع، ومن هؤلاء الفقيه المشهور نجم الدين الخبوشاني المتوفي سنة ٥٨٧ / ١١٩٠ ، وقد كان في عهد صلاح الدين وقف كبير في دمشق للأيتام من الصبيان، يأخذ منه المعلم ما يقوم به، وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم ويكسوتهم(٥٧).

• **سن التعليم :**

لم تكن هناك سن محددة لطلب العلم، اذ كان من واجب كل مسلم أن يطلب العلم في أي فترة من فترات عمره، حتى ولو كان شيخا تقدمت به السن، وفقا لقوله صلى الله عليه وسلم (اطلب العلم من المهد الى اللحد)، وكان على كل فرد أن يقرأ لأداء الشعائر الدينية، بالاضافة الى ضرورة، وسماع الحديث وفهمه.

كان الآباء يعلمون الأطفال قبل تراكم الأشغال، فاستجاب الناس لذلك، وألحقوا أبناءهم في المدارس والكتاتيب في سن مبكرة، بل كانوا يتنافسون في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع، وذكر النعيمي(٥٨) ان تاج الدين الكندي (توفي سنة ٦١٣ / ١٢١٧)، أكمل القراءات العشر وله عشر أعوام، وقال ابن خلكان(٥٩)، ان الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع، وأفتى وهو ابن ١٥ سنة، حتى أن مدرسه كان يقول (سلوا هذا الغلام).

أشار حاجي خليفة(٦٠) أن من شرائط تحصيل العلم أن يكون الطالب شابا فارغ القلب وغير ملتفت الى الدنيا، قليل العوائق حتى من الأهل والأولاد والوطن.

لم تكن هناك سن ثابتة لارسال الأطفال الى الكتاب، ولم تفرض الدولة تعليم الأبناء، بل اعتبر التعليم فرضا من الفروض الدينية، ففتحت المدارس وتوفرت الفرص الكافية لمعظم الأولاد للتعلم، فأقبل الصبيان على الدراسة، في السن التي يحددها الشرع لتعليم الطفل الصلاة والفضائل الخلقية.

وكان الطلاب يلتحقون بالمدارس بعد انهاء دراستهم في الكتاب، أي أن معظم الطلاب كانوا يدخلون المدارس في سن الحادية عشرة، ويستمرون في دراستهم لعشر سنوات.

• **عدد الطلاب :**

تباين عدد الطلاب في المعاهد التعليمية أيام الأيوبيين من معهد الى آخر، فكان يختلف عددهم في حلقة المسجد عنه في المدرسة تبعا لشهرة الشيخ وتفقهه بالمادة الدراسية، ففي المسجد لم يكن العدد محددا.

أما في المدرسة فقد جرت العادة أن يعين مؤسس المدرسة عدد المدرسين، ويحدد عدد الطلاب الذين يسمح لهم الالتحاق بها، ففي المدرسة المعظمية بالقدس، مثلا رتب المعظم عيسى ٢٥ طالبا من طلبة النحو، وشيخا لهم، وشرط أن يكونوا حنفية(٦١). وحددت واقفة المدرسة الشامية الجوانية ست الشام عدد الطلاب بعشرين طالبا بما فيهم المعيد، واشترطت ازدياد عدد الطلبة اذا نما الوقف وزاد، ويحدد ذلك ناظر المدرسة. وفي المدرسة المجدية بمصر قرر الواقف مدرسا شافعيا

ومعيدين وعشرين طالبا. وكان في المدرسة الداودارية ٣٠ من المتصوفة وعشرة من الطلاب يسمعون الحديث وعشرة يقرأون القرآن، وكان فيها سميع يسمع الحديث النبوي، وقارىء يقرأ القرآن، كما كان فيها مادح ينشد المديح(٦٢)، وشرطت زهرة خاتون بنت الملك العادل للعادلية الصغرى بدمشق عشرين طالبا(٥)، وفي المدرسة القمحية، كان عدد الطلاب ثمانين طالبا، وأربعة مدرسين، وجعل كل منهم يقوم بتدريس عشرين طالبا(٦٣).

ويبدو أنه في بعض الأحيان أمام الرغبة الجامحة التي أبداها الطلاب للاستماع الى مدرس ما يزداد عدد الطلاب، أما في الكتاب فكان المعلم يحدد طلاب كتابه.

* **الثواب والعقاب** :

قل أن تجد مبدأ من المبادىء في التربية أجمع الناس عليه في العالم، وفي كل عصر من عصوره على ضرورته كاجماعهم على الثواب والعقاب وأثرهما في تربية الأولاد، فقد قال سليمان الحكيم(٦٤)، (من يمنع عصاه يمقت ابنه، ومن أحبه يطلب له التأديب)، وكان هذا الاعتقاد سائدا الى أن درس العلماء حياة الطفل ونموه، وصار الناس أميل الى اللطف والانسانية.

انتشرت العقوبات البدنية في الكتاب عند الأيوبيين، وأصبحت عصا المعلم شيئا لا يخلو منه أي كتاب قط، وشاعت جملة عصا المعلم من الجنة.(٢) حتى أن الأم كانت تقبل أن يضرب المعلم ابنها لأن عصاه من الجنة، على أن لا يكون العقاب قاسيا.

لقد حدد القابسي العقوبات، فقال انها تبدأ بالعبوس في الوقت المناسب لتقع من الطالب موقع الأدب، ويرى أن العقوبة يجب أن تتم مباشرة بعد الخطأ، وأشار الى أن العقاب يستخدم اذا تباطأ الطالب في الاقبال على العلم والحفظ، واذا أخطأ كثيرا، تلك هي الحالات التي يجيز فيها القابسي عقوبة الضرب، وشريطة أن لا تزيد عن ثلاث(٦٥)، وأن لا يكون المعلم عند استخدامه الضرب منفعلا، وقد أكد ذلك ابن خلدون فيما بعد، فقال: "لا ينبغي لمعلم الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا دعت الحاجة اليه على ثلاثة أسواط شيئا(٦٦)".

أشار الغزالي الى أن المعلم يستطيع أن يلجأ الى العقوبة البدنية عند الضرورة القصوى، على أن لا يكثر من استعمالها، واذا استخدمها فيجب أن لا يكون متشفيا قاسيا، بل مؤدبا رحيما(٦٧)، وقد أبيحت العقوبة البدنية للصبيان الذين تجاوزوا العاشرة من أعمارهم ولم يبلغوا مبلغ الشباب، ولا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة، ولا ضرب الطلاب الذين تقدمت أعمارهم(٧٨)، ولا الضرب على الرأس ولا على الوجه، بل يضرب على الأفخاذ وأسافل الرجل لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة، ولا يضرب الصبي بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم الجسم، بل تكون وسطا، ويتخذ جلدا عريض السير.

وقد وضع ابن مسكويه نظاما لتأديب الأطفال يقول فيه(٧٩) الذنب الأول الذي يرتكبه الصبي يعفى منه، والثاني يعاقب عليه عقابا مباشرا، فان عاد الى ذلك ضرب ضربا خفيفا، فاذا استعمل المعلم هذه الطرق ولم ينته الصبي، فعليه أن يتركه مدة ثم يعود اليه بنفس الطريق. وانتشر الثواب في المدارس، وكذلك المكافآت والجوائز المالية، قال الغزالي(٨٠)، يمدح الصبي المتأدب، فاذا ظهر منه خلق جميل، وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه، ويمدح بين أظهر الناس.

شجع الملك الأشرف موسى الطلاب، فقد جعل لكل من المشتغلين في مدرسته ثمانية دراهم، ومن زاد اشتغاله زاده، ومن نقص نقصه، وجعل لكل من السامعين أربعة أو ثلاثة دراهم، ومن ترجح منهم زاده، ومن كان فيه نباهة جاز الحاقه بالثمانية، ومن حفظ منهم كتابا من كتب الحديث فللشيخ أن يخصه بجائزة.

ويذكر المقريزي في الخطط(٨٢)، أن الظاهر أمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير، وجعل لمن حفظ ذلك مالا، وكان الملك المعظم يحفظ المفصل للزمخشري، وجعل لمن يحفظ الجامع الكبير مائتي دينار، ولمن يحفظ المفصل للزمخشري ثلاثين دينارا سوى الخلع، وهكذا كان المعلم يكافىء من يستحق بمدحه أو يكافئه، قال ابن مسكوية (يمدح الصبي بكل ما يظهر من خلق جميل وفعل حسن).

٣ – المناهج التعليمية

كانت المناهج تختلف باختلاف المعاهد التعليمية، فما كان يعلم في الكتاب غير ما كان يعلم في المسجد أو المدرسة، وما يعطى في المنزل يغاير ما يدرس في الربط والخوانق، الا أن تعليمات محتسب الدولة الأيوبية أوجدت تنظيما معينا للمنهاج، يبدأ بتعليم الحروف، وضبطها، وشكلها، ثم تعلم سور القرآن الكريم القصار، ثم دراسة عقائد السنة الشريفة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من الرسائل والأشعار، ولقد منعت هذه التعليمات حفظ أشعار الشيعة، وتعليم الخط للبنات، لأن المرأة التي تتعلم الخط مثل حية تسقى سما، وكان المنهاج بناءاً متكاملاً (٨٣) تتكامل فيه العلوم الدينية والدنيوية، أي أن يتزود المتعلم بثقافة عامة تمده بتكامل معرفي، لأن العلوم مرتبطة ببعضها البعض، ثم يتبحر في علم معين، وكانت المناهج تقسم الى قسمين:

أ – العلوم الاجبارية :

كان القرآن الكريم هو أول العلوم التي ينبغي أن يدرسها المتعلمون، لأن القرآن كلام الله، وقد حث الله العباد على تلاوته بقوله (**ان الذين يتلون الكتاب، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور...**). لقد فرض الفقهاء تعليم القرآن، لأنه مرجع المسلمين في معرفة العبادات والمعاملات، (اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة لئلا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق اليه التبديل ولا التحريف)(٨٤)، وتعليمه أيضا فرض، وهو من أفضل القرب، وفي الصحيح (خيركم من تعلم القران وعلمه).

وتستلزم المعرفة الصحيحة للقرآن العلم بالنحو لاعراب الكلمات إعرابا صحيحا، والعلم باللغة العربية لفهم معاني القرآن، والتعلم بالهجاء، والخط لكتابته والنطق به صحيحا، والاجادة في الخط والحذق في رسم الحروف طبقا لقوانين، وأشكال متعارفة يؤدي الى ضبط القراءة والبعد عن التحريف(٨٥).

وهكذا نص المنهج الاجباري على تعليم القرآن والصلاة والدعاء والكتابة

والنحو وبعض العربية، وكلها ترمي الى غاية واحدة هي معرفة الدين والعبادات مما هو مفروض على المسلمين، وبالتالي بناء الشخصية المسلمة فكرا وممارسة.

ب - المنهج الاختياري :

وكان يشمل الحساب والشعر والتاريخ وجميع النحو والعربية، وهو يختلف عن المنهج الاجباري في تركيزه على الصفة الدينية.

وتتوقف أهمية العلوم على الغرض المنشود، والمطالب الاجتماعية، ونوع الاعداد المطلوب، فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما لا يستغني عنه، ولكنه يفيد زيادة وقوة في القدر المحتاج اليه، فدراسة عمق المنهج مسألة اعتبارية، فمثلا دراسة التاريخ يقصد بها أن تكون محركا لهمم الأطفال نحو أعمال البطولة، وباعثا على أفعال الخير، والقدوة الحسنة، وقصص القرآن ترمي الى غاية دينية وخلقية.

وهناك فئة كانوا يتعمقون في دراستهم ويستقصون غوامض العلوم وأسرارها، بعد أن تكون لديهم خلفية عن المعارف الأساسية التي تساعد على فهم هذه الغوامض والأسرار، وفيما يلي فكرة عن :

١ - مناهج التعليم في الكتاب.

٢ - مناهج التعليم في الثقافة العامة والتخصص.

١ - مناهج التعليم في الكتاب :

كان أول ما ينبغي أن يتعلم الصبي السور القصار من القرآن، بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويدرجه المعلم حتى يألفها طبعه، ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة، ثم أصول الحساب وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها(٨٦).

وكان يشمل التدريس الخط وقصص الأنبياء، ولا سيما السيرة النبوية، وذكر ابن جبير(٨٧)، "أن الصبيان كانوا يتعلمون الخط في الأشعار تنزيها لكتاب الله عز وجل من ابتذال الصبيان له بالاثبات والمحو". وكان المعلم يأمر الصبيان بتجويد الخط على المثال، وتكليفهم عرض ما أملاه عليهم حفظا غائبا.

وينبغي للمعلم أن يمنع الصبيان من حفظ شيء من شعر أبي عبدالله الحسين ابن أحمد بن محمد بن الحجاج المتوفى سنة ٣٩١ / ١٠٠٠ أحد كبار الشيعة الذي اشتهر شعره بالخلاعة والمجون(٨٧)، كما ينبغي أن لا ينظر الصبيان في ديوان صريع الدلا لأنه لا خير فيه، والدلا هو أبوالحسن علي بن عبدالواحد الفقيه البغدادي المعروف بصريع الدلا قتيل الغواني، وله قصيدة في المجون. كما لا يجوز للمعلم أن يتكلم مع الصبيان في العقائد(٨٨).

٢ - مناهج الثقافة العامة والتخصص :

بعد أن يتم الصبي دراسته في الكتاب، يتابع دراسته في المدرسة، فيدرس المواد التي درسها في الكتاب، ولكن الاختلاف في كمية المادة التي يتعلمها، وفي مستواها، فيتزود الطالب بثقافة واسعة في علوم القرآن والشعر والأدب والتاريخ والحساب والفلك وغيرها من المواضيع. وهناك فئة من الطلاب كانت لا تكتفي بما تحصل عليه من الثقافة السائدة، بل استهواها موضوع ما، فاتجهت الى دراسته، تتعمق به وتتخصص على أيدي مدرسين متخصصين في النحو، أو الطب، أو علم القراءات، أو الحديث، وقد لاحظنا أن هناك بعض الدور التي خصصت لتدريس الحديث أو لتعليم القرآن، أو الطب ....الخ. وفيما يلي فكرة عن أبرز العلوم التي كانت تدرس آنذاك.

١ - العلوم الدينية (٨٩) :

أ - علوم القرآن
ب - علوم الحديث
جـ - علم الفقه
د - علم الكلام

أ - علوم القرآن :

حث الفقهاء على تعلم القرآن، ومعرفة القراءة الصحيحة واللفظ السليم له، وفهم الآيات والسور، وركز المدرسون في تدريسهم على: علم قراءة القرآن.

نزل القرآن بلسان عربي مبين، بلغة قريش، وكانت القبائل تختلف في لفظ

بعض الكلمات أو طريقة لفظ التلاوة، فظهر علم قراءة القرآن لمعالجة ذلك، وهو علم يبحث فيه صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجود الاختلافات المتواترة، وله استمداد من العلوم العربية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواتر، وفائدته صون كلام الله تعالى عن التغيير والتحريف(٩٠).

كان هذا العلم يدرس في جميع المعاهد التعليمية أيام الأيوبيين، وقد تعددت الكتب التي كانت محور التدريس، والتي منح بها الاجازات العلمية. كان المدرسون يعلمون الطلاب من خلال ما جمعه الامام أبوبكر أحمد بن مجاهد توفي سنة ٢٠١ / ٨٢٥ للقراءات السبع لمشهوري أئمة الشام والحرمين والعراق، وهذه القراءات :

- قراءة ابن كثير ت ١٢٠ / ٧٣٧ ، وهو من أهل مكة.
- قراءة نافع ت ١٦٩ / ٧٨٥ وهو من أهل المدينة.
- قراءة ابن عامر ت ١١٨ / ٧٣٦ وهو من أهل دمشق.
- قراءة ابن عمرو ت ١٥٤ / ٧٧٢ وهو من أهل البصرة.
- قراءة عاصم ت ١٢٧ / ٧٤٤ وهو من أهل الكوفة.
- قراءة حمزة ت ١٥٧ / ٧٧٥ وهو من أهل الكوفة.
- قراءة الكسائي ت ١٨٩ / ٨٠٤ وهو من أهل الكوفة.

كما كان يدرس كتاب في القراءات السبع للحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي ت ٣٧٨ / ٩٨٩ ، وكتاب التيسير في القراءات السبع للامام أبي عمر عثمان بن سعيد الداني(٩١) المتوفى سنة ٤٤٤ / ١٠٥٣ وكتاب ارشاد المبتدىء وتذكرة المنتهى في القراءات العشر للشيخ عز الدين محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي (٩٢)، وكتاب الكنز في القراءات العشر للامام نجم الدين عبدالله بن الواحد الواسطي ت ٥٢١ / ١١٢٧ .

ومن أهم الكتب التي ركزوا عليها في القراءات الشاطبية للشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي المتوفي ٥٨٧ / ١١٩٠ والمسماة (حرز الأماني ووجه التهاني) والمشهورة بالشاطبية، وهي منظومة تقع في ألف ومائة وثلاثة وسبعين بيتا(٩٣)، وقد ذكر ابن خلكان، (أبدع الشاطبي كل الابداع، وهي عمدة قراءة هذا الزمان في

نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات الا ويقدم على حفظها، ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة، وارشادات لطيفة، وما أظنه سبق الى أسلوبها).

وكان المدرسون يحاولون تيسير حفظ القراءات، وتسهيل الكتب السابقة فيشرحونها، أو يعيدون تنظيمها، وذلك لغاية تعليمية، فقد صدر كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر لأبي الكرم الشهرزوري المتوفى ٥٥٠ / ١١٥٥ لهذه الغاية.

وقد اشتهر عدد من المدرسين في تدريس القراءات منهم تاج الدين أبوالفتح عثمان بن عيسى منصور ت ٥٩٩ / ١٢٠٢ ، وكان مدرسا للقراءات في جامع الفسطاط. وكان أبواليمن الكندي زيد بن الحسن ت ٦١٣ / ١٢١٦ يقرأ القراءات وهو ابن عشر، وظل يقرئها ٨٣ سنة، ومن تلاميذه علم الدين السخاوي ت ٦٤٣هـ وظل يقرىء الناس أكثر من أربعين سنة.

التفسيـــر

ركز العلماء على تدريس عدد من كتب التفسير منها كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) للامام أبي القاسم جادالله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨ / ١١٤٣ ، وكتاب (معالم التنزيل في التفسير) للامام ابي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥٣٩ / ١١٤١ ، وكتاب (مفاتيح الغيب) المعروف بالتفسير الكبير للامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت ٦٠٦ / ١٢٠٩ .

نشطت حركة تدريس التفسير، فكانت مادة أساسية في معظم المدارس، وتنوعت كتب التفسير من موجزة كتفسير العز بن عبدالسلام ت ٦٦٠ / ١٢٦٢(٩٤) وبين مطولة تبليغ مجلداتها حوالي ثلاثين جزءا مثل تفسير ابن الجوزي البالغ ٢٩ جزءا،ولم يقف التدريس عند تفسير القرآن مجتمعا، بل اكتفى أحيانا بتفسير بعض الأجزاء، ودراسة الناسخ والمنسوخ، أو تفسير بعض السور مثل تفسير سورة الاخلاص لعبداللطيف البغدادي المتوفى ٦٢٩ / ١٢٣١، وكان التفسير يدرس في معظم المدارس الأيوبية، وكان يونس بدران الجمال المصري ت ٦٢٣ / ١٢٢٦ مدرسا للتفسير في المدرسة العادلية بدمشق أيام الملك المعظم(٩٥)، كما كان عز الدين عبدالسلام يدرس التفسير في مدارس دمشق ومصر، ودرس علي بن ابراهيم

الغزنوي ت ٥٨٢ / ١١٨٦ في حلب التفسير، وألف (تفسير التفسير).

ب – علم الحديث

كان مدرسو الحديث أيام الدولة الأيوبية يعتمدون في تدريسهم على أمهات كتب الحديث ولا سيا :

* الموطأ للأمام مالك ت ١٧٩ / ٧٩٥ .
* المسند للأمام ابن حنبل ت ٢٤١ / ٨٦٨ .
* الجامع الصحيح للأمام البخاري ت ٢٥٦ / ٨٧٣ .
* الجامع الصحيح لمسلم ت ٢٦١ / ٨٧٨ .
* سنن أبي داود ت ٢٧٥ / ٨٩٢ .
* الجامع الصحيح للترمذي ت ٢٧٩ / ٨٩٦ .

كان المدرسون يقرأون هذه الكتب ويحفظها المحدثون، ويدور حولها المؤلفون. وقد درس صلاح الدين كتاب الموطأ على أبي الطاهر الزهري بن عوف(٩٦) ت ٥٨١ / ١١٨٥ .

واهتم العلماء بشرح الكتب السابقة أو اختصارها، أو اعرابها أو معرفة ما اتفق فيه مؤلفوها(٤))، والاشتغال بالحديث رواية ودراية، من حيث السند والاسناد، اتصالا وانقطاعا، كما اهتم الأيوبيون بفتح دور متخصصة لتدريس الحديث، مثل دار الحديث الكاملية بالقاهرة، ودار الحديث الأشرفية بدمشق. وقد درس عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ت ٦٥٦ / ١٢٥٩ الحديث في الكاملية(٩٧).

واشتهر بعض المدرسين بتدريس الحديث، منهم أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ت ٥٧٦ / ١١٨٠ ، وقد أخذ عنه صلاح الدين وأولاده وهو بالاسكندرية، والمحدث ابن دحية الذي أقام بالقاهرة أيام الكامل، وتولى تدريس الحديث بالكاملية، وتوفي سنة ٦٣٤ / ١٢٣٧ .

واشتهر عبدالغني بن عبدالرحمن المقدسي الذي ألف كتاب في عيون الأحاديث الصحاح في ثمانية وأربعين جزءا، ونهاية المواد في كلام خير العباد، في ٢٠٠ جزءا(٩٨)، كما اشتهر تاج الدين الكندي ت ٦١٣ / ١٢١٦ واتصل بالأمير

عزالدين فرخشاه ابن شاهنشاه أيوب. وكان تقي الدين بن الصلاح مدرس الحديث بدار الحديث الأشرفية، وصنف كتبا في علوم الحديث، كما اشتهر الشمس علي بن الشبي المتوفى سنة ٦٥٧ / ١٢٥٩ بتدريس الحديث.

عني المشتغلون بالحديث بوضع (الأربعينات) في الحديث، يختص كل أربعين حديثا في موضوع، كالجهاد، أو التوحيد، أو الدعوة الى التحلي بالخلق القويم.

ومن كتب الأربعينات التي شاع الاهتمام بها، وحفظها ودراستها، كتاب الأربعين للامام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، وذكر النووي أن العلماء جمعوا الأربعين في موضوعات مختلفة، وأضاف أنه رأى أن يجمع أربعين حديثا، أهم مما تقدم كما يقول، وهي أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، والتزم أن تكون هذه الأحاديث صحيحة، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم، واتبعها (بباب في ضبط خفي ألفاظها)(٩٩)، وعني المحدثون بأربعين النووي وشرحوه. وهناك مختارات أخرى، منها ثمانيات عبداللطيف بن عبدالمنعم بن علي بن نصر الحراني الحنبلي، وكان شيخ دار الحديث الكاملية، وتوفي ٦٧٣ / ١٢٧٥ .

ج - الفقه

اشتهر العديد من الكتب التي كانت تدرس في المعاهد التعليمية، وركزت على المذاهب الأربعة، الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي. ركز العلماء في المذهب الشافعي على دراسة (مختصر المزني) للشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزني للشافعي المتوفي سنة ٢٦٤ / ٨٨١(١٠٠)، وكتاب (التنبيه في فروع الشافعية) للشيخ أبي اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي الشافعي المتوفي سنة ٤٧٦ / ١٠٨٤ الذي كان مدرسا بنظامية بغداد، وكتاب الأم للشافعي الذي اختصره يونس بن بدران الجبالي المتوفي ٦٢٣ / ١٢٢٦، مدرس الفقه بالمدرسة العادلية بدمشق. وشرح عدد من علماء مصر والشام الفقه الشافعي، واشتهر كتاب الهادي لقطب الدين النيسابوري المتوفى ٥٧٨ / ١١٨٢ ، كما اشتهر كتاب (المحرر) للأمام أبي القاسم القزويني ت ٦٢٣ / ١٢٢٦ .

وفي المذهب الحنفي، كان يدرس كتاب الجامع الكبير في الفروع (للأمام أبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي) المتوفى سنة ١٨٩ / ٧٩٦، وكتاب (مختصر القدوري) في فروع الحنفية للأمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي، المتوفى سنة ٤٢٨ / ١٠٥٥، كما كان يدرس الجامع للكيلاني حسين الكرخي الحنفي المتوفى سنة ٣٤٠ / ٩٤٥، وكتاب (الهداية) في الفروع لشيخ الاسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣ / ١٠٩٧، وكان يدرس في المدرسة المعظمية بالقدس.

واهتم علماء المالكية بتدريس (كتاب المدونة في فروع المالكية) لأبي عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم المالكي ت ١٨١ / ٧٩٦(٨)، وكتاب الرسالة في الفقه المالكي للشيخ الامام أبي محمد عبدالله بن أبي زيد المالكي القيرواني، وهو أشهر فقهاء المالكية في القرن الرابع الهجري، وقد شرحت رسالته شروحا كثيرة لأهميتها(١٠١).

ودرس العلماء كتاب المدونة وشرحوها، ومن شروحها، الطراز لسند بن عثمان بن ابراهيم الأزدي المتوفى بالاسكندرية سنة ٥٤١ / ١١٤٦ ، وأصبح من أشهر كتب المالكية، وكان كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لصاحبه جمال الدين بن شاس المتوفى سنة ٦١٦ / ١٢١٩ يدرس في مدارس المالكية(١٠٢). وقد درس جمال الدين أبوالحسن ابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦١٣ / ١٢١٦ الفقه على المذهب المالكي بالمدرسة القمحية.

أما علماء المذهب الحنبلي فكانوا يدرسون (مختصر الخرقي) للشيخ أبي القاسم عمر بن الحسن الحنبلي المتوفى سنة ٣٣٤ / ١٠٣٩(٣)، وقد شرحه موفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦١٠ / ١٢١٣ في كتاب سماه (المغني)، كما كان يدرس كتاب (المقنع) في فروع الحنبلية لابن قدامة الجماعيلي.

د – علم الكلام

هو العلم الذي يبحث في طرق الجدال، والنقاش لتصحيح العقيدة الدينية والدفاع عنها، في عصر كان من أشد العصور اصطداما بالعقائد الأخرى، فكثيرا ما

كانت المناظرات تتم بين أصحاب الفرق الاسلامية بين السنة والشيعة، وبين المسلمين والمسيحيين، اذ يروي ابن شداد أن صاحب أرنون كان يتردد على صلاح الدين، ويناظر المسلمين في صحة دينه، ويناظرونه في بطلانه(١٠٣).

ساد أيام الأيوبيين مذهب أبي الحسن الأشعري، وكان ينظر الى من يدين بسواه نظرة الريبة والحذر، ويتصدى العلماء للرد على منتقديه، فقد وضع أبوشامة المقدسي كتابه (الواضح الجلي في الرد على الحنبلي)(١٠٤) يريد به محمد اليونيني، شيخ الحنابلة ببعلبك.

وضع علماء ذلك العصر كتبا تتناول مسائل علم الكلام جميعها من الهيات، ونبويات، منها كتاب العز بن عبدالسلام (ملحة الاقتصاد في الاعتقاد)(١٠٥) وأحمد بن محمد بن خلف المتوفى بالفيوم سنة ٦٤٠ / ١٢٤٣ ، وعلم الدين السخاوي منظومة تسمى (الكوكب الوقاد في الاعتقاد) وشرحها السيوطي فيما بعد بكتاب سماه الاقتصاد. يبدو أن مادة علم الكلام كانت تدرس من خلال دراسة الفقه، اذ كان كل مذهب من مذاهب أهل السنة يدافع عن ارائه، ويعلمها لأبنائه في المدارس، وممن اشتهروا في تدريس هذا العلم أيام الأيوبيين، عز الدين بن عبدالسلام، ومحمد بن هبة البرمكي الحموي الذي وضع ارجوزة العقائد لصلاح الدين(١٠٦).

عالج بعض العلماء كثيرا من المسائل الجزئية التي كانت موضع جدل في ذلك العهد، مثل مسألة القضاء والقدر، ومسألة الثواب والعقاب، وأثار الحنابلة موضوع صفات الله، ومعنى ثبوتها له، والقرآن، وقدمه وحدوثه.

وأرخ بعض العلماء في هذا العصر للفرق الاسلامية، كابراهيم بن أبي الدم المتوفي سنة ٦٤٢ / ١٢٤٥، وشهاب الدين الطوسي المتوفى سنة ٥٩٦ / ١٢٠٠، وقد درس في مدرسة منازل العز في مصر، وولي الوعظ والتدريس، وكثيرا ما دارت بينه وبين الحنابلة مناظرات ومناقشات، كما أن سيف الدين الآمدي ت ٦٥٤ / ١٢٥٦ ، درس في المدرسة العزيزية بدمشق، وعني سراج الدين الرومي بكشاف الزمخشري، والأحياء للغزالي.

أما الفلسفة فلم يكن تدريسها شائعا في الدولة الأيوبية، وكان يحرم من التدريس من يشتغل في هذا الموضوع، الا أن الملك المعظم عيسى وابنه الملك داود كانا يحبان الفلسفة ويشجعان دراستها، وقد أنعم الملك المعظم على سيف الدين الآمدي وأكرمه وولاه التدريس، ولكن الآمدي نفسه يذكر أنه لم يكن يقرىء أحدا شيئا من العلوم الحكمية الا نادرا، وذكر ابن أبي أصيبعة أنه درس كتاب (رموز الكنوز) عليه سرا(١٠٧). وقد أتقن عز الدين الأربلي المتوفى سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ علم الفلسفة في عهد الناصر داود،وتبوأ مكانة كبيرة عنده، وولي أفضل الدين الخونجي المتوفى ٦٤٦ / ١٢٤٩ قضاء مصر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب.

كان التصوف علما وموضوعا للدرس، فقد درس في الزوايا والخوانق، اذ درس منازل السائلين للشيخ عبدالله بن محمد بن اسماعيل الهروي المتوفى سنة ٤٧١ / ١١٧٦، وكتاب العوارف للشيخ عمر بن عبدالله السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ / ١٢٣٥، وكتاب (أداب المريدين) للشيخ أبوالنجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣ / ١١٦٨، وكتاب (الأربعين الصوفية) للشيخ أبي نعيم الأصفهاني أحمد بن عبدالله المتوفى سنة ٤٣٠ / ١٠٣٩، واحياء علوم الدين للغزالي.

٢ - علوم اللغة العربية

حظيت علوم اللغة العربية بعناية العلماء، وذلك لحرص المدرسين على أن يتلى القرآن دون لحن أو خطأ، وأن يكتب كتابة صحيحة، وقد ركز العلماء على تدريس عدد من كتبها منها:

(الكتاب) لسيبويه أمام البصريين المتوفى سنة ١٨٠ / ٧٩٥(١٠٨)، وكتاب (اصلاح المنطق) لابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ / ٨٦٥، وكتاب (الايضاح في النحو) لأبي علي الفارسي سنة ٣٧٧ / ٩٨٤، وكتاب الجمل في النحو لعبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة٤٧١ / ١٠٧٨ وهو الكتاب المعروف بالجرجانية في النحو(١٠٩)، وكتاب ملحة الاعراب للحريري المتوفى سنة ٥١٦ / ١١٢٢، وكتاب تعريف المازني المتوفى ٢٨٤ / ٩٠١ والذي شرحه ابن جني، وقد وضع ابن يعيش

الحلبي المتوفى ٦٤٣ / ١٢٤٦ حاشية له، وربما كان أهم ما كان يدرس في مصر والشام في ذلك الحين المفصل للزمخشري الذي ألف سنة ٥١٣ / ١١٢٠ ، اذ استأثر بعناية المدرسين واهتمامهم في التدريس(١١٠)، ومن الكتب التي شاع تدريسها أيضا كتاب الكافية في النحو، وكتاب الشافية في الصرف لأبي عمرو بن الحاجب، وقد درسهما صاحبهما في المدرسة الفاضلية، وكان نجم الدين بن المجاور المتوفى سنة ٦٠١ / ١٢٠٥ مدرسا للنحو(١١١).

ازدهرت علوم اللغة العربية أيام الأيوبيين، فكانت تدرس في جميع المعاهد التعليمية، بل ان اهتمام الملك المعظم بالعربية جعله يخصص مدرسة للنحو في بيت المقدس، وقد اشتهر تاج الدين الكندي المتوفى سنة ٦١٣ / ١٢١٦ في تدريس النحو والصرف في مدارس الأيوبيين، وكانت صلاته جيدة بالأمير عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أيوب، وعثمان ابن عمر بن بكر الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ / ١٢٤٩ والذي كان مدرسا بجامع دمشق، وترك مؤلفات في النحو والصرف، فشرح مفصل الزمخشري في كتاب سماه الايضاح، وله فيما يشكل فيه الاعراب اسم كتاب آمال، وقد وقف الملك المعظم عيسى كتب أبوالحسن علي بن احمد بن خلف النحوي (شرح كتاب سيبويه، وشرح الايضاح، وشرح أصول بن سراج) على كثير من المدارس.

* **البلاغة والعروض والقوافي**

نال علم البيان والمعاني عناية المدرسين من خلال تدريس كتب التفسير والحديث ، لابراز اعجاز القرآن، فكان النصر بن محمد المظفر المتوفي سنة ٦٣٠ / ١٢٣٣ مدرسا في الأزهر، وألقى رسالة في الضاد والظاء(١١٢)، كما كان عبداللطيف البغدادي مدرسا مشهورا في حلب، اذ ألف كتاب قوانين البلاغة، أما رسالة البلاغة للقاضي الفاضل فكانت أكثر الكتب انتشارا في مصر والشام، ووضع ضياء الدين نصر الله بن الأثير كتابه المثل السائر الذي حاول فيه ضبط قواعد البلاغة وملأه بالأمثلة التي تبين مواضع الجمال ومواطن القبح في الأدب.

واهتم المدرسون في عهد الأيوبيين بتدريس علم العروض، ولم يخرجوا عما رسمه

الخليل بن احمد، وقد استعانوا بأشعار ممن كانوا يعيشون في تلك الفترة مثل أسامة بن منقذ وغيرهم من الشعراء.

كان لعناية المدرسين بتدريس كتب اللغة أن انتشرت نهضة علمية ساهمت في الانتاج اللغوي، فقد وضع محمد بن محمد ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ / ١١٦١ في حماة حاشية على درة الغواص بين فيها أخطاء الحريري(١١٣)، كما وضع عبدالله بن بري المتوفى سنة ٥٨٢ / ١٠٨٦ عددا من المؤلفات في اللغة، مثل كتاب التنبيه والايضاح، وكان يتصدر الاقراء والنحو واللغة بجامع عمرو بن العاص بالقاهرة، فطارت شهرته في الآفاق، فقصده الطلاب من كل بلد، وفي مقدمتهم عيسى الجزولي نحوي المغرب والأندلس.

* الأدب

أقبل المدرسون على تدريس الأدب، وركزوا على تدريس دواوين الشعراء السابقين والقصائد المفردة، والخطب، والمقامات، ومن ذلك ديوان المتنبي، ودواوين الحماسة وقصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، وبردة البوصيري، ومقامات الحريري، وغير ذلك، يضاف الى هذا ما قاله الشعراء في المدح والرثاء والزهد والتصوف. وكان المدرسون يتعرضون لصفات الشعر الجيد والنثر الممتاز والخطب البليغة. كان المدرسون يختارون الأشعار السهلة للأطفال، بحيث تكون سهلة العبارة واللغة قصيرة الأبيات خفيفة الوزن، كي يسهل عليهم حفظها وفهمها، كما يراعون في اختيارها ما تشمله من مدح للأخلاق النبيلة وذم للرذيلة، كمدح الكرم، وذم البخل، والحث على حب الوالدين واطاعتهما، والجهاد في سبيل الله، وكان المدرسون حريصين على عدم تعليم الأطفال أشعار الغزل.

وقد اشتهر القاضي الفاضل بنثره البليغ(١١٤)، وصرف جميع اهتمامه الى التلاعب بالمعاني، وكذلك ضياء الدين نصر الله بن الأثير الذي وضع كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور، واشتهر بتعصبه للغة العربية ووضعه عددا من الكتب منها، مختارات، اختار فيها من شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي.

وكان عبدالعظيم بن أبي الاصبيع الأديب المتوفى سنة ٦٥٤ / ١٢٥٧ ممن ساهم

في تدريس الأدب في مصر، ووضع عددا من المؤلفات في علوم اللغة منها كتاب الشافية في علم القافية، الذي برهن فيه أن القرآن الكريم لم يكن شعرا.

* **الخط العربي**

راجت دراسة الخط العربي في تلك الفترة، وذلك لاقبال الناس على التعليم وحاجتهم الى الكتب، بالاضافة الى حرص كل مسلم على اقتناء المصاحف في بيته، لذلك اعتمد على النسخ في كتابة الكتب.

حرص بعض الناس على اقتناء الكتب، وعمل المكتبات في المدارس والمساجد، واحتاجت هذه المكتبات الى النساخين الذين لهم خطوط جميلة. لقد اشتغل ياقوت الرومي الحموي بالنسخ، وجعل يدرس الخط(١١٥)، وكان فتيان بن علي الشاغوري المعلم ت ٦١٥ / ١٢١٨(١١٦) يدرس الخط لأمراء دمشق.

وقد وضع سليمان بن بنين الدقيقي المصري ت ٦١٣ / ١٢١٦ البسيط في أحكام الخط.

* **التاريخ والجغرافيا**

ساهم عدد من المؤرخين في تدريس التاريخ، فقد درس ابن شداد في حلب فضائل الجهاد(١١٧) وقصص الأنبياء. ودرس ابن واصل التاريخ بالاضافة الى المواضيع الأخرى، واهتم شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي بالتاريخ، ويدل على ذلك المصنفات التي صنفها، ومنها مختصره لكتاب (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجماعيلي المتوفى سنة ٦٠٠ / ١٢٠٣، وقد سماه جامع التحصيل في أحكام المراسيل.

وقد درس الفلك سلام بن رحمون الطبيب اليهودي في مصر(١١٨)، كما علمه في الشام علم الدين قيصر المتوفى سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ ونصير الدين الطوسي.

* **الحساب**

أوصى العلماء بتدريس الحساب، لما هو ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب لا يستغني عنه(١١٩)، كما أنه يفيد في معرفة أوقات الصلاة والفرائض والصيام، وقد تولى مجد الدين طاهر بن

نصر الله بن جهبل سنة ٥٩٦ / ١٢٠٠ تدريس الحساب والفرائض، كما درس ابن واصل الحساب وبرع فيه. وعني المدرسون بتحفيظ الطلاب الأرجوزة المسماة (الياسمينة) في الجبر والمقابلة التي وضعها أبوعبدالله بن حجاج المعروف باسم ابن الياسمين المتوفي ٦٠١ / ١٢٠٤ .

* **الطب**

تقدم الطب في ذلك العصر، وتحسنت وسائل دراسته، وكثر عدد الأطباء يومئذ، وتنوعت اختصاصاتهم، وقد شملت الكحالين، أطباء العيون، والمجبرين، والجراحين، هذا بالاضافة الى الفصادين (الفصد شق العرق لاستفراغ الدم منه) والحجامين(١٢٠)، وقد حددت المناهج التي يجب على الطالب دراستها. ومنع مداواة المرضى، الا من قبل الطبيب العارف بتركيب البدن وأسباب المرض والأدوية النافعة فيها، شريطة استخدام الات الطب مثل كلبات الأضراس ومكاوي الطحال وملزم البواسير ومنجل النواصير، وغير ذلك مما يحتاج اليه في صناعة الطب(١٢١).

كان الطب يدرس من كتب أبقراط، منها كتاب الأجنة وهو ثلاث مقالات، الأولى في تكون المني، والثانية، في تكون الجنين والثالثة في تكون الأعضاء(١٢٢) وكتاب الأخلاط وكتاب الأمراض الحادة، وهو من ثلاث مقالات، الأولى في تدبير الغذاء، والثانية في المداواة بالتكميد، والثالثة في التدبير بالخمر وماء العسل والاستحمام، وكتاب الأمراض الوافدة وتدبيرها وكتاب الأهوية والمياه والبلدان، وكتاب جالينوس في العلل(١٢٣)، كما كان يدرس كتابي المسائل ومحنة الطبيب لحنين بن اسحق المتوفى سنة ١٩٤ / ٨٠٩ ، وكتاب القانون لابن سيناء المتوفى سنة ٤٢٨ / ١٠١٧ ، وكتاب الحاوي للرازي، المتوفى سنى ٣٢١ / ٩٣٣ ، وتسعة كتب لجالينوس، وكتاب الحشائش لايسقوريدس.

ويحدثنا ابن أبي أصيبعة كيف تعلم الطب في البيمارستان النوري، فيقول "كنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم، أجلس مع الشيخ رضى الدين الرحبي فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصف للمرضى، وما يكتب لهم من أبحاث، وأبحث معه

في كثير من الأمراض ومداواتها"، ثم قال، " وكان يجتمع مهذب الدين والحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج، فتضاعف الفوائد المقتبسة من اجتماعهما، وما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها، وما كانا يصفان للمرضى". (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ٧٣٢).

وكان الأطباء الاختصاصيون يدرسون ما يؤهلهم للتخصص، فقد كان الكحالون يدرسون المقالات العشر في العين من كتاب حنين ابن اسحق، وكان ينبغي أن يعرف الكحال تشريح عدد طبقات العين السبعة، وعدد رطوباتها الثلاثة وأمراضها(١٢٤)، أما المجبرون فعليهم معرفة المقالة السادسة من كتاب كناش بولص في الجبر، وعدد عظام الآدمي، وعلى الجراحين دراسة كتاب جالينوس في الجراحات، والمراهم، وكتاب الزهراوي في الجراح، ومعرفة أعضاء الانسان، وما فيه من العضل والعروق والأعصاب، والشرايين وتشريحها.

كان الطب صناعة نبيلة لا يسمح بتعاطيها الا لمن حصل على خبرة واسعة في الطب، وأعد لذلك اعدادا علميا وخلقيا، يكفل عنايته بالناس وتطبيبهم والاطلاع على أسرارهم المتعلقة بحاضر صحتهم. وقد اشترط على محترف مهنة الطب أن يكون عالما بالتشريح، ملما بعلم وظائف الأعضاء، خبيرا بالنبض وتبدل البول. وقد كان المحتسب يشرف على الأطباء، فكان ينظر في أمور الصحة والطب. كان البيمارستان يقام بجوار الأنهار في مكان مرتفع، وكان له قاعات واسعة، وكان المرضى يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، وكان في البيمارستان خزانة للأدوية ومكتبة مزودة بالكتب الطبية. (إبن خلكان، وفيات الأعيان، ١٢٤/٣)

منع المحتسب المتصدي للفصد الا من اشتهرت معرفته بالتشريح للأعضاء والعرق والعضل والشرايين، وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها، ولا يجوز أن تجري عملية الفصد للصبي الا باذن وليه، ويمنع فصد الحامل والطامث، وقد حدد المحتسب أماكن الفصد، والعرق التي يجوز فصدها. أما الحجامة فهي عظيمة المنفعة، وقد اشترط في الحجام أن يكون رشيقا، خبيرا في الصناعة، وكان الحجام يخضع لرقابة المحتسب، فيمتحنه بالصاق ورقة على آجرة، ثم يأمره بشرطها، فان

نفذ الشرط والا كان ثقيل اليد سيء الصناعة، وعلامة حذق الحجام خفة يده، وألا يوجع المحجوم، وتستحب الحجامة وسط الشهر، لأن الأخلاط تكون هائجة، وتكون الأدمغة زائدة في الأقحاف.

وينبغي للمحتسب أن يأخذ العهد والميثاق الا يفصدوا الا بعد مشاورة الأطباء، وينبغي أن يكون مع الفاصد مباضع كثيرة من ذوات الشعيرة وغيرها، وكبة من حرير أو خز، أو شيء من آلة القيء، من خشب أو ريش ووبر الأرنب ودواء الصبر والكندر، وأن يوسع الفاصد البضع في الشتاء لئلا يجمد الدم، ويضيقه في الصيف لئلا يسرع الغشي. ذكر الشيرزي أن المحتسب يمتحن البيطار في مهنته، ليتأكد أنه خبير بعلل الدواب ومعرفة ما تحتاج اليه، وما يحدث فيها من عيوب، وقد حدد علل الدواب بأنها ثلاثة وعشرون علة، وجب على البيطار معرفة أسبابها وعلاجها.

وفي عهد الملك الكامل عين رئيسا للأطباء، يمنح الشهادة التي تسمح للطبيب بمزاولة الطب، وكانت الشهادة لا تعطى الا لمن يثبت كفاءته، ويأخذ بعهد أبقراط الذي يمنع اعطاء الدواء الضار للمريض. (أحمد الشلبي، تاريخ التربية الاسلامية ٢٥١).

اهتم الأطباء وبعلم التشريح، فعندما علم عبداللطيف البغدادي بوجود تل كبير من الهياكل العظمية البشرية في مكان ما في القاهرة، سافر الى هناك وفحص العديد من هذه الهياكل فحصا دقيقا، وشاهد شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها، وأوضاعها، ما أفاده عمليا، فتوصل الى أن الفك الأسفل عبارة عن عظمة واحدة بدون مفصل، وليس مؤلفا من عظمتين كما قال جالينوس(١٢٥).

تقدم علم الجراحة وبرع العديد من الأطباء في اجراء العمليات الجراحية، وكذلك برعوا في الأمراض العصبية. وخصصوا لها بيمارستانا.

كانت عناصر العملية التعلمية الرئيسية في العهد الأيوبي، المعلم والطالب والمنهاج الدراسي، وكان المعلم محور العملية التعلمية اذ كانت شخصيته مستمدة من شخصيته الدينية، وكانت مؤهلات المعلم تستند الى قاعدة ثقافية تشمل علوم العصر، بالاضافة الى تخصصه في أحد العلوم كالفقه أو الحديث، أو الأدب، أو الطب وكان المعلم أبا رحيما، ولكنه كان يعاقب الطالب المهمل ويثيب الطالب

المجد.

كان الطلاب أحرارا في اختيار المدرسة التي يدرسون بها، والأخذ عن المعلم الذي يريدونه، وكان أعداد الطلبة محدودا، اذ كان يقارب العشرين لكل مدرس، ولم تلتحق البنات بالمدارس حرصا على الأخلاق وحفظا للدين(١٢٦).

أما المناهج فكانت تركز على العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية بالاضافة الى الحساب والفلك والطب، أما تدريس المنطق والفلسفة فكان الاهتمام بهما ضعيفا.

هوامش الفصل الثالث

١ - ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣١٠/٦ .
٢ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٢٠٤٦/١٢ .
٣ - مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١٠١/٢ .
٤ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ١٧٤/١ ، المقريزي ، الخطط ، ٣٦٤/٢ .
٥ - النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٨٣/١ .
٦ - السيوطي ، حسن المحاضر ، ١٥٤/٢ .
٧ - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٤٦٤/٥ .
٨ - ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ١٥٠ .
٩ - السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ١٠٦ .
١٠ - الغزالي ، احياء العلوم ، ٤٦ .
١١ - السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢٥٧/٢ .
١٢ - السيوطي ، مرجع سابق ، ١٩٤/١ .
١٣ - ابن واصل ، مفرج الكروب ، ٩٩/١ .
١٤ - محمد غنيم ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ٢٣٠ ،
١٥ - مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١٠١/٢ .
١٦ - مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ١٠٢١٢ .
١٧ - ابراهيم العكش ، التربية و التعليم في الاندلس ، ١١٤ .
١٨ - ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣٢٨/٢ .
١٩ - ابراهيم العكش ، مرجع سابق ، ١١٥ .
٢٠ - احمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٣١ .
٢١ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٦٥٣ .
٢٢ - السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ١٣٠ .
٢٣ - احمد شلبي ، مرجع سابق ، ٢٣٣ .
٢٤ - النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٢٣٠/١ .
٢٥ - ابن ابي اصيبعة ، مصدر سابق ، ٦٣٢ .
٢٦ - ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٨٦/٧ .
٢٧ - احمد محمد جمال ، نحو تربية اسلامية ، ص ١٢ .
٢٨ - ياقوت الحموى ، معجم الادباء ، ١٣٩/٥ .
٢٩ - عبد الله عبد الدايم ، مرجع سابق ، ١٦٦ .

٣٠ – ابو شامة ، الروضتين ، ١٣/١ .
٣١ – احمد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ١٣١ .
٣٢ – السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ١٣٠ .
٣٣ – كرد علي ، خطط الشام ، ٦/ ١٩٢ .
٣٤ – المقريزي ، الخطط ، ٣٣٣/٣ .
٣٥ – المقريزي ، الخطط ، ٣١١/٢ .
٣٦ – المقريزي ، السلوك ، ١٣١/١ .
٣٧ – السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٥٧/٢ .
٣٨ – كرد علي ، مرجع سابق ، ٣٤/٤ .
٣٩ – احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٤٦ .
٤٠ – السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٨/٤ .
٤١ – سنن الامام احمد .
٤٢ – السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم ، ١٠٤ .
٤٣ – الغزالي ، الاحياء ، ٤٧/١ .
٤٤ – الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٤ .
٤٥ – ابن ابي اصيبعة ، عيةن الابناء ، ٧٠٢ .
٤٦ – خليل طوطح ، التربية عند العرب ، ١٩ .
٤٧ – ابن جبير ، الرحلة ، ٢٢٢ ،
٤٨ – احمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٦٤ .
٤٩ – السبكي ، طبقات الشافعية ، ٢٥٨/٤ .
٥٠ – القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٢٧/١٤ .
٥١ – شذرات الدهب ، ٤٠١/٥ .
٥٢ – مجير الدين الحنبلي ، مرجع سابق ، ١٩٢/٢ .
٥٣ – الادفوي ، الطالع السعيد ، ٣٠٩ .
٥٤ – محمد غنيم ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ٢١٩ .
٥٥ – ابن جبير ، الرحلة ، ٢٥٨ .
٥٦ – الاصفهاني ، الفتح القسي ، ١٨٢ .
٥٧ – ابن جبير ، الرحلة ، ٢٧٢ ،
٥٨ – النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ٤٨٣/١ .
٥٩ – ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ٣٦٧/١ .

٦٠ – حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٢٨/١ .
٦١ – مجير الدين الحنبلي ، مصدر سابق ، ٤٦/٢ .
٦٢ – النعيمي الدارس في تاريخ المدارس ، ٣٦٨/١ .
٦٣ – ابن واصل ، مفرج الكورب ، ١٧٤/١ .
٦٤ – احمد سامح الخالدي، ادارة الصفوف ، ٤٨ .
٦٥ – عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، ١٩٥ .
٦٦ – ابن خلدون ، المقدمة ، ٣٩٩ .
٧٧ – الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤٣/٣ .
٧٨ – احمد لاهواني ، التربية في الاسلام ، ١٣٣ .
٧٩ – احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٧٤
٨٠ – الغزالي ، الاحياء ، ٧٣/٣ .
٨١ – احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ٢٧٢ ،عن كتاب وقف الملك الاشرف مخطوط ملك الاستاذ صلاح الدين المنجد .
٨٢ – المقريزي ، الخطط ، ٣٥٥/١ .
٨٣ – الغزالي ، احياء علوم الدين ، ٤٨/١ .
٨٤ – احمد فؤاد الاهواني ، التعليم في الاسلام ، ١٦٢ .
٨٥ – ابن خلدون ، المقدمة ، ٢٩٥ .
٨٦ – الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠٣ .
٨٧ – ابن جبير ، الرحلة ، ٤٧٢ .
٨٧ – ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ١٩٤/١٢ .
٨٨ – السبكي ، معيد النعم ، ١٣٠ ،
٨٩ – عمر كحالة ، دراسات اجتماعية في العصور الوسطى ، ٥١ .
٩٠ – الاهواني ، التربية في الاسلام ٣٤٠ .
٩١ – ياقوت ، معجم الادباء ، ١٢١/١٢ .
٩٢ – ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ٤/٣ .
٩٣ – ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ٧١/٤ .
٩٤ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ١٤٣/٧ .
٩٥ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٦٧١ .
٩٦ – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٧ ،
٩٧ – ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٥٧/٦ .

٩٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣/ ١٨٠ .
٩٩ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٥٩/١ .
١٠٠ - ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ٢١٧/١ .
١٠١ - حاجي خليفة ، مصدر سابق ، ٨٤١/١ .
١٠٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩٤/٣ .
١٠٣ - ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٨٠ .
١٠٤ - ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ٢٠٧ .
١٠٥ - السبكي ، طبقات الشافعية ، ٥٩٨/٥ .
١٠٦ - السبكي ، طبقات الشافعية ، ١٩٥/٤ .
١٠٧ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ٦٥٠ .
١٠٨ - ياقوت ، معجم الادباء ، ١١٥/١٦ .
١٠٩ - الكتبي ، فوات الوفيات ، ٣٦٩/٢ .
١١٠ - ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٣/٤ .
١١١ - عمر فروخ ،تاريخ الادب العربي ، ٤٣٨/٣ .
١١٢ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٠٩٣/٢ .
١١٣ - حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ٥٠٩/٤ .
١١٤ - عبد الجليل عبد المهدي ، مرجع سابق ، ٩٣/١ .
١١٥ - ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٢٠/١ .
١١٦ - ابن خليكان ، وفيات الاعيان ، ١٤٣/٢٠ .
١١٧ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٥٣١/١ .
١١٨ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٥٨٣ .
١١٩ - الغزالي ، احياء علوم الدين ٥/١ .
١٢٠ - الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ٩٦ .
١٢١ - نفس المصدر السابق ، ٩٩ .
١٢٢ - حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٣٨٥/٢ .
١٢٣ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ،٥٩١ .
١٢٤ - الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ١٠١ .
١٢٥ - احمد فؤاد باشا ، التراث العلمي للحضارة الاسلامية ، ١٧٧ .
١٢٦ - خليل طوطح ، التربية عند العرب ، ٩٧ .

الفصل الرابع

الحياة الثقافية في مصر والشام

* العلماء والأدباء في العهد الأيوبي
* علوم الدين
* علوم اللغة العربية
* التاريخ والجغرافيا
* الفلسفة والمنطق
* الحساب والهندسة
* الطب والصيدلة
* علوم أخرى



الحياة الثقافية في مصر والشام

لم تكن الحضارة ملكا لمجتمع أو وقفا على أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، وانما هي جهود متضافرة متتابعة لكل أمة فيها عمل ونصيب، ولكل حضارة حلقة في سلسلة التمدن والعمران، وعل قيام الدولة الأيوبية كان له أثره في دفع عجلة الحضارة الى الأمام بعد أن حافظت عليها، فكان لفتح المعاهد الثقافية في مختلف المناطق، واقبال الناس على الالتحاق بها ان ازدهرت الحركة الثقافية، وأينعت.

نشطت الحركة الثقافية في هذا العصر نشاطا ملحوظا فاشتهر بخصب ثقافي، ونضوج فكري، وغزارة التأليف والتصنيف. فقد ظهر التخصص في التأليف عند الكتاب وذلك بسبب النضوج في التفكير والتعمق في الأبحاث، وكثرة المدارس ودور العلم والحرية في الاستقصاء والبحث، وتعاون العلماء، والاطلاع على علوم الأولين وما لديهم، بالاضافة الى حرية حركة العلماء بين الأقطار الاسلامية، وتشجيع السلاطين والأمراء، واشتغال قسم منهم في البحث والدراسة كما سنرى.

شهدت بلاد الشام ومصر أيام الأيوبيين حركة نشيطة في التأليف والتصنيف في مختلف المواضيع الفكرية، وصدرت العديد من الملفات في شتى المواضيع، ولا سيما علوم الدين وعلوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافية، والعلوم الطبية والحساب.. ولم تكن الحياة الفكرية في الدولة الأيوبية مستقلة عنها في البلاد الاسلامية الأخرى، وانما كانت مظهرا متمما من مظاهر الوحدة الفكرية، فقد لاحظنا بعض علماء الأندلس والمغرب يفدون الى سوريا ومصر طلبا للعلم، يأخذون ويعطون، وقد يستقرون ويعملون مدرسين في مدارسها، أو مراكزها التعليمية، كما يصنفون أفكارهم في كتب ما زال الكثير منها مصادر يعتمد عليها في علوم الدين واللغة العربية وغيرها من المواضيع.

سأحاول أن أبين مدى ازدهار الحركة الثقافية في العصر الأيوبي، وأبرز أشهر المؤلفين في مختلف المواضيع.

وقد وضعت قائمة بأسماء العلماء والأدباء المشهورين في العصر الأيوبي، ثم حللت انتاجهم الفكري الى المواضيع التي تناولوها في مصنفاتهم.

العلماء والأدباء في العهد الأيوبي	المصدر
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، ٥٧١ / ١١٧٦	
محدث وفقيه، صنف،تاريخ دمشق، (٨٠ مجلدا)	ابن كثير، ٣١٤/١٢
كشف المغطى في فضل الموطا	
الاشراف على معرفة الأطراف	وفيات الأعيان ٢٣٥/١
محمد بن عبدالله بن القاسم أبو الفضل الشهرزوري، ٥٧٢ / ١١٧٦	
قاضي قضاة دمشق ، فقيه ومحدث	ابن كثير، ١٢ / ٣١٦
شمس الدين بن الوزير أبوالضياء، ٥٧٢ / ١١٧٦	
خطيب ، شاعر ، أديب	ابن كثير، ١٢ / ٣١٧
محمد بن اسعد بن محمد أبوالمنصور العطار، ٥٧٣ / ١١٧٧	
سمع الكثير، وناظر، وأفتى ودرس بجامع دمشق،	ابن كثير، ٣١٧/١٢
شهدة بنت أحمد بن عمر الأبري، ٥٧٤ / ١١٧٨	
سمع عليها خلق لعلو اسنادها،	ابن الوردي ٢ / ١٣٦
ابراهيم بن علي أبواسحق ، ٥٧٥ / ١١٧٩	
فقيه شافعي وشاعر	ابن كثير ١٢ / ٣٢٥
أبوطاهر السلفي، أحمد بن محمد بن أحمد، ٦٧٥ / ١١٨٠	
امام في الحديث ، درس الحديث بالاسكندرية له	
تعاليق وكتب منها ،الأربعين البلدانية ،مجموعة	
في الأحاديث السداسية الأسانيد ، تراجم	ابن الأثير ١١ / ٢١٢
مشايخه (جعل كل قبيلة في معجم خاص) .	معجم الأدباء ١٣ / ٧٩
الشيخ كمال الدين أبوالبركات عبدالله بن محمد الأنباري ٥٧٧ / ١١٨١	
نحوي وفقيه، له تصانيف، منها الميزان في النحو،	
طبقات النحاة ،أسرار العربية .	ابن كثير ١٢ / ٢١١
قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد ، ٥٧٨ / ١١٨٢	
قدم من بغداد واستقر بدمشق ، درس الفقه في	

المدرسة الغزالية | ابن كثير ١٢ / ٢١٤

ست النعم أم علي تقية بنت أبي الفرح الصورية ٥٧٩/ ١١٨٣
شاعرة اشتهرت بالفخر والحماسة والهجاء | وفيات الأعيان ١/ ١٧٠

محمد بن حرب ٥٨٠ / ١١٨٤
النحوي الأديب | خطط الشام ٤ / ٣٨

مهذب الدين أبوالفرج بن الدهان الحمصي ٥٨١ / ١١٨٥
شاعر أكثر شعره في المدح والغزل، وله المام في الفقه والحديث | وفيات الأعيان ١ / ٤٥٨

عبدالله بن أسعد الموصلي ، ٥٨١ / ١١٨٥
أديب شاعر ، درس في مدارس حمص | ابن كثير ١٢ / ٣٣٨

المحمودي بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الصابوني، ٥٨١ / ١١٨٥
كان اماما وخطيبا | ابن كثير ١٢ / ٣٣٨

أبومحمد عبدالله بن الوحش بري بن عبدالجبار المقدسي ٥٨٢ / ١١٨٦
امام في اللغة والنحو ، صنف :
التنبيه والايضاح في اللغة (تصحيحات على قاموس الجوهري) ، المسائل العشر في النحو، اللباب في الرد على الخشاب، الكافي في علم القوافي ، شرح شواهد الايضاح | وفيات الأعيان ١/ ٢٦٩

علي بن ابراهيم الغزنوي ٥٨٢ / ١١٨٦
درس التفسير ، وصنف كتاب تفسير التفسير | حسن المحاضرة ١/ ١٩١

نصر بن فتيان بن مطرينالجني ٥٨٣ / ١١٨٧
فقيه حنبلي، تفقه عليه موفق الدين بن قدامة. | الكامل ١١ / ٥٦٢

أسامة بن منقذ ٥٨٤ / ١١٨٨
شاعر أديب ، صنف عددا من الكتب منها
الاعتبار ، المنازل والديار، العصا، القلاع والحصون، لباب الآداب ، النساء ، البديع في نقد الشعر، ديوان أسامة | معجم الأدباء ٥ / ٢٠٨

تاج الدين الخراساني ٥٨٤ / ١١٨٨ ، فقيه صوفي | خطط الشام ٤ / ٣٥

احمد بن عبدالرحمن بن وهبان ٥٨٥ / ١١٨٩

فقيه ، له معرفة في علوم الأصول والحساب والنجوم والهيئة والمنطق والفرائض .

جاور مكة وبقي فيها — ابن كثير ١٢ / ٣٥٦

الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي ٥٨٥ / ١١٨٩ فقيه واديب وشاعر خطط الشام ٤ / ٣٥

محمد بن محمد بن عبدالله الشهرزوري ، ٥٨٦ / ١١٩٠

قاضي قضاة الموصل شاعر أجاد الوصف والزهد — ابن كثير ١٢ / ٣٦٣
الكامل ١٢ / ٥٩

الشيخ نجم الدين الخبوشاني ٥٨٧ / ١١٩١

مدرس الفقه الشافعي — ابن كثير ١٢ / ٣٧٠

عينه صلاح الدين مدرسا بالمدرسة الناصرية بالقاهرة — وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٥

أماليه كثيرة ، وله المحيط في شرح الوسيط .

شهاب الدين أبوالفتوح السهروردي ، ٥٨٧ / ١١٩١

كان جامعا للفنون الفلسفية ، بارعا في الفلك، صنف عدة كتب منها، الكلمات اللوقية والنكات الشوقية، التلويحات اللوحية والعرشية، الألواح العمادية، اللحمة ، المقاومات (لواحق كتابالتلويحات)، هياكل النور، المعارج ، المطارحات ، حكمة الاشراق . — عيون الأنباء ٥٤١

الشريف محمد بن أسعد الحواني ، ٥٨٨ / ١١٩٢

فقيه ، له معجم ما أشكل من الفقه — خطط المقريزي

الشاطبي أبوالقاسم بن فسيرة ٥٩٠ / ١١٩٤

صنف في القراءات السبع نظم ثلاث قصائد في القراءات ، أشهرها :

حرز الأماني ووجه التهاني

الرائية تتمة الحرز من قراءات أئمة الكنز — وفيات الأعيان ١ / ٤٢٢

مجد الدين أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جهبل، ٥٩٦ / ١١٠٠

شيخ مدرسة الصلاحية في القدس — ابن كثير ١٣ / ٢٤

الأثير بن بنان، محمد بن محمد الأنباري ، ٥٩٦ / ١٢٠٠

درس التفسير بمدارس مصر، وصنف تفسيرالقران، المنظوم والمنثور — فوات الوفيات ٣ / ٢٥٩

ابن ناهوج الاسكافي ، ابوالبدر الحسن و ٥٩٦ / ١٢٠٠

قدم الى مصر من العراق

كاتب مسترسل — معجم الأدباء ٩ / ١٣٧

شهاب الدين الطوسي ، ٥٩٦ / ١٢٠٠

شيخ مدارس منازل العز بالقاهرة ،

فقيه ، محدث — ابن كثير ١٣ / ٥٧

الشيخ بدر الدين بن عساكر ، ٥٩٦ / ١٢٠٠

شيخ الحنفية بدمشق — ابن كثير ، ١٣ / ٢٧

ابراهيم بن منصور المصري، ٥٩٦ / ١٢٠٠

فقيه ، وله شرح على كتاب المهذب لابن إسحق

الشيرازي — وفيات الأعيان ١ / ٣٢

علوي بن عبدالله بن عبيد الشاعر الحلبي ٥٩٦ / ١٢٠٠

شاعر عرف بالباز الأديب المتفنن — خطط الشام ٤ / ٣٨

ابوطاهر بركات الخشوعي ٨٩٥ / ١٢٠١

محدث — خطط الشام ٤ / ٣٦

ابوالحسن علي بن علي بن عقيل، ٥٩٦ / ١٢٠٠

شاعر، وله ديوان. — ابن كثير ، ١٣ / ٢٧

القاضي الفاضل، أبوعلي عبدالرحيم ، ٥٩٦ / ١٢٠٠

شاعر ، أديب ، كاتب مكثر من الشعر والنشر،

كثير التكلف للصناعة اللفظية والمعنوية .

له ديوان شعر،وديوان رسائل. — وفيات الأعيان ٢ / ٤٥٩

العماد الكاتب، أبوعبدالله محمد الأصفهاني، ٥٩٧ / ١٢٠١

أديب شاعر وناثر، له ديوان شعر وديوان رسائل،

وله خريدة القصر وجريدة العصر ،البرق الشامي،

الفتح القسي في الفتح القدسي — ذيل الروضتين ٢٧

ابن الجوزي ، أبوالفرج عبدالرحمن بن عليو ٥٩٧ / ١٢٠١

فقيه، صنف فنون الأفنان في علوم القرآن . — كشف الظنون ١٢٩٢/٢

درس القراءات في جامع دمشق.

ابن الزكي ، محمد بن علي بن محمد بن يحيى، ٥٩٨ / ١٢٠١

درس بالمسجد الأقصى بالقدس، وخطب لـدى

فتح القدس عن الجهاد،وكان قاضي قضاة دمشق،

كان ينهى عن دراسة المنطق ، ويدرس التفسير. وفيات الأعيان ، ١/٤٧٠

ضياء الدين أبوالقاسم عبدالله بن زيد الدولعي، ٥٩٨ / ١٢٠١
تفقه في بغداد على الترمذي، قدم الى دمشق ،
ولي التدريس في الغزالية والخطابة بدمشق. ابن كثير، ١٣ / ٣٧

الصدر ابوالثناء حماد بن هبة الله الحراني، ٥٩٨ / ١٢٠٢
شاعر ،سمع واسمع الحديث بمصر ابن كثير ،١٣ / ٣٧

ابو الفتوح البلطي ،عثمان بن عيسى بن هيجون ،٥٩٩ /١٢٠٢
أديب نحوي ، شاعر مولع بالتأنق والصناعة، خريدة الشام ٢/٣٨٥
كثير المدح والغزل، درس بدمشق ، من مصنفاته،
العظات الموقظات، تعديل العبادات، التصحيف
والتحريف ، أخبارالمتنبي ، العروض الصغير،علم
أشكال الخط ، المستزاد على المستجاد في فعلات
الأجواد ، النثر في العربية . فوات الوفيات ٢/ ٤٤٣

ابراهيم بن وصيف شاه ، ٥٩٩ / ١٢٠٢
شاعر ، وله كتاب البحور ووقائع الدهور، وضح
فيه أخبار الديار المصرية .

سعيد بن عبدالله المعروف بسعادة الحمصي الأعمى، ٥٩٩ / ١٢٠٢
شاعر متكسب، كثير السفر، أكثر من شعر المديح خريدة الشام ١ / ٦٠٤

أبوالنجا الواعظ، علي بن ابراهيم الدمشقي ٥٩٦ / ١٢٠٢
فقيه حنبلي ، درس في جامع دمشق. ابن كثير ، ١١ / ٣٩

ضياء الدين أبوالفضائل القاسم بن يحيى الشهرزوري، ٥٩٩ / ١٢٠٢
قاضي القضاة ، محدث وفقيه ، وله اتجاه صوفي
كان يدرس في جامع دمشق. ذيل الروضتين ٢٦

ابوالقاسم بهاء الدين الحافظ أبوالقاسم علي بن عساكر ٦٠٠ / ١٢٠٣
درس الحديث بدار الحديث النورية والجامع الأموي،
كتب تاريخ أبيه. له كتاب مناقب الأشعرية، ابن كثير ، ١٣ / ٤١
فضائل القدس،الجامع المستقصي في فضائل المسجد
الأقصى. معجم الأدباء، ١٢/ ٧٩

شيث بن ابراهيم بن محمد القفطي، ٦٠٠ / ١٢٠٣
نحوي، لغوي ، عروضي، له كتب منها، الاشارة

في تسهيل العبارة المغتصر من المختصر، تهذيب ذهن الراعي في اصلاح الرعية والراعي صنفه للملك صلاح الدين، تعاليق في الفقه المالكي، اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة. | معجم الأدباء ١١/ ٣٧٧

الحسن الساسكوني، بن علي بن حسن الحموي، ٦٠٠ / ١٢٠٣
شاعر ، أديب | فوات الوفيات ١/ ٣٤٣

الحافظ عبدالغني المقدسي بن عبدالواحد بن علي ٦٠٠ / ١٢٠٣
فقيه حنبلي ، درس في جامع دمشق ، صنف الكمال في أسماء الرجال، الأحكام الكبرى والصغرى في معالم الحلال والحرام عن خير الانام ،نهاية المواد في كلام خير العباد ، المصباح في عيون الأحاديث الصحاح . | النجوم الزاهرة ٦ / ١٨٥ — ابن كثير ١٣ / ٤٤

أبوالحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلي، ٦٠١ /١٢٠٣
أديب وشاعر ولغوي، له خمريات وحماسة وديوان شعري، وديوان رسائل. | ابن كثير ١٣ / ٤٦

ابن نفادة ، شمس الدين أحمد بن عبدالرحمن الدمشقي ٦٠١ / ١٢٠٤
أديب شاعر ، أغراض شعره المديح والغزل، يحب التلاعب بالقوافي. | خريدة الشام ١ / ٢٣٠

أبوالعباس أحمد بن مسعود بن محمد الخزرجي ، ١٠٦ / ١٢٠٤
امام في التفسير والفقه والحساب والنحو واللغة ، والعروض، شاعر. | ابن كثير ١٣ / ٤٦

ابن مجاور ، نجم الدين ابوالفتح يوسف، ٦٠١ / ١٢٠٤
أديب وشاعر. | عمر فروخ الأدب العربي ٤٣٩/٣

شرف الدين ابوالحسن علي بن محمد بن علي الشهزروري، ٦٠٢ / ١٢٠٥
درس بالمدرسة الأمينية بدمشق، عالم بالمذهب والخلاف. | ابن كثير ١٣ / ٤٨

التقي عيسى بن يوسف بن أحمد العراقي الضرير، ٦٠٢ / ١٢٠٥
درس بالمدرسة الأمينية فقيه وخطيب . | ابن كثير ١٣ / ٤٩

شرف الدين السلمي ٦٠١ / ١٢٠٥

مدرس بالمدرسة الأمينية — الدارس ١ / ١٨٢

عبدالله بن عمر الجلياني الأندلسي ، ٦٠٢ / ١٢٠٥
أديب ، صنف بعض الكتب منها، كنز الموحد في سيرة صلاح الدين ، روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر (فتح القدس). — كشف الظنون ٢/ ١٨٢٣

النفيس القرطسي، أبوالعباس أحمد بن عبدالغني ، ٦٠٣ / ١٢٠٦
شاعر ، أديب ، له المام بالفقه والفلسفة. — وفيات الأعيان ١ / ٩١

حنبل بن عبدالله بن سراج بن سعادة الرصافي ، ٦٠٤ / ١٢٠٧
استقدمه الملك المعظم عيسى ليسمع الناس منه المسند. — ابن كثير ١٣ / ٥٥

ابوالفضل بن ياسين الحلبي ٦٠٤ / ١٢٠٧
عالم بالرياضيات ، وحل الزيج — خطط الشام ٤ / ٣٦

ابن الساعاتي، بهاء الدين أبوالحسن ، ٦٠٤ / ١٢٠٧
اشتهر بعلم النجوم، وصنع الساعات، وهو شعر مكتسب، مدح الأيوبيين. — وفيات الأعيان ٥ / ١٤٧

شمس الدين بن سلطان ، ٦٠٤ / ١٢٠٧
درس بالمدرسة الظاهرية البرانية. — المدارس ١ / ٣٣٠

العفيف بن الدرجي ، ٦٠٤ / ١٢٠٧
امام الحنفية بجامع دمشق. — ابن كثير ١٣ / ٥٧

صدر الدين عبدالله بن درباس الماردائي الكردي، ٦٠٥ / ١٢٠٨
فقيه، قاضي قضاة مصر. — ابن كثير، ١٣ / ٥٧

أبوسعد عبدالله بن عساكر، ٦٠٦ / ١٢٠٩ له:
فضل بيت المقدس. — كشف الظنون ١ / ١٧٨

الأسعد بن مماتي، ابوالمكارم أسعد بن الخطير، ٦٠٦ / ١٢٠٩
شاعر وله ديوان شعر، كاتب وله عدة مصنفات، منها كتاب سيرة السلطان صلاح الدين ،نظم كتاب كليلة ودمنة، كتاب علم النثر الشيء بالشيء يذكر، الفافوش في حكم قراقوش، اظهار صنعة القيوم في ترتيب بلاد الفيوم — معجم الأدباء ٦ / ١٠٤

ابن الاثير المبارك محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، ٦٠٦ / ١٢٠٩
سمع الحديث وقرأ القرآن،محدث فقيه، شاعر صنف

عددا من الكتب، منها، ديوان رسائل، جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي، شرح مسند الشافعي، النهاية في غريب الحديث، التفسير في اربعة مجلدات، المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار، البديع في شرح الفصول لابن الدهان. ابن كثير ١٣ / ٦٠

وهو عالم في علم الأصول والنحو والحساب. معجم الأدباء ٦ / ١٩٨

مجد الدين بن الأثير أبو السعادات، ٦٠٦ / ١٢٠٩

كان يجمع بين علم القرآن والحديث والفقه واللغة العربية، له عدد من المصنفات، منها جامع الأصول لأحاديث الرسول، النهاية في غريب الحديث والأثر، الشافي في شرح مسند الشافعي. معجم الأدباء ١٧ / ٧٦

الشيخ أبوعمر، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، ٦٠٧ / ١٠٢١٠

محدث ، كان حسن العقيدة ، كتب بخطه مصاحف عدة ، بنى مدرسة في دمشق. ابن كثير ١٣ / ٦٤

القاضي السعيد، هبة الله محمد المعروف بابن سناء الملك، ٦٠٨ / ١٢١١

كان حافظا للقرآن، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كان يعمل في ديوان الانشاء عند القاضي الفاضل، ألف عددا من الكتب منها، كالب روح الحيوان، اختصر فيه كتاب الحيوان للجاحظ ، ديوان الطراز، وهو من أعظم أثاره الأدبية كله موشحات. كشف الظنون ٢ / ٧٣

فصوص الفصول وعقود العقول، جمع فيه مجموعة كتابات أدباء عصره لا سيما القاضي الفاضل، له ديوان شعر. شذرات الذهب ٥ / ٣٥

أبوالبقاء ، محمود بن عثمان بن مكارم النعالي الحنبلي، ٦٠٩ / ١٢١٢

عالم بالحديث والقرآن بنى رباطا بباب يأوى اليه أهل العلم من المقادسة. ابن كثير ١٣ / ٧٠

تاج الأمناء أبوالفضل احمد بن محمد بن الحسن بن عساكر، ٦١٠ / ١٢١٣

محدث ، صنف كتاب الأنس في فضل القدس.. ابن كثير ١٣ / ٧٢

الأشرف الأعز الحلبي ٦١٠ / ١٢١٣
عالم بالتفسير ، له كتاب جنة المناظر في التفسير.
الجزولي ، أبوموسى عيسى بن عبدالعزيز، ٦١٠ / ١٢١٢
قدم من مراكش الى مصر، عالم في النحـــو،
له المقدمة المشهورة البديعة المسماة بالقانون. ابن كثير ١٣ / ٧٣
ظهير الدين أبواسحق ابراهيم بن نصر بن عسكر، ٦١٠ / ١٢١٣
قاضي شافعي في السلامية، فقيه، أديب شاعر. ابن كثير ١٣ / ٧٣
أبوالحسن علي بن أبي بكر الهروي ٦١١ / ١٢١٤
شيد له الملك الظاهر بن صلاح الدين مدرســـة
بحلب، صنف عددا من الكتب معظمها في الجغرافية،
منها، كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات، منـــازل
الأرض ذات الطول والعرض، كتاب الآثـــــــار
والعجائب والأصنام، كتاب في السياسة ص ٣٩
التذكرة الهروية في الحيل الحربية. اعلام الجغرافيين العرب
عبدالسلام بن عبدالوهاب الجيلي، ٦١١ / ١٢١٤
فقيه حنبلي، درس بالرباط الناصري، فوات الوفيات ٢ / ٣٢٤
الحافظ أبوعلي الأنجب، أبوالمكارم المفضل بن ابي الحسن، ٦١١ / ١٢١٤
محدث، فقيه، شاعر، كان مدرسا للفقه المالكـــي
بالاسكندرية. ابن كثير، ١٣ / ٧٧
الشيخ كمال الدين مودود بن الشاغوري، ٦١٢ / ١٢١٥
فقيه شافعي، كان يقرىء الفقه بجامع دمشق، شرح
كتاب التنبيه للطلبة. ابن كثير ٩١٣ / ٧٧
زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد تاج الدين أبواليمن الكندي، ٦١٣ / ١٢١٦
قدم دمشق، درس الاسناد واللغة والنحو، شاعر، ابن كثير ١٢ / ٨٠
له حواش على شرح الوأوأة لديوان المتنبي. كشف الظنون ٢ / ٨١٢
ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبوالحسن، ٦١٢ / ١٢١٦
أديب ، شاعر، صنف كتبا في الأدب والبلاغـــة،
منها، أساس البلاغة وبدائع البداثة ، غرائــــب
التنبيهات على عجائب التشبيهات، أخبار الشجعان
فيه ترجمة من كان يسمى عليا. معجم الأدباء ١٣ /٢٦٤

الدول المنقطعة ، أخبار الدول الاسلامية.
سليمان بن بنين ٦١٣ / ١٢١٦
أديب ، شاعر ، صنف كتبا منهـــا، لبـــاب
الألباب، وهو شرح كتاب سيبويه في النحو
الروض الأريض في أوزان القريـــض،
الأحكام الشوافي في أحكام القوافي، الكتـــاب
الوافي علم القوافي ، اتفاق المباني وافتراق المعاني،
الوابلية في الشيم العادلية (الملك العادل) الشامل
في فضل الكامل، اعراب العمل. معجم الأدباء ١١/ ٢٤٤
أبوالفضل رشوان بن منصور الكردي، ٦١٤ / ١٢١٧
شاعر، أديب ، خدم الملك العادل. ابن كثير ١٣ / ٨٢
العز محمد بن الحافظ بن عبدالغني المقدسي، ٦١٣ / ١٢١٦
درس مسند أحمد في بغداد، وكان يدرس
المسند بجامع دمشق. ابن كثير ١٣ / ٨٣
أبوعلي مزيد بن علي بن مزيد المعروف بابن الخشكري، ٦١٣ / ١٢١٦
شاعر له ديوان. ابن كثير ١٣ / ٨٤
ابن جبير ، أبوالحسن محمد بن احمد ٦١٤ / ١٢١٧
أندلسي قام بثلاث رحلات الى مصر وسوريـــا،
اشتغل بالتدريس في القاهرة، له كتاب الرحلـــة.
الشيخ العماد اخو الحافظ بن سرور المقدسي، ٦١٤ / ١٢١٧
فقيه له كتاب الفروع، وصنف كتاب الأحكـــام
ولم يتمه . ابن كثير ١٣ / ٨٤
عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحرستاني، ٦١٤ / ١٢١٧
قاضي قضاة دمشق، درس بالمدرسة المجاهديـــة
والعزيزية، فقيه، وكان يحفظ الوسيط للغزالي. ابن كثير ١٣ / ٨٥
شهاب الدين فتيان بن علي المعروف بالشاغور، ٦١٥ / ١٢١٨
عالم بالنحو، ومبادىء العلوم، كان معلـــم
صبيـــــان، يعلم الخط، شاعر غزير المعاني. وفيات الأعيان ٢ / ١٤٣
أبوالحسن علي بن خليل الدمشقي، ٦١٥ / ١٢١٨
شاعر، فقيه، نظم الجامع الكبير في الفقه. كشف الظنون ١ / ٧٠

جمال الدين بن شاس المصري، ٦١٦ / ١٢١٩
فقيه مالكي، درس بمدارس القاهرة صنف
كتاب الجواهر الثمينة في مذهب أهل المدينة،
وهو من الكتب الهامة في الفروع. وفيات الأعيان ١ / ٢١٥

أبوالبقاء، عبدالله بن الحسين بن عبدالله، ٦١٦ / ١٢١٩
كان اماما في اللغة فقيها مناظرا عارفا بالأصلين، صنف
كتاب اللباب في النحو، وله حواش على المقامات
ومفصل الزمخشري وديوان المتنبي، اعراب القرآن
العزيز، وفي الحساب. ابن كثير ١٣ / ٩٣

شيخ الشيوخ صدر الدين ابوالحسن محمد بن عماد الدين بن حموية، ٦١٧ م ١٢٢٠
كان فقيها، درس بتربة الشافعي بمصر ، وبمشهد
الحسين، وولي مشيخة سعيد السعداء. ابن كثير ١٣ / ١٠٠

الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ٦١٧ / ١٢٢٠
أديب فاضل ، له تاريخ في عشرة مجلدات
سماه المضمار. سر الحقائق وسير الخلائق. ابن كثير ١٣ / ١٠٠

شهاب الدين محمد بن حلف بن راجح المقدسي، ٦١٨ / ١٢٢١
حنبلي زاهد ، محدث درس الحديث الشريف بالجامع
المظفري، حفظ مقامات الحريري، وله فنون كثيرة ابن كثير ١٣ / ١٠٢

موفق الدين ابوعبدالله عمر بن يوسف بن يحيى المقدسي، ٦١٨ / ١٣٢١
خطيب بيت الآبار، ثم دمشق. ابن كثير ١٣ / ١٠٤

تقي الدين ابوطاهر، اسماعيل بن عبدالله بن الأنباطي، ٦١٨ / ١٢٢١
كان حسن الخط متقنا علوم الحديث. ابن كثير ١٣ / ١٠٤

عبدالسلام بن علي الكناني، ٦١٩ / ١٢٢١
درس الفقه والتفسير في جامع دمياط حسن المحاضرة ١ / ١١١

ابن النبيه، كمال الدين ابوالحسن علي بن محمد، ٦١٩ / ١٢٢١
شاعر حسن التحكم في الوزن، وله ديوان شعر
وموشحات. الكامل ١٢ / ٨٤

موفق الدين عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي. ٦٢٠ / ١٢٢٣
فقيه حنبلي، قرأ القرآن وسمع الحديث، صنف، المغني
في شرح مختصر الخرقي في عشر مجلدات، الشافي في
مجلدين، المقنع للحفظ، الروضة في اصول الفقه،
مناقب الصالحين وأخبارهم، الاستبصار في أنساب

الأنصار، التبيين في أخبار القرشيين، وهو امام في الحساب والنجوم والنحو. ابن كثير ١٣ / ١٠٨

عبدالرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، ٦٢٠ / ١٢٢٣

شيخ الشافعية درس بالمدرسة الحاروجية، والمدرسة التقوية ودار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة، أنكر على الملك المعظم الخمور. ابن كثير ١٣ / ١٠٩

الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي بن القلانسي، ٦٢٠ / ١٢٢٣

سمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ولزم مجالسة الكندي، وانتفع منه. ابن كثير ١٣ / ١٠٠

أبوعلي الحسن بن أبي المحاسن الحلبي، ٦٢٠ / ١٢٢٣

شاعر، جيد الكتابة، كان لديه أدب، وعلم بأخبار الناس والتواريخ والسير والحديث، ضابط وحافظ للقرآن المجيد.. ابن كثير ١٣ / ١١١

أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد أبوالعباس، ٦٢١ / ١٢٢٤

شيخ أديب له نظم ونثر، عرف بالأخبار والسير، وله شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاثة مجلدات . ابن كثير ١٢ / ١١٤

أبومنصور الصاحب، صفي الدين بن شكر، ٦٢٢ / ١٢٢٥

مالكي، حدث بدمشق ومصر، شاعر. فوات الوفيات ٢ / ١٩٣

ابوالحسن علي الملقب بالملك الأفضل، ٦١٢ / ١٢٢٥

كان شاعرا جيد الكتابة. ابن كثير ١٣ / ١١٦

الفخر بن تيمية، محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، ٦٢٢ / ١٢٢٥

عالم بالحديث وعلوم القرآن، جمع تفسيرا للقرآن في عدة مجلدات. ابن كثير ١٣ / ١١٧

البها السنجاري، أبوالسعادات اسعد بن محمد بن موسى، ٦٢٢ / ١٢٢٥

فقيه شافعي ، شاعر جيد وله ديوان. ابن كثير ١٣ / ١١٩

عثمان بن عيسى، بن درباس بن قسر بن جهم اخو صدر الدين حاكم مصر في الدولة الصلاحية، ٦٢٢ / ١٢٢٥

فقيه، شرح اللمع في أصول الفقه والتنبيه للشيرازي، كما شرح المهذب. ابن كثير ١٣ / ١١٩

ابن يونس ابوالفضل احمد بن الشيخ كمال الدين ابن منعة، ٦٢٢ / ١٢٢٥

فقيه شافعي ، درس بالمدرسة الظاهرية، شرح كتاب التنبيه في الفقه، واختصر احياء علوم الدين للغزالي وفيات الأعيان ١ / ١٠٨

الجمال المصري، يونس بن بدران بن فيروز، ٦٢٣ / ١٢٢٦
كان عالما في الفقه والتفسير وكان يدرسهما في المدرسة
الأمينية والعادلية، ولاه المعظم قاضي قضاة دمشق،

اختصر كتاب الأم للشافعي، وله كتاب في الفرائض. ذيل الروضتين ١٤٨

ابن ظافر الأزدي، علي بن ظافر بن حسين، ٦٢٣ / ١٢٢٦
فقيه برع بالأدب والتاريخ، درس بمالكية مصر،
صنف مصنفات أبرزها، التشبيهات، أخبار
الشجعان، أخبار الملوك السلجوقية، أساس السياسة. فوات الوفيات ٣ / ١٦

مظفر بن ابراهيم الضرير المصري، ٦١٣ / ١٢١٦
أديب، شاعر له كتاب في العروض. معجم الأدباء ١٩ / ١٤٨

أبوالمعالي اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور، ٦٢٤ / ١٢٢٧
فقيه شافعي، أديب شاعر، له نظم ونثر ونوادر
حسنة، كان وزير صاحب حماة. ابن كثير ١٣ / ١٣١

أبوالفتح البنداري، فخر الدين ابراهيم ، ٦٢٤ / ١٢٢٧
وفد من بغداد الى دمشق، نقل الشاهنامة الى العربية،
وله ذيل على تاريخ الشام بروكلمان ١ / ٣٩١

الملك المعظم، عيسى بن العادل، ٦٢٤ / ١٢٢٧
اشتغل بالفقه على مذهب أبي حنيفة، حفظ المفصل
للزمخشري، وكان يمنح من يحفظه ثلاثين دينارا ،
أمر أن يرتب له مسند أحمد، كما أمر بجمع كتاب
في اللغة يجمع صحاح الجوهري، والجمهرة لابـــن
دريد، والتهذيب للأزهري. ابن كثير ١٣ / ١٣١

جمال الدين بن شيث ، ٦٢٥ / ١٢٢٨
صاحب ديوان الانشاء للملك المعظم عيسى حسن
النظم والنثر. فوات الوفيات ٢ / ٣١٢

قاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الحلبي، ٦٢٦ / ١٢٢٩
شاعر وأديب ، شرح المقامات كما شرح كتاب
اللمع لابن جني، والتصريف الملوكي. فوات الوفيات ٣ / ١٩٢

شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، ٦٢٦ /١٢٢٩
اشتغل بالنسخ، شاعر وأديب، صنف، معجـــم
الأدباء، معجم البلدان، أخبار المتنبي، أخبار الشعر،

(معجم الشعراء)، اسرار الحكماء، تحفة الألباء فـي
أخبار الأدباء، المقتضب من جمهرة النسب. معجم الأدباء، المقدمة ١٨
يعقوب بن صقلاب المقدسي ٦٢٦ / ١٢٢٩
قرأ الحكمة على الفيلسوف الانطاكي خطط الشام ٤ / ٣٦
عز الدين الزنجيلي ، ٦٢٦ / ١٢٢٩
محدث ، درس بالمدرسة الأمينية الدارس ١ / ٢٢٦
زين الأمناء الشيخ الصالح أبوالبركات بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ٦٢٧ / ١٢٣٠
محدث، تفرد بالرواية في دار الحديث النورية،
وكان يحمل بمحفة لالقاء درسه عندما أقعد لكبره. الدارس ١ / ١٠١
زين الدين، يحيى بن المعطي بن عبدالنور، ٦٢٨ / ١٢٣١
عالم في النحو، شاعر، درس النحو في جامع دمشق ،
له منظومة نحوية في ١٠٢١ بيتا سماها الدرة الألفية،
شهد الملك الكامل جنازته في مصر. وفيات الأعيان ٢ / ٢٣٥
الملك الأمجد، بهرام شاه بن فرخشاه، ٦٢٨ / ١١٣١
أديب وشاعر ، له ديوان شعر. فوات الوفيات ١ / ٢٢٦
مهذب الدين أبو المعالي الأربلي، ٦٢٨ / ١٢٣١
شاعر حسن، مدح الملك الأشرف موسى. وفيات الأعيان ٣ / ٣١
أبوبكر محمد بن عبدالوهاب بن عبدالله الدمشقي، ٦٢٩ / ١٢٣٢
سمع الحديث، وكان يتولى ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب. ابن كثير ١٣ / ١٤٣
ابن أبي طيء ، يحيى بن حميد ظافر بن النجار بن علي، ٦٣٠ / ١٢٣٢
علم في الحديث والفقه وعلوم القرآن،
صنف ، البستان في مجلس الغلمان، البيان في أسباب
نزول القرآن، تفسير القرآن، غريب القرآن، تفسير الفاتحة،
المجالس الأربعين في مناقب الأئمة الطاهرين،
معادن الذهب في تاريخ حلب. فوات الوفيات ٤ / ٢٦٩
القاضي شرف الدين اسماعيل بن ابراهيم، ٦٣٠ / ١٢٣٣
فقيه حنفي، له مصنفات في الفرائض، درس في
المدرسة الطرخانية، عزله المعظم عن القضاء والتدريس لعدم
اباحته نبيذ التمر. ابن كثير ١٣ / ١٤٧
أبوالمحاسن محمد بن نصر الدين المعروف بابن عنين، ٦٣٠ / ١٢٣٣
شاعر، له كتاب سماه مقراض الأعراض، يشتمل
على ٥٠٠ بيت شعر، قل من سلم من الدماشقة

من شره، وله كتاب التاريخ العزيزي،
العزيز عثمان بن صلاح الدين، استوزره المعظم. ابن كثير ١٣ / ١٤٨
ابن الأثير، عز الدين ابوالحسن الشيباني، ٦٣٠ / ١٢٣٣
امام في الحديث والتاريخ، عرف بأنساب العرب،
له كتاب الكامل في التاريخ، وأسد الغابة في أسماء الصحابة.
أبوالحسن علي بن أبي علي، الشيخ سيف الدين الآمدي، ٦٣١ / ١٢٣٤
فقيه حنبلي ثم شافعي، كان معيدا في المدرسة
الشافعية بالقرافة الصغرى، ثم مدرسا في المدرسة
العزيزية أيام الملك المعظم، ولكن الأشرف عزله،
برع في العقليات وصنف فيها وفي أصول الفقه،
منها، كتاب دقائق الحقائق، كتاب ابتكار الأفكار
في الأصول، كتاب لباب الألباب، كتاب رموز
الكنوز، غاية المرام في علم الكلام، التمويهات في
شرح التنبيهات، غاية الأمل في علم الجدل، منتهى
السالك في رتب المسالك، المبين في معاني ألفاظ
الحكماء والمتكلمين، الترجيحات في الخلاف، منتهى
السول في علم الأصول، منائح القرائح، عقيدة
تسمى خلاصة الابريز، التعليقة الكبيرة. عيون الأنباء ٦٢١
صلاح الدين الأربلي، ٦٣١ / ١٢٣٤
شاعر محظي عند الملكين الكامل والأشرف
ابني الملك العادل ابن الوردي ٢ / ٢٢٦
الشيخ عبدالله الأرمني، ٦٣١ / ١٢٣٤
قرأ القرآن، وحفظ كتاب القدوري على مذهب
أبي حنيفة، اشتغل بالمعاملات والرياضيات. ابن كثير ١٣ / ١٥٤
ابن جبارة، علي ابن اسماعيل، ٦٣١ / ١٢٣٥
شاعر جيد، له كتاب في نقد أشعار ابن سناء
الملك اسماه نظم الدر في نقد الشعر. شوقي ضيف، الأدب العربي ١٢٦
أبوالمحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة، ٦٣٢ / ١٢٣٥
مقرىء فقيه، ولي القضاء في حلب، وهو أديب وشاعر. ابن كثير ١٣ / ١٥٤
ابن الفارض، ابوحفص عمر بن أبي الحسن، ٦٣٢ / ١٢٣٥
شاعر صوفي ، وله ديوان ، وقد اشتهرت له قصيدته
التائية في السلوك على طريقة التصوفة المنسوبين الى الاتحاد. وفيات الأعيان ٢ / ٩٩

بهاء الدين بن شداد، ٦٣٢ / ١٢٣٥
برع في القراءات والتفسير والحديث، ودرسها في المدرسة الصلاحية بالقدس حيث كان شيخها ، من كتبه، الموجز الباهر في الفقه، كتاب في الحديث، النوادر السلطانية والمحاسن السلطانية، فضائل القدس، ملجأ الحكام عند التباس الأحكام. — ذيل الروضتين ١٣٦

ابن دحية، ابوالخطاب ابوعمر عثمان بن دحية، ٦٣٤ / ١٢٣٧
كان عارفاً بالنحو واللغة، ولي دار الحديث الكاملية بعد أخيه، وكان عالما بالحديث. — ابن كثير ١٣ / ١٥٧

القاضي عبدالرحمن التكريتي، ٦٣٤ / ١٢٤٧
كان حاكم الكرك، مدرسا بمدرسة الزبداني،وقاضيا في دمشق، وهو فقيه. — ابن كثير ، ١٣ / ١٦١

شهاب الدين ابومحمد اسماعيل بن علي الشواء ، ٦٢٥ / ١٢٣٨
أديب ، شاعر متقن للعروض والقوافي، وكان يغلب عليه علم اللغة، وله قصيدة فيا يقال بالباء والواو. — وفيات الأعيان ٣ / ٥٣٧ — كشف الظنون ١٣٤٤/٢

محمد بن زيد بن ياسين الخطيب الدولعي و ٦٣٥ / ١٢٣٨
فقيه، كان يدرس بالمدرسة الغزالية في دمشق، كما كان يخطب بها، وقد منعه الملك المعظم من الافتاء لكثرة أخطائه. — ابن كثير ، ١٣ / ١٦١

محمد بن هبة الله جميل، الشيخ أبوالنصر بن الشيرازي، ٦٣٥ / ١٢٢٨
اشتغل في الفقه ودرس في المدرسة الشامية البرانية. — ابن كثير ١٣ / ١٦٢

شمس الدين بن بركان بن هبة الله بن الحسن الدمشقي ، ٦٣٥ / ١٢٣٨
فقيه، قاضي دمشق أيام الملك الأشرف. — ابن كثير ١٣ / ١٦٢

الشيخ شمس الدين بن الحولي، زين الدين عبدالله بن عبدالرحمن، ٦٣٥ / ١٢٣٨
فقيه، قاضي حلب. — ابن كثير ١٣ / ١٦٢

جعفر بن علي بن ابي البركات الهمذاني ، ٦٣٦ / ١٢٣٩
استقدمه الملك الناصر داود الى دمشق ، سمع أهل دمشق عليه رواية الحديث. — ابن كثير ١٣ / ١٦٤

جمال الدين الحصيري، محمود بن احمد ، ٦٣٦ / ١٢٣٩
وفد الى دمشق، وانتهت اليه رئاسة الحنفية بها،

درس كتاب الجامع الكبير في الفقه،
ووضع شرحا له. ابن كثير ١٣ / ١٦٤
الحافظ الكبير زكي الدين أبوعبدالله بن محمد بن يوسف الاشبيلي، ١٤١ / ١٢٣٩
شيخ الحديث بمشهد ابن عروة بدمشق. ابن كثير ١٣ / ١٦٤
القاضي الحوبي شمس الدين احمد بن خليل بن سعادة، ٦٣٦ / ١١٣٩
قاضي القضاة بدمشق، عالم بفنون الأصول والفروع،
كان مدرسا في المدرسة العادلية له مصنفات منها
في العروض. ابن كثير ١٣ / ١٦٤
ضياء الدين نصر الله بن الأثير، ٦٣٧ / ١٢٤٠
فقيه ، كاتب صنف بعض المصنفات منها،
المثل السائر ،ديك الجن والمتني وله ديوان ترسل. وفيات الأعيان ٢ / ١٥٨
محيي الدين بن عربي ، ٦٣٨ / ١٢٤٩
شاعر صوفي وفيلسوف صنف عددا من الكتب،
منها ، الفتوحات المكية (٢٠ جزءا)، مواقع النجوم،
ومطالع أهل النجوم، التدبيرات الالهية والتنزيلات
الموصلية، المبشرات، المدخل الى معرفة الأسماء،
المواعظ الحسنة، الحجب اليقين، الاسرا الى المقام الأسري،
خطبة ترتيب العالم منذ الأزل، القسم، اشارات القرآن الحق،
التجليات ، الجلالة له ديوان شعر، شرح خلع النعلين،
مناقب أهل البيت، تاج الرسائل ومنهاج الوسائل. فوات الوفيات ٢/١
نجم الدين أبوالعباس، احمد بن محمد المقدسي، ٦٣٨ / ١١٤٠
فقيه حنبلي ثم شافعي، درس بالمدرسة الصارمية
والشامية الجوانية، كان بارعا في علم الخلاف ، حفظ الجمع
بين الصحيحين للحميدي. ابن كثير ١٣ / ١٦٧
رشيد الدين الفهري، عمر بن مظفر بن سعيد، ٦٣٨ / ١٢٤٠
شاعر مصري كثير الحفظ. فوات الوفيات ٣ / ١٥٤
المكزون السنجاري، عز الدين إبومحمد، ٦٣٨ / ١٢٤٠
فقيه علوي، له كتاب معرفة الله، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٧٦ .
محمد بن عين الدولة ، ٦٣٩ / ١٢٤١
فقيه ، قاضي قضاة مصر، لم يقبل شهادة

الملك الكامل قائلا له "انت تحكم ولا تشهد".

الكمال بن يونس، موسى بن يونس بن محمد بن منعة، ٦٣٩ / ١٢٤١
فقيه شافعي ، وكان يشتغل في مذهب أبي حنيفة،
ويحل للناس الجامع الكبير، وهو شاعر، واتقن
المنطق والموسيقى والحساب، قرأ عليه أهل الذمة
التوراة والانجيل، وأقرأ كتاب سيبويه، والمفصل،
واتقن التفسير والحديث. ابن الوردي ٢ / ٢٥١

الشمس ابن الخباز، ابوعبداله احمد بن الحسين بن معالي، ٦٣٩ / ١٢٤١
فقيه شافعي ، شاعر جيد، نحوي، اشتغل بالعربية
وحفظ المفصل والايضاح والتكملة والحساب. ابن كثير ١٣ / ١٦٩

الشيخ شمس الدين ابوالفتوح اسعد بن المنجي، ٦٤١ / ١٢٤٢
قدم من حران الى دمشق، فقيه حنبلي، درس بالمدرسة
المسمارية الفقه، وخدم الملك المعظم. ابن كثير ١٣ / ١٧٤

كريمة بنت عبدالوهاب بن علي وتعرف ببنت الحبقيق ٦٤١ / ١٢٤٣
مسندة الشام. خطط الشام ٦ / ٤١

مهذب الدين الحلبي، محمد بن علي، ٦٤٢ / ١٢٤٤
محدث ، شاعر، كان ملما بالعربية وآدابها، له امثال القرآن. فوات الوفيات ٢ / ٢٤٣

شهاب الدين ابراهيم بن عبدالله بن عبدالمنعم المعروف بابن ابي الدم الحموي ، ٦٤٢ / ١٢٤٤
فقيه شافعي، له كتاب التاريخ المظفري ،
وهو تاريخ عام. ابن الوردي ٢ / ٢٥٥

تاج الدين ابو عبدالله بن عمر بن حموية، ٦٤٢ / ١٢٤٤
فقيه ومحدث ، شيخ مشيخة مصر، له كتاب السياسة
الملوكية صنفه للملك الكامل في ثمانية مجلدات. ابن كثير ، ١٣ / ١٧٧

علم الدين قيصر ٦٤٢ / ١٢٤٤
مهندس رياضي خطط الشام ٤ / ٣٨

نجم الدين الحلبي، علي بن يحيى، ٦٤٢ / ١٢٤٤
شاعر كاتب. فوات الوفيات ٣ / ١١٢

موفق الدين أبوالبقاء ، يعيش بن محمد بن علي الحلبي، ٦٤٣ / ١٢٤٥
نحوي ، فقيه، مفت، محدث، درس في المدرسة
الرواحية، وقد صنف بعض المصنفات، منها شرح
المفصل للزمخشري، وشرح تصريف الملوك لابن جني،
وله شرح اللمع بن لابن جني. ابن الوردي ٢ / ٢٥٧

الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان، ٦٤٢ / ١٢٤٥
مفتي الشام ومحدثها، درس بالمدرسة الصلاحية بالقدس،
ثم المدرسة الرواحية والحديث الأشرفية، له تصانيف
وتعاليق حسنة على الوسيط، وشرح صحيح مسلم،
ومناسك الحج ، مقدمة ابن الصلاح في الحديث. وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٢

الحافظ ضياء الدين المقدسي بن الحافظ محمد بن عبدالواحد، ٦٤٣ / ١٢٤٥
سمع الحديث واجازه السلفي وابن بري، محدث، من
مصنفاته، مناقب أصحاب الحديث، النهي عن سب
الصحابة، فضائل الأعمال، فضائل القرآن، فضائل
الشام ثلاثة أجزاء، سير المقادسة ، صفة الجنة والنار،
كتاب المختارة، كتاب الأحكام (لم يتمه). فوات الوفيات ٣ / ٤٢٦

الشيخ علم الدين أبوالحسن السخاوي، علي بن محمد بن عبدالصمد، ٦٤٣ / ١٢٤٥
كان شيخ الاقراء بدمشق ، وكانت له حلقة بجامع دمشق،
وولي مشيخة الاقراء بتربة أم الصالح، شرح قصيدة الشاطبي
حرز الأماني، وله تصانيف وتفاسير كثيرة، منها، المفضل
في شرح المفصل ، وسفر السعادة ، وسفير الافادة وفيه
مشكلات نحوية وأبيات معاني ولغة، جمال القراء وكمال الاقراء . ابن الوردي ٢ / ٢٥٧

عبدالمحسن بن حمود، أبوالفضل امين الدولة بن حمود ، ٦٤٣ / ١٢٤٥
كاتب وشاعر، له ديوان شعر سماه، مفتاح الأفراح في
وصف الراح. فوات الوفيات ٢ / ١٤

الضياء عبدالرحمن الغماري، ٦٤٤ / ١٢٤٦
فقيه مالكي، درس بزاوية المالكية بدمشق. ابن كثير ١٣ / ١٨٤

جمال الدين علي بن القفطي، ٦٤٦ / ١٢٤٨
عالم في القرآن والتفسير والحديث والفقه والنحو
والمنطق والتاريخ، له عدد من المصنفات منها ،
أخبار العلماء بأخبار الحكماء، أنباه الرواة على أنباء
النحاة، المحمدون من الشعراء، الضاد والظاء،
الكلام على الموطأ، تاريخ المغرب ، تاريخ اليمن،
تاريخ السلجوقية. معجم الأدباء ١٥ / ١٨٧

علي بن يحيى جمال الدين ابوالحسن المحرمي، ٦٤٦ / ١٢٤٨
شاعر اديب، صنف كتابا جامعا لفنون كثيرة في
الرياضة والعقل وذم الهوى ، سماه نتائج الأفكار. ابن كثير ١٣ / ١٨٧

محمد بن ناماور فضل الدين خونجي، ٦٤٦ / ١٢٤٨
صنف كشف الأسرار عن غوامض الأفكار. حسن المحاضرة ١ / ٢٥٩

الشيخ ابو عمر بن الحاجب، عثمان بن عمر، ٦٤٦ / ١٢٤٨
فقيه مالكي، برع في علم الفقه، علوم الاصول والفروع، والتفسير، والنحو والعروض، درس في المالكية بجامع دمشق القراءات والعربية، وصنف، مختصر في اصول الفقه، جامع الأمهات في الفقه المالكي، الآمال في العربية، مقدمة في النحو، الكافية في النحو، رسالة في العشر (استخدام كلمة عشرة في الصرف)، نظم المقصد الجليل في علم الخليل، عروض على وزن الشاطبية. وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٩

فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حموية، ٦٤٧ / ١٢٤٩
شاعر. ابن كثير ١٣ / ١٨٨

شهاب الدين محمد المنسي النسوي، ٦٤٧ / ١٢٤٩
شاعر وكاتب، توفي في حلب، له تاريخ جلال الدين بن خوارزم شاه . ابن الوردي ٢ / ٢٦٥؟

ابن سناء الملك، ابوالقاسم هبة الله، ٦٤٨ / ١٢٥٠
برع في علوم القرآن واللغة، وهو شاعر جيد، وله ديوان شعر، وقد صنف كتابا اسمه دار الطراز في عمل الموشحات، والكتاب منشور بدمشق سنة ١٩٤٩ ، كما أن الديوان مطبوع بالهند عام ١٩٥٨ . (جودت الركابي ، الأدب العربي، ٦٤)

عبد الظاهر نشوان المصري، ٦٤٩ / ١٢٥١
شاعر، أديب له شرح على كتاب لأبي طاهر بن خلف الأندلسي. النجوم الزاهرة ٧ / ٢٤

علم الدين بن قيصر بن ابي القاسم بن عبدالغني، ٦٤٩ / ١٢٥١
فقيه حنفي ، كان مقرئا في جوامع مصر والشام ، امام في الرياضيات، قرأ الموسيقى. ابن الوردي ٢ / ٢٧٣

جمال الدين بن مطروح، ٦٥٠ / ١٢٥٢
شاعر رقيق، كاتب مترسل، له شعر في المدح والغزل مدح الملك الصالح أيوب لدى فتحه القدس. وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٩

شمس الدين محمد بن سعد بن عبدالله المقدسي، ٦٥٠ / ١٢٥٢
شاعر، كاتب حسن الخط، سمع الحديث ، خدم الناصر

داود والصالح اسماعيل.	ابن كثير ١٣ / ١٩٥
ابوالفتح نصر الله هبة الله بن عبدالباقي، ٦٥٠ / ١٢٥٢	
خصي عند الملك المعظم والناصر داود ،	
أديب شاعر.	ابن كثير ١٣ / ١٩٦
نجم الدين القمراوي ابوالفضائل ، ٦٥٠ / ١٢٥٢	
فقيه شاعر أديب.	وفيات الأعيان ٢ / ٢٦
منصور بن سرايا الاسكندري، ٦٥١ / ١٢٥٣	
كان مقرئا ومفسرا، شاعر وله ارجوزة في القراءات.	حسن المحاضرة ١ / ٣٣٨
كمال الدين ابوالمكارم بن الزملكاني ، ٦٥١ / ١٢٥٣	
عالم في الفقه وعلوم القرآن، له كتاب التبيان في علم البيان، البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن.	شذرات الذهب ٥ / ٢٥٤
جمال الدين بن النجار المسجود، ٦٥١ / ١٢٥٣	
أديب مترسل، شاعر.	فوات الوفيات ١ / ١٦
أحمد بن يوسف التيفاشي ، ٦٥١ / ١٢٥٣	
أديب ، له سجع الهديل في أخبار النيل.	كشف الظنون ٢ / ٩٧٩
عبدالحميد بن عيسى الخسروشاهي، ٦٥٢ / ١٢٥٤	
فقيه، له مختصر المهذب في الفقه، تتمة الآيات السنيات.	طبقات الشافعية ٥ / ٦٠
الشيخ كمال الدين بن طلحة، ٦٥٢ / ١٢٥٤	
ولي الخطابة بدمشق، وكان عالما.	ابن كثير ١٣ / ١٩٩
الناصر فرج بن عبدالله الحبشي، ٦٥٢ / ١٢٥٤	
كان يروي الحديث بدار الحديث النورية.	ابن كثير ١٣ / ١٩٨
ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم، ٦٥٣ / ١٢٥٥	
شاعر فاضل.	ابن كثير ١٣ / ١٩٩
أبوالعز اسماعيل بن حامد، بن عبدالرحمن الأنصاري القوصي، ٦٥٣ / ١٢٥٥	
درس الحديث في الرحبة، وكان حسن المحاضرة، له معجم عن مشايخه فيه أشياء كثيرة مفيدة.	ابن كثير ١٣ / ١٩٩
الشيخ شمس الدين بن عبدالرحمن المقدسي، ٦٥٤ / ١٢٥٦	
فقيه شافعي، درس بالمدرسة الرواحية،	ابن كثير ١٣ / ٢٠٨
ابن أبي الاصبع المصري، زكي الدين، ٦٥٤ / ١٢٥٦	
فقيه، شاعر، من كتبه، بديع القرآن ، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، بيان البرهان في اعجاز القرآن، صحاح المدائح، الشافية في القافية.	

تحرير التحبير في علم البديع. حسن المحاضرة ١ / ٣٧١

يوسف بن الأمير حسام الدين، سبط بن الجوزي، ٦٥٤ / ١٢٥٦
درس بالمدرسة العزية الجوانية، المدرسة الشبلية،
وكان له مجلس كل يوم سبت، وله مرآة الزمان،
وهو كتاب تاريخ الزمان في تذكرة تاريخ الأعيان،
وتذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة. ابن كثير ١٣ / ٢٠٧

المشد الشاعر الأمير سيف الدين، علي بن عمر بن قزل، ٦٥٥ / ١٢٥٦
شاعر له ديوان مشهور. ابن الوردي ٢ / ٢٨٨

القاضي تاج الدين ابوعبدالله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين المصري، ٦٥٥ / ١٢٥٧
درس بالشامية، وله شعر جيد. ابن كثير ١٣ / ٢١١

المرسي السلمي، محمد بن عبدالله بن محمد، ٦٥٥ / ١٢٥٧
قدم الى دمشق من الأندلس، عالم بالفقه وعلوم
القرآن، فسر القرآن بكتاب أسماه ري الظمآن في
تفسر القرآن، وهو من ٢٠ جزءا، وله تفسير
من عشر أجزاء، وتفسير ثالث من ثلاثة أجزاء. شذرات الذهب، ٥ / ٢٦٩

البهاء زهير بن محمد بن علي المصري، ٦٥٦ / ١٢٥٨
شاعر له ديوان مشهور، خطه حسن. ابن كثير ١٣ / ٢٢٥

الحافظ زكي الدين المنذري ، عبدالعظيم بن عبدالقوي، ٦٥٦ / ١٢٥٨
شافعي ، شيخ دار الحديث الكاملية، اختصر صحيح
مسلم، وسنن أبي داود، له يد طولى في اللغة والفقه،
والتاريخ. ابن كثير ١٣ / ٢٢٥

النور أبوبكر بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحيم بن رستم، ٦٥٦ / ١٢٥٨
شاعر، غلب عليه المجون ، كان نديم الملك الناصر،
جمع هزليات شعره في كتاب سماه ، سلافة الزرجون في
الخلاعة والمجون. فوات الوفيات ٣ / ٢٧١

القرطبي ، أحمد بن عمر بن ابراهيم ، ٦٥٦ / ١٢٥٨
فقيه مالكي، محدث، مدرس في الاسكندرية ،
اختصر صحيح مسلم وسنن أبي داود. ابن كثير ١٣ / ٢٢٦

الكمال اسحق بن احمد بن عثمان، ٦٥٦ / ١٢٥٨
شيخ الشافعية بدمشق، مدرس بالمدرسة الرواحية. ابن كثير ١٣ / ٢٢٦

العماد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كامل، ٦٥٦ / ١٣٥٨
درس بالغزالية، وكان خطيب الجامع الأموي. ابن كثير ١٢ / ٢٢٦

أبوعبدالله محمد بن شعلة، ٦٥٦ / ١٢٥٨
عالم بالقراءات، شرح قصيدة حرز الأماني في القراءات. الحياة العقلية ١٠٢
ابن الحلاوي، شرف الدين أبوالطيب، ٦٥٦ / ١٢٥٨
شاعر متكسب، مدح الملك الناصر داود. فوات الوفيات ١ / ٨٧
أبوالفضل، بهاء الدين زهير، ٦٥٦ / ١٢٥٨
ناثر شاعر رقيق، له ديوان، ناثر مترسل. وفيات الأعيان ٦ / ٣٤٥
أبوعبدالله الفاسي، ٦٥٦ / ١٢٥٨
كان عالما في العربية والقراءات، وله شرح على
الشاطبية، مات في حلب. ابن كثير ١٣ / ٢٣٠
أحمد بن يحيى صدر الدين ابوالعباس بن سني الدولة، ٦٥٨ / ١٢٦٠
قاضي قضاة دمشق، شافعي، حدث ودرس في عدة
مدارس وأفتى، وهو شاعر وله ديوان. ابن كثير ١٣ / ٢٣٧
عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن بن طاهر، ٦٥٨ / ١٢٦١
من بيت العلم والرئاسة بحلب، درس في المدرسة
الظاهرية بحلب. ابن كثير ١٢ / ٢٣٧
الشيخ محمد اليونيني، محمد بن أحمد، ٦٥٨ / ١٢٦٠
فقيه حنبلي، برع في علم الحديث، صنف شيئا
في المعراج، الواضح الجلي في الرد على الحنبلي. ابن كثير ١١ / ٢٤١
كمال الدين بن العليم، ٦٦٠ / ١٢٦٢
سمع الحديث وحدث وتفقه وأفتى ودرس وصنف،
له شعر حسن، ومن مصنفاته، بغية الطلب في تاريخ حلب،
الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة، الدراري
في ذكر الكراري. معجم الأدباء ١٦ / ٦

ابن أبي عصرون ت ٥٨٥ / ١١٨٩، وله تصانيف كثيرة، أشهرها صفوة المذهب في سبع مجلدات، وكتاب الانتصار في ٤ مجلدات، وكتاب المرشد في مجلدين، وكتاب الذريعة في معرفة الشريعة (ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣ / ٥٣)

الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، ٦٦٠ / ١٢٦٢
فقيه شافعي، عالم بالتفسير، محدث، درس في عدة
مدارس بالشام ومصر، من مصنفاته، كتاب القواعد
الكبرى، الغاية في اختصار النهاية، وكلاهما في الفقه،
أما في التفسير فقد وضع، الايجاز في بعض أنواع المجاز،
بحار القرآن، وله مختصر صحيح مسلم،

وكتاب الصلاة، والفتاوي الموصلية. ابن كثير ١٣ / ٢٤٩

ابن زيلاق الشاعر محي الدين أبوالمحاسن، ٦٦٠ / ١٢٦٢
شاعر مكثر، في شعره عدد من المعاني الحسان
وله موشحات. فوات الوفيات ٢ / ٤٠١

حسين بن محمد بن أحمد بن عز الدين الأربلي، ٦٦٠ / ١٢٦٢
أتقن علوم الفلسفة، وتشبه بأبي العلاء المعري ،
وهو شيعي . ابن كثير ، ١١ / ٢٥٠

القاسم بن أحمد المرسي ٦٦١ / ١٢٦٣
شيخ القراء والمتكلمين خطط الشام ٣ / ٤١

عبدالعزيز بن محمد الأنصاري، ٦٦٢ / ١٢٦٤
شاعر مطبوع، وله ديوان ، وصنف ، نظرة العشوق
الى وجه المعشوق، تذكار الواحد بأخبار الوالد. فوات الوفيات ٣ / ٣

تاج الدين بن بنت الأعز، ٦٦٥ / ١٢٦٧
كان فقيها وقاضيا للمذاهب الأربعة. حسن المحاضرة ١ / ٩٤

القسطلاني، تاج الدين أبوالحسن علي بن احمد ، ٦٦٥ / ١٢٦١
محدث وفقيه ، تولى مشيخة الكاملية بمصر. النجوم الزاهرة ٧ / ١٢٣

أبوشامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل، ٦٦٥ / ١٢٦٧
فقيه محدث مؤرخ ، صنف عددا من الكتب منها،
كتاب الروضتين، الذيل على الروضتين، أخبار مكة
والمدينة وبيت المقدس. ذيل الروضتين ٤٠

عفيف الدين بن عدلان بن حماد بن علي، ٦٦٦ / ١٢٦٨
شاعر، عالم بعلوم الدين، له عقلة المجتاز في حل
الالغاز، وقد درس بجامع الصالح بالقدس. فوات الوفيات ٣ / ٤٣

عز الدين ابن أبي الحديد ت ٦٥٥ / ١٢٥٧ ،
شاعر وله الفلك الدائر على المثل السائر، ونظم
(فصيح. ثعلبه في يوم وليله، ونهج البلاغه في
عشرين مجلدا). فوات الوفيات ٢ / ٢٥٩

١ - علوم الدين

لقيت العلوم الدينية اهتمام هذا العصر لما وجده العلماء والفقهاء من تشجيع السلاطين والأمراء، فلا غرابة أن رأينا حركة نشيطة تناولت إحياء علوم الدين شملت القرآن الكريم والحديث والفقه.

* **القرآن الكريم :**

حظي القرآن الكريم بالعناية والدرس والبحث، تناول تفسيره، وقراءاته، ومجازه، وأمثاله ومفرداته، وغير ذلك.وقد تميز هذا العصر بأن البحث لم يكن تقليدا للمفسرين السابقين، وانما كان يغايره قليلا أو كثيرا تبعا للمذاهب الدينية، وللمفسرين أنفسهم، وقد صنف محمد بن ظفر الحموي المتوفي سنة ٥٦٥ / ١١٦٩ ينبوع الحياة في تفسير القرآن الكريم(١) والتفسير الكبير. وصنف فخر الدين ابوعبدالله الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ / ١٢١٠(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) وغريب القرآن، درة التنزيل وغرة التأويل، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز.

وصنف مجد الدين بن الأثير المتوفي سنة ٦٠٦ / ١٢١٠(٣) كتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن العظيم، وقد أخذه عن الثعالبي والزمخشري، وقد وفد الى الشام ابوالعباس احمد بن خليل بن سعادة بن جعفر المتوفي سنة ٦٣٧ / ١٢٤٠(٤)، وصنف تتمة تفسير القرآن لابن خطيب الري، وكتابا في علم الأصول. وصنف يوسف بن الأمير حسام الدين المعروف بسبط بن الجوزي المتوفي سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦ معادن الابريز في تسعة وعشرين مجلدا(٥)، وألف عز الدين بن عبدالسلام المتوفي سنة ٦٦٠ / ١٢٥٢ التفسير في المجاز في القرآن(٦) وألف محمد بن أحمد بن بكر القرطبي المتوفي سنة ٦٧١ / ١٢٧٣ الذي استقر في المنيا في مصر (الجامع لأحكام القرآن) ويعد هذا التفسير من التفاسير الجليلة، اذ أثبت فيه أحكام القرآن، وذكر فيه القراءات والاعراب والناسخ المنسوخ(٧).

ووضع أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ / ١٢٠٠ كتاب فنون الأفنان في علوم القرآن(٨). اعتنى المسلمون بعلم القراءات، فقد نظم

القاسم الشاطبي من الأندلس ثلاث قصائد في القراءات، أهمها، حرز الأماني، والرائية، تشتمل الأولى ارشادات تفيد من يعمل بالقراءات(٩)، وقد نالت عناية المدرسين. وذكر ابن خلكان، ان صاحب الشاطبية أبدع فيها جل ابداع وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات الا ويقدم على حفظها ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة(١٠)، ووصفها السبكي، بأنها القصيدة المباركة المشهورة(١١).

تناول علماء مصر والشام قصائد الشاطبي بالتقليد والشرح، فقد وضع ابن المعطي النحوي المتوفي سنة ٦٣٨ / ١٢٣١ ارجوزة في القراءات السبع(١٢)، وكان يعاصره عبدالرحمن بن اسماعيل الاسكندري المتوفي سنة ٦٣٩ / ١٢٤٢ ، صاحب كتاب الاعلان، واشتهر أبواليمن الكندي زيد بن الحسن المتوفي سنة ٦١٣ / ١٢١٦ بالقراءات العشر(١٣).

وشرح عبدالظاهر بن نشوان المصري المتوفي سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ كتاب العنوان لأبي طاهر بن خلف الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٥ / ١٠٦١ ، وشرح علم الدين السخاوي المتوفي سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ القصيدة الشاطبية في القراءات، في مجلدين، كما وضع كتاب جمال القراء وكمال الاقراء، يشتمل على عدد من القراءات(١٤). ووضع منصور بن سريا المقرىء المصري الاسكندري المتوفي سنة ٦٥١ / ١٢٥٢ أرجوزة في القراءات، كما وضع عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية المتوفي سنة ٦٥٢ / ١٢٥٤ أرجوزة في علم القراءات، ونظم مالك النحوي قصيدة دالية موجزة في القراءات، كما صنف محمد بن اسرائيل الدمشقي المتوفي سنة ٦٧١ / ١٢٧٣ كتاب الاستبصار والمعنى.

* **الحديث الشريف :**

اهتم الأيوبيون بالحديث الشريف، فقد ذكر ابن شداد أن صلاح الدين كان يرق قلبه وتدمع عينه اذا سمع حديثا فيه عبرة وعظة(١٥)، كما كان معظم القادة الأيوبيين يحبون استماع الحديث الشريف. ذكر المحدثون في هذا العصر، ومنهم الحافظ أبوالقاسم بن عساكر الدمشقي المتوفي سنة ٥٧١ / ١١٧٦٠ وأبوشامة انه حضر

مجلس صلاح الدين لما تملك دمشق، فرأى فيه من اللغط وسوء الأدب من الجلوس ما لاحد عليه، فشرع يحدث صلاح الدين، فلم يتمكن من القول لكثرة المتحدثين، وقلة استماعهم، فقام، وبقي مدة يمتنع فيها عن حضور المجلس الصلاحي، وتكرر السلطان في طلبه، فحضر، وقال لصلاح الدين (نزهت عن مجلسك،كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين، تعلونا الهيبة والوقار، فاذا تكلم أنصتنا واذا تكلمنا استمع لنا)(١٦).

اهتم العلماء بجمع مختارات في الحديث، خاصة الأربعينات(١٧)، وقد صنفوا في هذا الباب مالا يحصى من المصنفات، واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد، واثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق، ومنهم من قصد اخراج ما صح سنده، وسلم من الطعن، ومنهم من قصد ما علا اسناده، وسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الأربعين.

لقد جمع الحافظ أبوالقاسم ابن عساكر عدة أربعينات، منها الأربعون الطوال، والأربعون في الابدال، والأربعون في الاجتهاد وفي اقامة الجهاد، والأربعون البلدانية... وجمع أبوطاهر السلفي المتوفي سنة ٥٧٦ / ١١٨١ أربعين حديثا عن أربعين شيخا من أربعين مدينة، في حين جمع عبداللطيف البغدادي المتوفي سنة ٦٢٩ / ١٢٣١ أربعين حديثا في الطب... وقد اشتهر الامام محيي الدين يحيى بن شرف النوري المتوفي سنة ٦٧٦ / ١٢٧٨ بوضعه الأربعين النووية.

كما ظهرت الثمانيات في الحديث منها ثمانيات النجيب عبداللطيف بن عبدالمنعم بن علي بن نصر الحراني الحنبلي، ت ٦٧٢ / ١٢٧٤(١٨)، وكان متولي مشيخة دار الحديث الكاملية، وقد كان الحافظ تقي الدين الأنماطي المتوفي سنة ٦١٩ / ١٢٢٢ محدثا مشهورا. وقد خلف لنا المحدثون آنذاك مجموعة من الكتب، فقد صنف مجد الدين أبوالسعادات ابن الأثير المتوفي سنة ٦٠٦ / ١٢١٠ جامع الأصول لأحاديث الرسول(١٩)، جمع فيه بين الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم، ورتبه على

حروف المعجم، كما صنف في الحديث النهاية في غريب الحديث والأثر(٢٠)، وهو أيضا على حروف المعجم.

صنف زيد بن الحسن بن زين الكندي أبواليمن سنة ٦١٣ / ١٢١٦ الاسناد العالي في الحديث(٢١)، واشتهر أبوالحسن علي بن محمد الجرزي ت ٦٣٠ / ١٢٣٣ بأنه كان اماما في الحديث بالاضافة الى أنه كان خبيرا بالأنساب وأخبارهم، وصنف أبوالخطاب عمر بن الحسن الحافظ بن دحية ت ٦٤٣ / ١٢٤٥ كتابا في الحديث (كتاب التنوير في مولد السراج المنير) وقد وضع أبوشامة شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى(٢٢)، وصنف أبوشجاع محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدّهان كتاب غريب الحديث في ستة عشر مجلدا(٢٣)، وقام الطبيب رفيع الدين أبوحامد عبدالعزيز الجيلي المتوفي سنة ٦٤١ / ١٢٤٣ بوضع كتاب جمع ما في الأسانيد من حديث صلى الله عليه وسلم، وصنف مهذب الدين بن الحاجب كتاب في غريب الحديث.

وانصرفت بعض النساء الى رواية الحديث، فهذه مسندة الشام أم الفضيل كريمة بنت عبدالوهاب بن علي القرشية ت ٦٤١ / ١٢٤٤، وزينب بنت علي بن احمد بن فضل تشتهران برواية الحديث.

• الفقه :

أسهم علماء هذا العصر بنصيب في تأليف كتب الفقه على المذاهب الأربعة (الشافعي والحنفي، والحنبلي، والمالكي) واختصت كل جماعة منهم بالتأليف في أحد هذه المذاهب، كما ساروا شوطا في شرح الأصول والمتون القديمة وفروعها، ثم وقفوا عند الشروح نفسها فوضعوها، وذيلوها با فات الشراح من مسائل وتعليقات اقتضاها المذهب.

قام علماء مصر والشام بمجهود مشكور في الفقه، وكان يعتمد الحكام على ما يصدرونه من أحكام، ولم تقف عند حد التأليف في الفقه، بل وضعوا كتبا في الفرائض والصلاة والصوم. وقد أمر الملك المعظم عيسى أن يجردوا له المذهب الحنفي، فبذلوا جهودا كبيرة في ذلك، ووضعوا كتاب (التذكرة المعظمية) في عشر

مجلدات، وقد ألف المعظم نفسه المتوفي سنة ٦٢٤ / ١٢٢٧ كتاب (السهم المصيب في الرد على الخطيب)(٢٤)، والخطيب يقصد به الخطيب البغدادي، وقد اشتهر كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم المتوفي سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢، رئيس أصحاب المذهب الحنفي بسعة علمه بالفقه.

وضع جمال الدين بن شاس ت ٦١٦ / ١٢١٩ كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة في المذهب المالكي(٢٥)، وألف القرافي ت سنة ٦٣٨ / ١٢٤١ في الفقه المالكي كتابيه الذخيرة والقواعد. وفي الفقه الحنبلي اشتهر العالم موفق الدين بن قدامة المقدسي المتوفي سنة ٦١٠ / ١٢١٣، حيث ألف عددا من الكتب، منها المغني، المقنع وقد تناولها العلماء بالشرح فيما بعد، كما وضع الحافظ بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الحنبلي المتوفي سنة ٦٠٠ / ١٢٠٣ كتاب الكمال في معرفة الرجال(٢٦).

اشتهر في الفقه الشافعي قطب الدين النيسابوري المتوفي سنة ٦٧٨ / ١١٨٢، فصنف عقيدة الشافعية لصلاح الدين ليقرأها أولاده الصغار. وقام الامام يونس بن بدران بن فيروز المتوفي سنة ٦٢٣ / ١٢٢٦ باختصار كتاب الأم للشافعي، وشرح ضياء الدين أخو القاضي صدر الدين عبدالملك المتوفي سنة ٦٢٢ / ١٢٢٥ اللمع في أصول الفقه والتنبيه للشيرزي، ووصف عبدالحميد بن عيسى بن يونس بن خليل الخسروشاهي ت ٦٥٢ / ١٢٥٤ مختصر المهذب في الفقه، أما الشيخ عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء فوضع قواعد الاسلام والقواعد الصغرى، والفتاوي(٢٧)، وصنف شرف الدين بن نبعة أبوالفضل أحمد ابن الشيخ كمال الدين أبوالفتح المتوفي سنة ٦٢٢ / ١٢٢٥ كتاب التنبيه في الفقه.

٢ – علوم اللغة العربية

اهتم علماء العصر بدراسة اللغة العربية كوسيلة من وسائل دراسة القرآن الكريم الذي أنزله سبحانه وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم، فتناولوا التأليف في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض، واتجه عدد من الكتاب الى كتابة الملخصات

والمعاجم لما سببته الحروب الصليبية من ضياع الكتب (جورجي زيدان، تاريخ الأدب العربي، ١١/٣).

* **اللغة ومعاجمها :**

صنف عدد من اللغويين في هذا العصر الكتب، ومنهم عبدالله بن بري ت ٥٨٢ / ١٢٨٧(٢٨)، فقد وضع التنبيه والايضاح في ستة مجلدات، وهو زيادات على قاموس الجوهري، ووضع حجة الدين بن مظفر الصقلي اللغوي النحوي ت ٦٥٦ / ١٢٥٨ ، عددا من المصنفات منها، التنقيب على ما في المقامات من الغريب(٢٩)، وملح اللغة، الاشتراك اللغوي.. اتخذ ياقوت الرومي الحموي حلب موطنا له حيث عكف على وضع معجم الأدباء، وانتهى منه سنة ٦٢٥ / ١٢٢٨، وقدمه للوزير جمال الدين بن علي بن عبدالوهاب الشيباني، وقد رتبه حسب الحروف الالقبائية، وصنف النصر بن المظفر ت ٦٣٠ / ١٢٣٣ رسالة في الضاد والظاء(٣٠)، كما وضع أبوالحسن بن علي بن يوسف القفطي سنة ٦٤٦ / ١٢٤٨ كتاب الضاد والظاء(٣١)، وضع ابوالحسن شبث بن ابراهيم القفطي المتوفي سنة ٦٠٠ / ١٢٠٣ قصيدة اللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة في علم اللغة، وصنف أبومحمد اسماعيل بن علي الشواء الحلبي المتوفي سنة ٦٣٥ / ١٢٣٧ قصيدة فيما يقال بالياء والواو.

* **النحو والصرف :**

ظهر عدد من النحاة في هذا العصر، منهم عبدالله الطليطلي الذي كان في النحو سيبويه زمانه(٣٢)، والشيخ موفق الدين بن يعيش بن علي الحلبي وصنف شرح المفصل للزمخشري، والشيخ علم الدين بن علي السخاوي المتوفي سنة ٦٤٢ / ١٢٤٣ وكان عالما باللغة والنحو والأدب، وصنف شرح المفصل للزمخشري في أربعة مجلدات، وشرح أحاجي الزمخشري النحوية. وكان كمال الدين بن الأنباري اماما في اللغة والنحو ت ٥٧٧ / ١١٨١ وصنف أسرار العربية، ونزهة الالباء في طبقات الأدباء (النحاة)، الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الاغراب في جدل الاعراب، ميزان العربية، حلبة العربية، عقود الاعراب، الوجيز

في التصريف، الزهرة في اللغة، حلبة العقود في الفرق بين المقصور والمحدود، زينة الفضلاء بين الضاد والظاء، البلاغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، الألفاظ الجارية على لسان الجارية، الفائق في أسماء المسائق. وصنف أبومحمد عبدالله بن أبي الوحش بري بن بري النحوي ت ٥٨٢ م ١١٨٧ في اللغة والنحو حواش على كتاب الصحاح للجوهري، وشرح شواهد الايضاح، واللباب في الرد على أبي محمد الخشاب، وصنف سليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدقيقي المصري ت سنة ٦١٣ / ١٢١٦ كتاب الألباب في شرح كتاب سيبويه في النحو، واتفاق المباني وافتراق المعاني (لغة).

ومن النحويين المشهورين يحيى بن عبدالمعطي بن عبدالنور الزواوي المتوفي سنة ٦٢٨ / ١٢٣١، ومن مصنفاته الفية ابن المعطي، وهي منظومة نحوية في ١٠٢١ بيتا، وله كتاب الفصول الخمسين، وهو موجز في النحو، وكتب عنه أبوشامة بعد أن شيع جنازته، (كان آية في حفظ كلام النحويين(٣٣)، وصنف عثمان بن عمر بن أبي بكر القافية، وقرأ عليه النحو صاحب الكرك الملك الناصر داود، وشرح مفصل الزمخشري في كتاب سماه الايضاح، وصنف عبداللطيف البغدادي ت ٦٢٩ / ١٢٣١(٣٤) كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة.

وصنف كمال الدين ابوالمكارم عبدالواحد بن الخطيب بن خلف الزملكاني ت ٦٥١ / ١٢٥٣ المفيد في اعرب القرآن المجيد. وألف جمال الدين بن يوسف القفطي ت ٦٤٦ / ١٢٤٨ طبقات النحاة سماه، أنباه الرواة على أنباه النحاة. وصنف جمال الدين أبوعمر عثمان بن عمر المتوفي سنة ٦٤٦ / ١٢٤٨ الكافية في النحو(٣٥) وهو دستور هذا الفن، اذ يعرف بها أكثر مسائله.

وله الشافي في الصرف، وكثرت الشروح والحواشي عليها كثرة مفرطة، وتعلق العلماء بتدريسها للطلاب في كل مكان، وكان ابن الحاجب ينزع في كتاباته النحوية منزع المدرسة البغدادية، فهو ينتخب من آراء المدرستين البصرية والكوفية ويضيف اليها آراء اجتهادية تدل على حسن بصيرته، وحدة ذكائه حتى اعتبره ابن خلكان أهم النحاة في عصره دون منازع. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣ / ٢٤٨) وقدم

محمد بن عبدالله بن مالك المتوفي سنة ٦٧٢ / ١٢٧١ من الأندلس، وأقام في دمشق، ووضع عددا من المؤلفات منها الكافية والشافية(٣٥)، وهي ارجوزة نحوية في ثلاثة الاف بيت، والخلاصة أو الألفية، وهي أرجوزة في ألف بيت تجمع النحو والصرف، وكتاب الفوائد، كما وضع كتاب عدة اللافظ وعمدة الحافظ، وهو مقدمة في النحو(٦).

• **البلاغة والعروض :**

أصبح فن البيان المحور الذي يدور حوله التأليف في البلاغة في هذا العصر، وقد اشتهر عدد ممن ألف في أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز، فكان ابن مالك ممن كتب في هذا الميدان فوضع كتابه (المصباح في البلاغة)، كما وضع عبدالله بن محمد الخزرجي الاسكندري المتوفي سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ القصيدة الرامزة، وصنف موفق الدين أبوالعز مظفر بن ابراهيم الضرير المصري المتوفي سنة ٦٢٣ / ١٢٢٦ الشاعر الأديب، كتابا في العروض.

وكان سراج الدين أبوبكر يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفي سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ بارعا في اللغة والشعر، في المعاني والبيان خاصة، وصنف كتاب المفتاح في النحو والتصريف والبيان، ووضع عبداللطيف البغدادي المتوفي سنة ٦٣٩ / ١٢٤١ كتاب قوانين البلاغة، مقالة في اللغات وكيفية تولدها، كتاب الانصاف بين ابن بري وابن الخشاب على المقامات للحريري.

لم يقف علماء هذا العصر عند الحدود التي رسمها الخليل بن أحمد في أوزان الشعر، ونظموا الموشحات، وكانت معظم الأشعار سائرة على المنهج القديم، ويركز معظمها على الجهاد ووصف المعارك(٣٦) ومدح القادة المنتصرين، واشتهر سليمان بن خلف دقيقي المصري ت سنة ٦١٣ / ١٢١٦ في كثرة ما ألف في العروض، اذ وضع الروض الأريض في أوزان القريض، وعني بدراسة القوافي(٣٧)، فألف الأحكام الشوافي في أحكام القوافي، والكتاب الوافي في علم القوافي، بالاضافة الى اتفاق المباني وافتراق المعاني، (لغة)، والاعجاز والايجاز في المعاني، في فضائل الشعر.

وصنف علي بن ظافر الأزدي المصري ت ٦٢٣ / ١٢٢٦ كتابا في البلاغة

(غرائب التنبيهات على عجائب)، وقدمه للملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وهو منشور في القاهرة، (ياقوت، معجم الأدباء، ٢٦٤/١٣) ،والكتاب يجمع طرق التشبيه وبخاصة تلك التي دارت على ألسنة الشعراء في مصر والشام والعراق، ويحتوي على ستة أبواب، أولها في تشبيه الأجرام العلوية، والثاني في تشبيه المياه والأنهار، والثالث في تشبيه الأنوار والأثمار والنبات، والرابع في الخمريات والخامس في التشبيه الواقع في الغزل، أما السادس ففي تشبيهات مختلفة.

وأصدر كمال الدين الزملكاني المتوفي سنة ٦٥١ / ١٢٥٣(٣٨) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن، ركز فيه على المعاني والبديع والبيان، واشتهر في البلاغة ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ / ١٢٣٩ في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وابن أبي الحديد ت سنة ٦٥٥ / ١٢٥٧ في شرح نهج البلاغة، وفي كتاب الفلك الداثر على المثل السائر، وقد خالف فيه ابن الأثير في عدد من الآراء.

* الأدب

تطور الأدب وكثرت المختارات الأدبية شعرا ونثرا، وغلبت على الشعر السهولة والرقة في تناول الأغراض القريبة من النفس في شيء من الصناعة والتأنق، والعناية بأنواع البديع. وكان الشعراء يملكون ناصية الشعر، وكان شعر الجهاد صادق العاطفة، وتميز بالجدية، وكان الشعراء يحاولون الارتفاع بشعرهم، لغة وأسلوبا لتحقيق الغاية، والرغبة في طرد الصليبيين، وكانوا يعبرون عن أماني الشعب وتطلعاته في استعادة البلاد.

وعندما تفاقم الفقر وشاع بسبب الهجمة الصليبية، وسيادة النظام الاقطاعي، أصبح الشعر وسيلة هامة من وسائل الحصول على الرزق، فامتلأ بالتملق والتزلف وطلب العطاء، ونجد أمثلة لذلك في شعر ابن عنين حيثما مدح الملك الأشرف موسى بن الملك العادل(٣٩).

أأخاف من فقر ووجود الأشرف   السلطان في الآفاق قد ملأ الملا
الـواهب الأمـصـار محتقرا لهـا   ان غيره وهـب الهجـان البزلا

ما زار مغنـــاه فقير سـائـل　　　فيعـود حتى يستماح ويسالا

كما كان لشعر الجهاد أثر بارز في احداث الحروب، فقد نشط الشعراء في بعث الحمية واستنهاض همم الجهاد، كما نشط الشعراء في تسجيل الوقائع، ووصف أحداثها ومدح القادة الذين أبدوا بسالة ومهارة في الحروب، كما كانت موضوعات الشعر، المدح والهجاء والرثاء والحكم والزهد(٤٠).

وفق الشعراء في اختيار ألفاظ قصائدهم التي تدل على المعنى الذي يريدون التعبير عنه، فهناك انسجام كامل بين اللفظ والمعنى، وبين المعنى والجرس الموسيقي الذي يحدثه، متناغما مع ألفاظ العبارة. غلبت على الشعر في هذه الفترة السهولة، والرقة في تناول أغراض الشعر، وكان يمثل هذا الاتجاه:

ست النعم أم علي تقية بنت أبي الفرج غيث بنت علي بن عبدالسلام بن جعفر الأرمنازي الصورية المتوفية عام ٥٧٩ / ١١٨٣(٤١)، وهي أديبة فاضلة، لها شعر جيد، وفنون شعرها الفخر والحماسة والمديح والهجاء والخمر والأدب، قالت في الفخر:

تعيب على الانسان اظهار علمه　　　ابا الجد هذا منك ام انت تمزح

أروني فـتاة في زمـاني تـفوقني　　　وتعلو على علمي وتهجو وتمدح

وسعيد بن عبدالله العزيز المعروف بسعادة الحمصي الأعمى ت ٥٧٢ / ١١٧٦(٤٢) مدح صلاح الدين الأيوبي بقصيدة منها:

تلك السيوف المرهفات بكفه　　　أمضى على الأيام من حدثانها

واذا الجحافل أثرن سحـائـبا　　　لمعت بروق النصر في أحضانها

أما شمس الدين نشىء الدولة أحمد بن عبدالرحمن بن علي بن المبارك بن نفادة الدمشقي ت سنة ٦٠١ / ١٢٠٤ ، فكان يحب التلاعب بالقوافي، بحيث يجعل للبيت الواحد قافيتين ومغرقا بالجناس، قال يصف ثمر المشمش على أغصانه:

نارية اللون في الجنان بدت　　　يا عجبا للجنان في اللهـــب

تلوح كالتبر في الزبرجد من　　　فوق عروق المرجان في القضب

حـج لميقاتها البريـة مـن　　　مصر الى جلق الى حلـــب

وكان نجم الدين ابوالفتح ابن المجاور المتوفي سنة ٦٠١ / ١٢٠٥(٤٣) وزير الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين شاعرا صدعا في الغوص على المعاني، ومن شعره في المدح:

صديق قال لي لما رآني   وقد صليت زهدا ثم صمت
على يد أي شيخ تبت قل لي   فقلت، على يد الافلاس تبت

وظهر في تلك الفترة بعض الشعراء الذين كانوا يطوفون البلاد متكسبين بشعرهم، فهذا ابوالعباس احمد بن عبدالغني القطرسي المتوفي سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ يمدح والي دمياط الأمير شجاع الدين:

قل للحبيب : أطلت صدك   وجعلت قتلي فيك وكدك
وأنا عليك كما عهدت   وأن نقضت علي عهدك
أحرقت، يا ثغرا لحبيب   حشاي لما ذقت بردك

ولحسن كمال الدين ابوالحسن علي بن محمد بن يوسف بن النبيه المصري ت ٦١٩ / ١٢٢٣(٤٤) التحكم في الوزن والقافية، وفنون المدح، وله ديوان يشمل الخليفيات، مدائح الخليفة الناصر العباسي، والعادليات مدائح في الملك العادل، والأشرفيات مدائح في الأشرف موسى.

ويلغ الأدب الصوفي ذروته في هذا العصر في شعر عمر بن الفارض، وجلال الدين الرومي، وابن عربي.

كثر التأنق والصناعة في الشعر، ويمثل هذا الاتجاه أبوعنين شرف الدين أبوالمحاسن المتوفي سنة ٦٣٠ / ١٢٣٣، وجمال مطروح المتوفي سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ وبهاء الدين زهير ٦٥٦ / ١٢٥٨ .

وتحسن أداء النثر، فكان القاضي الفاضل، أبوعلي عبدالرحيم المتوفي سنة ٥٩٦ / ١٢٠٠ كثير الشعر والنثر، وبلغ ذروة التكلف للصناعة اللفظية، صرف اهتمامه الى تحسين الأسلوب والتلاعب بالمعاني والألفاظ، والاستقرار من معنى لآخر(٤٥)، وكان العماد الأصفهاني، أبوعبدالله محمد بن حامد بن محمد المتوفي سنة ٥٩٧ / ١٢٠١ يكتب بالعربية والفارسية، وله خريدة القصر وجريدة العصر، ذكر فيه تراجم

الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة ٥٩٢ / ١١٩٦ ، ويشمل أربعة أقسام أساسية هي: الأول : قسم العراق، والثاني: قسم العجم وفارس وخراسان والثالث: قسم الشام. الرابع: قسم مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس.

وديوان الرسائل، وديوان شعر، وديوان دوبيت (نوع من الشعر على النسق الفارسي).

وصنف أبوالمكارم بن اسعد بن الخطير مهذب بن مينا المتوفي سنة ٦٠٦ / ١٢٠٩ عدة مصنفات منها، علم النثر، الفافوش في أحكام قراقوش، قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن الحجاج، كرم النجار في حفظ البحار، لطائف الذخيرة لابن بسام، أما القاضي الرشيد سناء الملك ت عام ٦٠٨ / ١٢١٢(٤٦) فكان ناثرا مسترسلا، وكاتبا مصنفا الى كونه شاعرا مجيدا، وله ديوان رسائل جمع فيه الرسائل التي دارت بينه وبين القاضي الفاضل وديوان موشحات سماه الطراز، جمع فيه موشحاته وتكلم فيه عن فن التوشيح.

٣ – التاريخ والجغرافيا

شهد هذا العهد نشاطا في تأليف ووضع عدد من الكتب في التاريخ والجغرافيا، فكان نضوج علم الحديث(٤٧)، والتطورات السياسية المعاصرة، والأحداث الحربية المتواصلة عوامل هامة في تطور علم التاريخ والجغرافية والفلك، وفيما يلي فكرة عن مدى تطور كل منها.

أ – التاريخ

ظفرت المكتبة العربية في هذا العهد بانتاج كتب التاريخ المتنوعة، اذ كثر المؤرخون الذين عنوا بكتابة التاريخ، وقد اشتهر منهم بهاء الدين بن شداد، مؤرخ صلاح الدين ومما قاله فيه (وكان الله قد أوقع في قلبي محبته وحبه، فأحببته لذلك، وخدمته في تاريخ مستهل جمادى الأول، ٥٨٤ هـ وهو يوم دخوله الساحل، وجميع ما حكيته انما هو روايتي عمن أثق به مما شاهده، ومن هذا التاريخ ما سطرت الا ما شاهدته، أو أخبرني به من أثق خبرة يقارب العيان)(٤٨).

كما اشتهر أبوشامة المقدسي، والذي ذكر في مقدمة الروضتين المصادر التي

اعتمد عليها في تأليفه، ومن جملتها بعض ما سمعه من أفراد الرجال الثقات، ومن المدركين لتلك الأوقات، وقد حاول أبوشامة أن يبسط بعض الكتب التاريخية بالتطوير في ايراد الأخبار، واستخدام الأسلوب المسجع في عرضها لكي يفهم الكلام الخاص والعام فحذف منها البعض، وأبقى ما استحسنه في مواضعه، ولم تك خارجة عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقائع(٤٩).

يمكن أن نحدد البحث التاريخي في تلك الفترة، فمن المؤرخين من انصرف الى بحث التاريخ العام، ومنهم من انصرف الى التاريخ الخاص، ومنهم من اتجه الى جمع التراجم، وتأريخها وتصنيف الطبقات على اختلافها ،ومنهم من اتجه الى كتابة ترجمة حياته أو مذكراته الخاصة.

التاريخ العام

ويتناول التاريخ الأمم عبر العصور المختلفة، وأحيانا تبتدىء الكتب حديثها عن بدء الخليقة، وأخبار الأمم الغابرة، وقد اتبع قسم منها أسلوب محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ / ٩٢٢ في ترتيب الأحداث، فكانوا يؤرخون الأحداث بحسب توالي السنين، لقد نهج عزالدين بن الأثير المتوفي عام ٦٣٠ / ١٢٣٤ نفس الأسلوب في كتابة الكامل في التاريخ، وقد تميز الكتاب بدقة التفاصيل والاعتماد على المشاهدات الشخصية، بالاضافة الى روايات المعاصرين أو المشاهدين للحوادث، من ذلك قوله، فحكى لي (الأفضل ولد صلاح الدين)(٥٠)، كما وضع سبط بن حوزي المتوفي سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦ كتاب، (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)، بدأه من أول الخليقة ورتبه منذ الهجرة النبوية على السنين، وذكر فيه الحوادث ثم الوفيات، وهو في أربعين مجلدا .

– التاريخ الخاص

أقبل بعض المؤرخين على كتابة تاريخ بعض الأقطار، ولعل سبب ذلك هو ضعف الخلافة العباسية، وقيام دول مستقلة عنها، ومنهم الشيخ شهاب الدين أبوشامة ت سنة ٦٦٥ / ١٢٦٦ الذي عاصر الدولة الأيوبية، وعهد زوالها فصنف كتابا عن الدولة النورية والأيوبية أسماه كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، ويعتبر

كتاب الروضتين من المصادر الهامة، ذلك أن فيه مادة تاريخية شملت سياسة الأيوبيين وعلاقتهم مع الصليبيين والعباسيين والحركة الباطنية، وقد استقى معظم معلوماته من ابن الأثير والمصادر المعاصرة، كالقاضي الفاضل، والأصفهاني، وكان في أغلب الأحيان يعمد الى تحليلها ونقدها، كالرد على قول ابن أبي طيء حول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين، واتهام ابن ابي طيء بأنه شيعي حاول تشويه العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين(٥١)، كما شمل ما شاهده أبوشامة نفسه من أحداث عاصرته.

وصنف جمال الدين أبوالحسن بن ظافر الأزدي المتوفي سنة ٦١٣ / ١٢١٦ الدولة المنقطعة في الدولة العباسية والفاطمية والطولونية والحمدانية وغيرها)، أخبار الدول الاسلامية، أخبار الملوك السلجوقية، أخبار الشجعان.

وصنف العماد الأصفهاني المتوفي سنة ٥٩٧ / ١٢٠١(٥٢) نصرة الفطرة وعصرة القطرة، وهو تاريخ للسلاجقة وأتابكيتهم ووزرائهم، اختصره الفتح البنداري بكتابه (زبدة النصرة ونخبة العصرة) وقد طبع في القاهرة باسم دولة آل سلجوق.

ومن المؤرخين المشهورين احمد بن الأزرق العارفي المتوفي سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ ، وقد صنف كتاب تاريخ العارفي(٥٣)، وهو يضم تاريخ مدينتي آمد وميافارقين، كما شهد قاضي القضاة جمال الدين بن واصل ت ٦٩٧ / ١٢٩٧ زوال الدولة الأيوبية في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وابنه توران شاه، وكأنما أحزنه مصير الدولة المذكورة التي قارعت الصليبيين ردحا من الزمان، واستردت منهم بيت المقدس، ووضع كتابه المشهور (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب). شمل معلومات تاريخية عن صلاح الدين والدولة الأيوبية، وعلاقة الأيوبيين مع العباسيين، وقد أخذ ابن واصل عمن سبقه من المؤرخين، فنقل العديد من رواياتهم، وكان لاطلاعه، على مصادر عديدة، بالاضافة الى مشاهداته أن تمكن من تقديم معلومات جديدة عن الأيوبيين، ويبدو أن ابن واصل لم يميز بين الفتح والاستيلاء، فكان يصف استعادة صلاح الدين لبعض المدن الاسلامية التي احتلها الصليبيون بأنه استيلاء كما أن

ابراهيم بن وصيف شاه ت ٦٠٦ / ١٢٠٩ صنف كتاب جواهر البحور

ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية، في ثمانين مجلدا، وقد بدأه بالحديث عن فضائل الشام منذ الجاهلية الى زمنه من الأنبياء والخلفاء والولاة والعلماء. وتحدث بعض المؤرخين عن مدينة من المدن فقد صنف الحافظ تقي الدين ابن عساكر ت سنة ٥٧١ / ١١٧٦ تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حل بها في ٨٠ مجلدا، على نمط ما كان الخطيب البغدادي المتوفي سنة ٤٦٣ / ١٠٧١ قد فصل بتاريخ بغداد، وكان أبوشامة قد اختصر تاريخ دمشق في عدد من المجلدات، وصنف كمال الدين عمر بن العديم المتوفي سنة ٦٦٠ / ١٢٦٢ بغية الطلب في تاريخ حلب، وكتب ابن شداد تاريخ حلب، وكتب عدد من المؤرخين عن القدس، منهم أبوسعد عبدالله بن عساكر (الأنس في فضل القدس)، وتحدث العماد الأصفهاني عن القدس (الفتح القسي في الفتح القدسي)، وعن حرب صلاح الدين وسيرته، واستبساله بسنة ٥٨٣ / ١١٨٧ وبين خططه السياسية والحربية لتصفية الوجود الصليبي.

ونالت القاهرة حظا من عناية المؤرخين، ومن هؤلاء جعفر بن محمد الأدريسي المتوفي سنة ٦٧٦ / ١٢٧٧ ، وصنف صالح الأرمني تاريخ الأرمن بالقاهرة وغيرها من المدن المصرية، منذ أن استولى الأيوبيون على مصر(٥٤)، وعن الكنائس والأديرة بمصر.

وصنفت بعض الكتب عن الأشخاص، فقد صنف بهاء الدين يوسف بن شداد سيرة صلاح الدين في كتابه (النوادر السلطانية) والمحاسن اليوسفية، وتحدث فيه عن حرويه بالتفصيل، وتحدث عماد الدين الأصفهاني في كتابه (البرق الشامي) عن نفسه وكيفية انتقاله من العراق الى الشام، وتعلقه بخدمة صلاح الدين، وشيء من فتوحاته بالشام، كما صنف(٥٥) كتاب (العصبى والعتبى) أرخ فيه الأحداث التي كانت بعد وفاة صلاح الدين الى سنة ٥٩٢هـ ،وفي كتاب (خطفة البارق وعطفة الشارق) أرخ الأحداث بعد ٥٩٢ الى زمان وفاته.

وكتب أحد أولاد الناصر داود عيسى سيرة له باسم الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية. (بروكلمان، تاريخ العرب، ١٨٦). وصنف شرف الدين أبوالمحاسن بن

محمد بن عينين ت سنة ٦٣٠ / ١٢٣٣(٥٦) كتاب التاريخ العزيزي / وهو ترجمة لحياة الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي.

* **التراجم والطبقات**

اتجه العلماء والمؤرخون الى كتابة حياة الصحابة، ورواة الحديث، وأعيان البلاد، أو أعيان مدينة معينة، فصنف عزالدين بن الأثير ت ٦٣٠ / ١٢٣٣ كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، وقد جمع تراجم أصحاب رسول الله مرتبة على الأحرف الهجائية(٥٧)، وألف بن أبي علي المتوفي عام ٦٣٠ / ١٢٣٣ كتابه طبقات العلماء، وصنف ابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ / ١٢٨١ كتابه المشهور وفيات الأعيان، وهو شامل لتراجم الأعيان في العلم والأدب والسياسة والقضاء بايجاد مرتبة على حسب الحروف الأبجدية، كما وضع ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٧ / ١٢٢٩(٥٨) معجم الأدباء، جمع فيه أخبار النحويين واللغويين والمؤرخين والقراء وكل صنف في الأدب. ووضع أبوشامة كتاب الذيل على الروضتين فيه تراجم العلماء في القرنين السادس والسابع.

وصنف مؤيد الدين أبوالفضل المهندس ت ٥٩٩ / ١٢٠٣ مقالة في رؤية الهلال، ورسالة في معرفة التقويم(٣).

وصنف أسامة بن منقذ ت ٥٨٤ / ١١٨٨ كتاب(٤) تاريخ أيامه، كتاب أخبار أهله، وتلخيص مناقب العمرين (عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز)، وكتاب الاعتبار، هو سجل لمشاهد رآها تحت بصره، وهو ذكريات نفيسة تشمل الأحداث الحربية والسياسة والأحوال الاجتماعية لأهل الشام وحملة الصليب، وقد كتبه بأسلوب قصصي ممتع لا تصنع فيه ولا تكلف، وكأنما يريد أداء الواقع بكل ما يتصل به من لغة الناس لزمنه. وصنف الملك المنصور محمد بن تقي عمر شاهنشاه المتوفي سنة ٦١٧ / ١٢٢٠(٦٠) المضمار (في التاريخ وطبقات الشعراء).

ب – الجغرافية والفلك

صنف بعض العلماء في الجغرافيا آنذاك، فاشتهر ملك حماة الأيوبي أبوالفداء الذي وضع كتاب تقويم البلدان، وصنف فيه الأرض وما عليها، وصنف الأقاليم،

وتحدث عن خطوط الطول والعرض، وكتب الشيخ أبوالحسن علي السائح الهروي المتوفي بحلب سنة ٦١١ / ١٢١٥ كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات، وكتاب منازل الأرض ذات الطول والعرض، وكتاب الأثار والعجائب والأصنام(٦١).
ولشمس الرياسة ابن جميع رسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ومياهها.

عنى عبداللطيف البغدادي بتأليف كتاب (الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) ويشمل الكتاب مقالتين تحدث في الأولى عن طبيعة مصر وسكانها ونباتها وحيوانها وآثارها وعمرانها، وفي الثانية تحدث عن النيل عما أصاب مصر من قحط ووباء مروعين.

واشتهر ياقوت الحموي (٦٢٧ - ١٩٢٩) في كتابه معجم البلدان اذ ضبط فيه اسم البلد وخواصها الطبيعية ومعادنها وسكانها ،ثم ذكر فيه الاقاليم السبعة واشتقاقها ،واختلاف بقاعها ،وما فيها من جبال وبحار ،وانتهى حديثه بذكر ما يتبع من البروج الاثنى عشر من البلدان .

نشط علم الفلك في رعاية سلاطين بني ايوب ،فاشتهر ابو الفضل بن ياسين الحلبي، ت٦٠٤ - ١٢٠٧ في الزيج ،وكذلك مهذب الدين بن الحاجب وصنف مؤيد الدين ابو الفضل المهندس ت ٥٩٩ - ١٢٠٣ مقالة في رؤية الهلال ، ورسالة في معرفة التقويم واشتهر مؤيد الدين العرضي الدمشقي الذي تولى مهمة الارصاد، ونبغ من بعده ابنه شمس الدين بن محمد العالم الفلكي الذي اسند له نصير الدين الطوسي لبناء المرصد الايلخاني ،ومؤيد الدين المتوفى سنة ٦٤٦ - ١٢٦٦ ،من بلدة عرض الشامية وهو شاعر وكان يعمل مهندساً في دمشق ، ويدرس الرياضيات وكتاب الاصول الذي الفه اقليدس، وقد الف كتاب الهيئة ، ورسالة في كيفية الارصاد وما يحتاج الى علمه وعمله من الطرق المؤدية الىمعرفة عودات الكواكب، ورسالة العمل في الكرة الكاملة . وقد خالف العرضي بطليموس في الهيئة لافلاك القمر وعطارد كما خالفه في حركات المائل والحامل جهة وقدراً .

استدعى الملك المظفر تقي الدين محمود، علم الدين قيصر فبنى له ابراجا فلكية في حماة ،واقام الطواحين المائية مازالت قائمة ،وعمل له كرة خشبية مدهونة رسم

عليها خارطة كبيرة وعين عليها جميع الكواكب المرصودة ،وقد ساعده في وضعها جمال الدين بن واصل .هذا وعرف عبدالله الجماعيني المتوفي سنة ٦٢٠ -١٢٢٣ باختصاصه بعلوم النجوم السيارة ومعرفة منازلها الخاصة بها .

اشتهر محمد بن المجلي الصانع في التنجيم ،وتوفي سنة ٥٧٠ - ١١٧٤ ،وعلوي الدميري وكان يعمل التقاويم في مصر ،ومحمد بن القيصراني الدمشقي المتوفي سنة ٦٣٠ - ١٢٣٣ ،وقد اشتهر بعلم الهيئة.

٤ - الفلسفة والمنطق

عزف بعض العلماء عن الاشتغال بالفلسفة والمنطق لأنها لقيت مقاومة من رجال الدين وأعراضا من معظم سلاطين بني أيوب. فكانت قصة الفيلسوف المعروف شهاب الدين السهروردي المتوفي عام ٥٨٧ / ١١٩٩ كارثة على تطور هذا العلم، وقد اختار لنفسه الموت جوعا في سجنه.

مزج السهروردي فكره الصوفي بشيء من فلسفة ارسطو(٦٤) (المادية الواقعية)، وبشيء من المذهب الاسكندراني القائمة على اراء افلاطون واخوان الصفا، وصنف عددا من الكتب منها: هياكل النور وحكمة الاشراق كشف الغطاء لاخوان الصفا، الغربة الغربية (اشار فيها الى حديث النفس على مثال رسالة الطير وحي بن يقظان لابن سينا)، والتلويحات اللوحية والعرشية(٦٥) وهي رسالة في وصف العقول.

ظهر في القرن السابع الفيلسوف سيف الدين علي الثعلبي الآمدي ت ٦٣١ / ١٢٣٣ ،وما كاد يشتهر أمره، حتى أفتى العلماء بقتله، فآثر السلامة وترك التدريس، وله كتاب دقائق الحقائق في الحكمة.

لقد أمر الملك الصالح صاحب بعلبك ودمشق بقتل قاضي القضاة رفيع الدين الجيلي لما عرف عنه، اذ كان فاسد العقيدة دهريا(٦٦) مستهزئا بأمور الشرع، وكان متميزا في الحكمة والطبيعة.

عزلت هذه المحن الفلاسفة عن حلقاتهم العلمية، فعاشوا منعزلين خوفا من الاضطهاد، الا أن الملك المعظم عيسى وابنه داود مالا الى الفلسفة، وشجعا دراستها، فأقبل بعض العلماء على دراستها، بالرغم مما كانوا يلاقونه من عنت

البعض، فاشتهر نجم الدين القمراوي وشرف الدين المناني اللذان ذهبا سرا الى الموصل لدراسة الفلسفة على الكمال موسى بن يونس بن منعم.

إشتهر محمد بن ناماوار وأفضل الدين الخونجي المتوفي عام ٦٤٢ / ١٢٤٤ في وضع عدد من الكتب منها: كشف الأسرار من غوامض الأفكار، وكتاب الجمل الذي اختصره من كتاب أستاذه ابن مرزوق التلمساني المسمى نهاية الأمل، وكان عز الدين الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الاربلي المتوفي عام ٦٦٠ / ١٢٦٢ بارعا في الفلسفة مهملا للفرائض حسن المناظرة والجدال (٦٧). وقد أكرمه الناصر داود وعفا عنه بعد أن اتهم بالزندقة. وصنف عبداللطيف البغدادي(٦٨) الفصول الأربعة المنطقية، تهذيب كلام أفلاطون، حكم منثورة ايساغوجي مبسوط الواقعات، مقالة في النهاية واللانهاية، مقالة في كيفية استعمال المنطق، مقالة في أجزاء المنطق التسعة.

٥ — الحساب والهندسة .

صدرت بعض المصنفات في الحساب، فقد ألف علي بن خليفة المتوفي سنة٦٤٩/ ١٢٥١ للملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك كتاب الموجز المفيد في علم الحساب في أربع مقالات، كما وضع كتابا في المساحة، وألف نجم الدين اللبودي ت ٦٣١ / ١٢٣٤ كتابا في الحساب اسمه كافية الحساب في علم الحساب وكتابا في الجبر (الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة)، وكان شيخ الاسلام مجد الدين بن نصر بن جهبل ت ٥٩٦ / ١٢٠٠ اماما في الحساب والفرائض(٦٩).

برع ابراهيم بن غنائم المهندس المصري بالهندسة، وساهم في بناء المدرسة الظاهرية بدمشق، ولا يزال اسمه منقوشا على يسار المدخل، وكان يعرف مؤيد الدين أبوالفضل محمد ابن عبدالكريم بن عبدالرحمن بن الحارثي المهندس ٥٩٩ / ١٢٠٣ بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة، وحل كتاب اقلدس بأسره، ونظر في كتاب المجسطي، وشرع في قراءته وحله وانصرف بكليته الى صناعة الهندسة وعرف بها.

وصنف عبداللطيف البغدادي كتاب الحلي في الحساب الهندي، ورسالة الى مهندس فاضل عملي. وتميز مهذب الدين بن الحاجب في الهندسة والزيج، كما أتقن موفق الدين بن يعقوب بن سقلاب الهندسة والحساب .

٦ - الطب والصيدلة

أ - الطب

ارتفع شأن الطب في ذلك العصر، وتقدمت وسائل دراسته، وذخرت المكتبات بما ألفه كثير من الأطباء، وقد نال الطب تقديرا عظيما لاستمرار الحرب، وحاجة الشعب لخدماته، ولا عجب أن يتقاضى مهذب الدين عبدالرحيم بن علي المتوفى سنة ٦٢٨ / ١٢٣١ الذي داوى الملك العادل من مرض ألم به مبلغ اثني عشر الف دينارا، وأربع عشرة بغلة بأطواق ذهب وخلع كثيرة من الثياب الأطلس وغيرها(٧٠).

تعددت المارستانات في الدولة الأيوبية، ولا سيما في المدن الكبيرة كالقاهرة ودمشق والقدس وحلب.. وكان الأطباء يبكرون الى المستشفيات يتفقدون المرضى، ويأمرون باعداد ما يصلح لهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل انسان منهم، وكان للمجانين المعتقلين أيضا ضرب من العلاج.

وصف ابن جبير المارستان الذي كان بمدينة القاهرة، هو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا، وفيه قيم من أهل المعرفة ووضعت فيه خزائن العقاقير، ووضعت في مقاصيره أسرة يتخذها المرضى مضاجع لهم، وللنساء موضع خاص، وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه(٧١).

تطور علم الطب بفتح مدارس الطب، وممارسة طلاب الطب التدريب العملي في المستشفيات، فازداد عدد الأطباء، وصنفت العديد من الكتب في الأمراض والعلاج، واكتشفت بعض الأمراض وخضعت مهنة الطب لمراقبة المحتسب.

كثر الأطباء وتنوع اختصاصهم بين طبيب باطني، وطبيب مختص بأمراض العيون (الكحال)(٧٢) أو مختص في علاج العظم، وكان يسمى مجبرا، أو مختص في الجراحة.

اشتهر الطبيب أبوالمنصور عبدالله بن الشيخ السديد أبي الحسن المتوفى سنة ٥٩٢ / ١١٩٦ بصناعة الطب، وجودة المعالجة، وكثرة الدربة، وقد حصل في بعض

معالجاته في يوم على ثلاثين ألف دينار.

وكان الرئيس أبوعمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي ت ٦٠١ / ١٢٠٤ يستطب صلاح الدين وولده الأفضل، وله من الكتب، اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، مقالة في تدبير الصحة صنفها للملك الأفضل، مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالة.

واشتهر ابن جميع، الشيخ موفق شمس الرياسة أبوالعشائر بن جميع الاسرائيلي بالاشتغال بالطب، وخدم صلاح الدين، وكان له مجلس عام للذين يشتغلون بصناعة الطب، وصنف عدة كتب منها، كتاب الارشاد لمصالح الأنفس والأجساد، وكتاب التصريح بالمكنون في تنقيح القانون، ومقالة في الليمون وشرابه ومنافعه، ومقالة في علاج الفولنج، ومقالة في الحدبة.

وتميز العالم رشيد الدين أبوعبدالله محمد بن ناماوار الخونجي، في العلوم الحكمية، وكان حسن المعالجة، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل، والملك الصالح أيوب، وله مقالة في حفظ الصحة، ومقالة في أن الملاذ الروحانية ألذ من الملاذ الجسمانية، وكتاب في الأدوية المفردة (المختار في الألف عقار) في الأمراض وأسبابها، ومقالة في ضرورة الموت.

وكان موفق الدين أبونصر أبي الفتح الياس بن جرجس المطران المتوفي سنة ٥٨٧ / ١١٩١ أميز أهل زمانه في الطب، وصنف المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية، وجعلها باسم صلاح الدين، والمقالة النجمية في التدابير الصحية، ولغز في الحكمة، الأدوية المفردة، آداب طب الملوك، كتاب على مذهب دعوة الأطباء.

واشتهر ابن النفيس، علاء الدين أبوالحسن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي ٦٨٦ / ١٢٨٨ ، بمعرفة الدورة الدموية في الرئة وشرحها شرحا دقيقا، وكان قد درس الطب على ابن أبي أصيبعة على مهذب الدخوار، واهتم بدراسة تشريح القلب والحنجرة، ووظيفة التنفس داخل الرئة وافتقار الدم من الرئة الى القلب. وعكف على التأليف في الطب، ومن مؤلفاته: الكتاب الشامل في الطب، المهذب في الكحول، المختار في الأغذية، شرح فصول أبقراط، شرح مسائل جنين ابن

اسحق، الموجز في الطب، شرح قانون ابن سينا في الطب، تفسير العلل وأسباب المرض.

أما شمس الدين ابوعبدالله بن محمد بن عبدالواحد اللبودي المتوفي عام ٦٢١ / ١٢٢٤ ، فقد اشتغل بصناعة الطب، ودرسه في البيمارستان النوري، وخدم الملك الظاهر بن صلاح الدين ملك حلب، وصنف رسالة في جمع المفاصل، وشرح كتاب المسائل لحنين بن اسحق، وكان الصاحب نجم الدين أبو زكريا بن الحكيم الامام شمس الدين اللبودي المتوفي سنة ٦٤٤ / ١٢٤٧ ندرة في العلوم الطبيعية، خدم الملك الكامل، وابنه نجم الدين أيوب، وهو صاحب المدرسة اللبودية في الطب، وله عدد من المصنفات: منها: مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا، مختصر كتاب المسائل لحنين، مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا، مختصر كتاب عيون الحكم لابن سينا.

واعتنى موفق الدين عبداللطيف البغدادي المتوفي سنة ٦٢٩ / ١٢٣٢ بصناعة الطب، وكان يتردد الطلاب عليه لدراسة الطب في الأزهر، وله عدة مصنفات، منها شرح كتاب الفصول لأبقراط، شرح تقدمة المعرفة لأبقراط، اختصار وشرح جالينوس، وله حوالي مائة وخمسون كتابا في موضوعات مختلفة وكان الامام شرف الدين أبوالحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرحبي مدرس الطب في المدرسة المهذبية، وقد درس الطب على والده، وصنف عددا من الكتب .

واشتهر أبوالعباس أحمد بن قاسم بن خليفة موفق الدين الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، ت ٦٦٨ / ١٢٦٩، ولد في دمشق، ومارس طب العيون في القاهرة، وله كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، جمع فيه أطباء العالم المشهورين وفيما يلي قائمة بأشهرهم في العهد الايوبي : -

الاســـم	سنة الوفاة	ملاحظات	صفحة
أ . أطباء مصر			عيون الانباء
الشيخ السيد ابو منصور عبد الله	١١٩٦/٥٩٢	خدم صلاح الدين، وحدد له ١٥ دينار شهرياً	٥٧٤
ابن جميع هبة الله بن زين بن حسن الإسرائيلي		خدم صلاح الدين، وله مقاله في الحدبة، ومقالة في علاج القولج	٥٧٧
أبو البيان بن المدور اليهودى	١١٨٥/٥٨٠	خدم صلاح الدين، وحدد له ٢٤ دينار شهريا، وله مجرب في الطب	٥٧٩
ابو الفضائل بن الناقد اليهودى	١١٨٩/٥٨٤	اشتهر بالطب والكحل، وله كتاب مجربات في الطب	٥٨٠
الرئيس هبة الله الإسرائيلي	١١٨٥/٥٨٠	كان حسن المعالجة	٥٨٠
الموفق بن شوعة الإسرائيلي	١١٨٤/٥٧٩	خدم صلاح الدين، كان طبيباً وكحالا وجراحاً	٥٨١
ابو البركات بن القضاعي	١٢٠٢/٥٩٨	خدم صلاح الدين بصناعة الطب	٥٨٢
ابو المعالي بن تمام		خدم صلاح الدين والعادل وله تعاليق ومجربات في الطب	٥٨٢
الرئيس ابو عمران موسي بن ميمون القرطبي	١٢٠٣/٦٠١	خدم صلاح الدين والأفضل	٥٨٣
ابراهيم بن الرئيس موسي بن ميمون	١٢٣٦/٦٣٣	خدم الملك الكامل، وكان يتردد على بيمارستان القاهرة	٥٨٣
ابو البركات بن شعيا اليهودى		كان يعيش في القاهرة	٥٨٣
اسعد الدين يعقوب بن اسحق اليهودى		له مقالة في قوانين طبية، مسائل في الطب واجوبتها	٥٨٤
جمال الدين بن ابي الحوافر	١١٩٩/٥٩٥	خدم الملك العزيز عثمان	٥٨٥
فتح الدين بن جمال الدين بن ابي الحوافر		خدم الملك الكامل والملك الصالح ايوب بصناعة الطب	٥٨٥
شهاب الدين بن فتح الدين		اتقن الصناعة الطبية علماً وعملاً	٥٨٦
نفيس الدين بن الزبير	١٢٣٩/٦٣٦	كان مشهوراً بصناعة الكحل، واتقن علم الجراح، كان رئيس طب مصر، ايام الملك الكامل	٥٨٦

افضل الدين الخونجي	١٢٤٨/٦٤٦	شرح مقالة ابن سينا في النبض، وله مقالة في الخدور والوروم	٥٨٧
ابو سعيد بن ابي سليمان بن ابي فانه	١٢١٦/٦١٣	خدم في صناعة الطب الملك المعظم والملك العادل	٥٨٩
موفق الدين ابو شاكر بن ابي سليمان داود	١٢١٦/٦١٣	خدم الملك الكامل بالإضافة للملك العادل، حسن العلاج	٥٨٩
ابو نصر بن ابي سليمان		كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب	٥٨٩
ابو الفضل بن ابي سليمان	١٢٤٦/٦٤٤	خدم الملك المعظم والكامل	٥٩١
رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس (ابي حليقة)		خدم الملك الكامل والصالح وله مقالة في حفظ الصحة وكتاب الأدوية المفردة	٥٩٧
مهذب الدين ابو سعيد محمد بن ابي حليقة		اتقن الصناعة الطبية له كتاب في الكحل، وكتاب في الطب	٥٩٩
رشيد الدين ابو سعيد بن موفق الدين يعقوب	١٢٤٨/٦٤٦	خدم الملك الصالح ايوب، له كتاب عيون الطب، وتعاليق على كتاب الحاوى للرازى	٦٠٠
اسعد الدين بن ابي الحسن علي	١٢٣٨/٦٣٥	اتقن صناعة الطب وخدم الملك الكامل وصنف كتاب نوادر الالباء في امتحان الاطباء	٦٠١
ضياء الدين بن البيطار	١٢٤٨/٦٤٦	خدم الملك الكامل، شرح ادوية كتاب ديمقوريدس، وكتاب الأطباء الجامع في الأدوية المفردة، كتباب المغني في الأودية المفردة	٦٠٢

ب- اطباء بلاد الشام

الشريف الكحال / برهان الدين ابو الفضل سليمان		عالم بصناعة الكحل، خدم بصناعة الكحل صلاح الدين	٦٦٠
ابو جعفر عمر بن علي بن البذوخ المغربي	١١٨٠/٥٧٦	كان خبيراً بمعرفة الأدوية، له حواش على كتاب القانون لأبن سينا	٦٣٠
حكيم الزمان ابو الفضل الأندلسي الجلياني	٦٠٠/	خدم الأشرف موسي بصناعة الكحل، وله تعالي في وصفات ادوية مركبة	٦٣٤
ابو الفضل بن ابي الوقار		كان متميزاً بخدمة الطب	٦٣٤
ابو الحسن علي بن ابي عبد الله مهذب الدين بن النعاس	١١٧٨/٥٧٤	اشتغل بصناعة الطب لدى صلاح الدين	٦٣٧
امين الدين أبو زكريا يحي الأندلسي البياسي		خدم صلاح الدين بن ايوب بصناعة الطب	٦٣٧
سكره الحلبي اليهودى		كان له دربة في العلاج	٦٣٧
عفيف بن عبد القاهر سكرة الحلبي اليهودى	١١٨٨/٥٨٤	كان عارفا بصناعة الطب وله مقالة في القولنج الفها للملك صلاح الدين	٦٣٨

موفق الدين أبو نصر اسعد بن المطران	١١٩١/٥٨٧	خدم صلاح الدين بالطب، وله المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية	٦٥٦
أبو النجم بن أبي غالب فهد النصراني	١٢٠١/٥٩٩	خدم صلاح الدين بالطب، وله كتاب الموجز في الطب	٦٦١
ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس	١٢٠١/٥٩٩	خدم في البيمارستان الكبير، وله كتاب الأدوية المفردة	٦٧٠
شمس الدين ابو العباس الخوني	١٢٣٩/٦٣٧	صنف للملك المعظم رمز حكمية على القاب السلطان الملك المعظم	٦٤٧
ريفع الدين ابو حامد عبد العزيز الجبلي	١٢٤٣/٦٤١	كان له مجلس في انواع الطب والعلوم وله اختصار الكليات من كتاب القانون	٦٤٨
شمس الدين عبد الحميد بن عيس الخسروشاهي	١٢٥٤/٦٥٢	خدم الناصر صلاح الدين داوود بن الملك المعظم، وله مختصر الشفاء لابن سينا	٦٥٠
مهذب الدين بن الحاجب		خدم بصناعة الطب في المستشفي النورى، ثم خدم تقي الدين عمر صاحب حماة	٦٦٠
رضوان بن محمد بن علي فخر الدين بن الساعاتي		خدم الملك المعظم بصناعة الطب، له الحواشي على كتاب القانون لابن سينا	٦٦٢
شمس الدين ابو عبد الله بن عبد الواحد اللبودى	١٢٢٤/٦٢١	درس الطب في البيمارستان النورى، له رسالة في جمع المفاصل	٦٦٢
نجم الدين ابو زكريا يحي بن اللبودي	١٢٤٦/٦٤٤	خدم الملك الصالح ايوب وله عدة مصنفات (وردت سابقا)	٦٦٨
زين الدين سليمان بن مؤيد الحافظي		خدم الملك الحافظ نور الدين ارسلان بن الملك العادل صاحب قلعة جعبر	٦٦٩
موفق الدين عبد العزيز بن ابي محمد السليمي	١٢٠٧/٦٠٤	خدم في البيمارستان النورى	٦٧١
سعد الدين ابو اسحق بن عبد العزيز	١٢٤٦/٦٤٤	خدم في البيمارستان النورى وخدم الملك الكامل	٦٧٢
رضي الدين ابو الحجاج يوسف الرحبي	١٢٣٣/٦٣١	له اختصار كتاب المسائل لحنين وتهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لابقراط	٦٧٥
شرف الدين ابو الحسن علي بن الحسن الرحبي	١٢٦٨/٦٦٧	درس الطب في الداخوارية، له حواش على كتاب القانون لابن سينا	٦٨١
جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحبي	١٢٦٠/٦٥٨	خدم في البيمارستان النورى، وتعلم على يد والده	٦٨٢
موفق الدين عبد اللطيف البغدادى	١٢٣٢/٦٢٩	درس الطب في دمشق والأزهر، وله مصنفات عدة سبق ذكرها	٦٨٤
كمال الدين الحمصي	١٢١٥/٦١٢	صنف تعاليق في البول، واختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق	٦٨٢
ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي		وفد من الأندلس كتبه: رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها بشرح الفصول لابقراط.	٦٦٩

اوحد الدين عمران بن صدقة الإسرائيلي	١٢٣٩/٦٣٧	كان يتردد على البيمارستان النورى، خدم الملك العادل	٦٩٧
موفق الدين يعقوب ابن سقلاب	١٢٢٨/٦٢٥	خدم بصناعة الطب الملك المعظم	٦٩٨
سديد الدين ابو منصور		خدم الناصر داود، وكان مقيماً بالكرك	٦٩٩
رشيد الدين بن الصورى بن ابي الفضل	١٢٤١/٦٣٩	مصنفاته الأدوية المفردة، الرد على التاج للفاوى في الأدوية المفردة	٧٠١
محمود بن عمر بن محمد سديد الدين بن رقيقة	١٢٣٧/٦٣٥	له كتاب لطف المسائل وتحف المسائل، كتاب قانون الحكماء وفردوس الندماء	٧٠٤
صدقة بن منجا بن صدقة السامرى	١٢٢٣/٦٢٠	خدم الملك الأشرف موسي، له تعاليق في الطب، شرح كتاب الفصول لابقراط	٧١٥
مهذب الدين بن ابي سعيد السامرى	١٢٢٧/٦٢٤	خدم بصناعة الطب عز الدين فرخشاه بن شاهان بن ايوب	٧٢٣
امين الدولة ابو الحسن غزامي السامرى		له كتاب النهج الواضح في الطب، كان وزيرا للملك الصالح	٧٢٣
مهذب الدين عبد الرحيم علي الداخور	١٢٣١/٦٢٨	له مقاله في الاستفراغ، كتاب الجنينة في الطب، شكوك طبية ورد اجوبتها	٧٣٣
عمى رشيد الدين علي بن خليفة	١٢٥١/٦٤٩	خدم الملك المعظم، وجعل له مجلسا لتدريس الطب، وله كتاب في الطب (كتاب طب السوق)	٧٤١
بدر الدين المظفر ابن قاضي بعلبك		كان رئيسا لاطباء الشام ايام الملك نجم الدين ايوب وله كتاب الملح في الطب	٧٥٤
شمس الدين محمد الكلي الأندلسي		خدم الملك الأشرف موسي بصناعة الطب بالإضافة الى عمله في المستشفي النورى	٧٥٥
موفق الدين عبد السلام		خدم الملك الناصر يوسف والملك المنصور صاحب حماة	٧٥٦
موفق الدين المنفاخ	١٢٤٤/٦٤٢	خدم الملك الأشرف موسي	٧٥٧
ابو العباس احمد بن ابي الفضل نجمم الدين بن المنفاخ	١٢٥٤/٦٥٢	المدخل الى الطب، كتاب الأرشادات المرشدة في الأدوية المفردة هتك الأستار في تمويه الدخوار	٧٥٨
ابو اسحق عز الدين السويدى		عمل في البيمارستان النورى، له التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب	٧٦١
عماد الدين ابو عبد الله الدنيسرى		خدم في البيمارستان النورى، له كتاب الترياق الفاروق المقالة المرشدة في [illegible] الأدوية المفردة	٧٦٧

ب – الصيدلة :

عرف علم الصيدلة أيام الأيوبيين بأسماء عديدة، منها علم الأدوية وعلم العقاقير(٧٣)، وكان يصعب في أوائل الدولة فصل علم الصيدلة عن الطب، ذلك أن الطبيب كان يعمل طبيبا وفي الوقت نفسه صيدليا، فكان الطبيب يفحص المريض ويصف له العلاج الناجع، ويحضره ثم يقدمه الى المريض.

لم يكن علم العقاقير لينفصل عن علم الطب، فكان موفق الدين بن شاكر بن أبي سليمان داود المتوفي عام ٦١٣ / ١٢٢٦ طبيب الملك الكامل يصنع الدواء، ويبدو أن علم الصيدلة أخذ يستقل، أورد ابن واصل قصة عالم يدعى عليا كان مولعا بجمع وعمل العقاقير، وقد اتصل بصلاح الدين خلال حصار الفرنجة لعكا سنة ٥٨٦ / ١١٩٠ ووعده باحراق الأبراج الصليبية، وبعد ان استحضر من الأدوية التي يعرفها، وطبخها في قدور، رمى بها أحد الأبراج، فاشتعل من ساعته، وصار كالجبل العظيم من النار، صاح المسلمون بالتكبير والتهليل ثم رمى بالثاني والثالث، فأحرق الأبراج كلها(٧٤).

وعندما كثرت العقاقير وتشعبت طرق تركيبها، استوجبت من يخصص لها وقته، ويفتش عن الأعشاب في كل مكان، وهنا انقسمت مسؤولية الطبيب، وتفرعت عنها مهنتا الطب والصيدلة.

لقد تقدم علم الصيدلة أيام الأيوبيين، وبدأ العلماء يجمعون الأعشاب الطبية، ويزرعونها في مزارع خاصة، وابتكرت الكثير من الأدوية، وكانت تجرب على الحيوانات قبل استعمالها على الانسان(٧٥)، وعرفت المعاجين المختلفة والمراهم والدهانات واللزقات والأشربة، وما زال الغرب يستعملون كلمة Syrup المأخوذة من كلمة شراب العربية، كما أنهم غلفوا حبات الأدوية بغلاف من السكر، واستطاع الزهراوي تحضير الدواء على شكل أقراص(٧٦).

ابتدع العلماء طرقا كثيرة في تحضير الأدوية، كالتقطير، والترشيح والتبخير، والغسل، والتذويب، والطبخ والاحراق والسحق، وكان المحتسب يراقب عمل الصيدلي، ولا يسمح له بممارسة العمل الا بعد أن يجتاز امتحانا لذلك.

انتشرت الصيدليات في الدولة الأيوبية، ولا سيما في البيمارستانات وكان العلاج لا يصرف الا بوصفة طبية. اشتهر عدد ممن عملوا بعلم الأدوية منهم ابن باجة المتوفي ٥٣٣ / ١١٣٨ في فاس، وأمين الدولة بن التلميذ البغدادي المتوفي سنة ٥٦٠ / ١١٦٤ في بغداد.

أما في الدولة الأيوبية فقد اشتهر:

* أبوعمر موسى بن عبدالله بن ميمون القرطبي ت ٦٠١ / ١٢٠٤ وهو يهودي درس الطب والصيدلة في الأندلس، ودفن في طبرية، اهتم بدراسة حالة الانسان وما يتعرض له من غضب وسرور، وتأثير هذه الحالات النفسية على الجسم، ووضع ذلك في رسالة سماها (الأفضلية) وهي من أجمل ما كتب في الطب النفسي، وهي رسالة قدمها للملك الأفضل. وله كتاب شرح أسماء العقاقير وقد رتب أسماء الأدوية طبقًا للحروف الأبجدية، وله المقالة الفاصلة وسماها السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، وله عدد من الكتب في الطب منها رسالة في البواسير، كتاب في تدبير الصحة، كتاب شرح فصول أبقراط.

* داود بن أبي البيان، ت ٦٣٦ / ١٢٣٩، عاش في القاهرة، وكان أقدر أهل زمانه على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها، واشتهر كتابه (الدستور البيمارستاني) وهو يقتصر على الأدوية المركبة المستعملة في بيمارستانات مصر والشام والعراق وحوانيت الصيدلة.

* ابن البيطار، ضياء الدين أبومحمد عبد بن أحمد المالقي ت ٦٤٦ / ١٢٤٩ في دمشق. كان علما من أعلام النبات كثير الترحال لدراسة أنواع النبات، غادر الأندلس الى مصر وهو في العشرين وخدم الملك الكامل، وله كتاب (الجامع في الأدوية المفردة)، وصف فيه ١٤٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني، مرتبة حسب الحروف الأبجدية، ٣٠٠ منها من صنعه وله أيضا: -كتاب المغني في الأدوية أوضح فيه علاج الأعضاء واحدا واحدا بطريقة مختصرة وجلية. كتاب الأقراباذين يحتوي على مجموعة من الأدوية ويشمل على وصف النباتات والأحجار والمعادن والحيوانات ذات الخواص الطبية ،كتاب شرح ادوية ديسفوديدس .

* كوهين العطار وهو أبوالمنى داود أبي النصر الهاروني عاش في مصر ٦٥٨ / ١٢٦٠ ،اهتم بدراسة العقاقير فألف كتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة، يشمل معلومات تركيب الأدوية واستعمالها وأوزانها، وطريقة خزنها، وأعمارها.

* منصور بن فضل المشهور باسم رشيد الدين الصوري ت ٦٣٩، اشتغل بالطب، وأقام بالقدس سنتين يعالج الناس في بيمارستانها، ثم انتقل الى دمشق وفوضت اليه رئاسة الأطباء بها. وكان بارعا في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف اسمائها، وصفاتها وتحقيق خواصها وتأثيراتها، وكان يتوجه الى مواقع النبات في الشام، ويشاهد النبات ويتحقق من لونه ومقدار ورقه وأغصانه في أطوار نموه.

* أحمد بن التيفاشي المغربي ت ٦٥١ / ١٢٥٣ جاء الى مصر، وتولى القضاء بها، ودرس التاريخ الطبيعي وعلم المعادن مع عنايته بالصيدلة والطب، وألف كتابه (ازدهار الأفكار في جواهر الأحجار) تناول فيه خمسة وعشرين حجرا في خمسة وعشرين فصلا، تحدث فيه عن خواص كل حجر ومنافعه والكتاب منشور بالقاهرة.

٧ – علوم أخرى :

صنف بعض العلماء في السياسة، وكانوا يرمون الى توضيح ادارة البلاد بالطريقة المثلى، وقد ألفت في هذه المادة بعض المصنفات، وكانت تهدى الى السلاطين، فقد صنف أبوالفضائل عبدالرحمن كتابا سماه المنهج المسلوك في سياسة الملوك، وقدمه الى صلاح الدين ليبين له كيف تساس البلاد طبقا للمثل العليا. وألف أسامة ابن منقذ كتابا سماه (لباب الاعراب) عقد فيه بابا للسياسة.

وصنف عبدالرحمن ابن نصر الشيرزي المتوفى سنى ٥٨٩ كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بين فيه ما يجب على المحتسب أن يقوم به من مراقبة أهل السوق، من تجار وصناع وأطباء حتى يأمن الناس من الغش والتدليس.

ووضع أبوالحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١ / ١٢١٣ كتابا في السياسة أسماه (التذكرة الهروية في الحيل الحربية)، كما صنف فخر الدين الرازي

للملك العادل كتاب (تأسيس التقدس في علم الأخلاق). وصنف عبداللطيف البغدادي كتاب العمدة في أصول السياسي، ومقالة في السياسة العملية، ومقالة في تدبير الحرب(٧٧)، أما تاج الدين أبوعبدالله بن عمر بن حمويه المتوفى سنة ٦٤٢ / ١٢٤٤ فقد صنف للملك الكامل (السياسة الملوكية). وصنف شيث القفطي كتابا أسماه سياسة تهذيب ذهن الواعي في اصلاح الرعية والراعي.

وازدهرت الموسيقى في العصر الأيوبي، فكان أبوالحكم عبيدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي يلعب بالعود، ويستخدمه في المدائح الصوفية، كما كان أمين الدولة أبوزكريا يحيى البياسي يحب الغناء والايقاع، ويلعب بالعود، ويعزف الموسيقى، وقد عمل الأرغن المناسب لهذه الغاية، أما الموفق بن شوعة فكان يضرب على القيثارة، وقد وضع ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ / ١٢١٢ نظرية موسيقية لفن التوشيح، وكان رضوان ابن فخر الدين الساعاتي يلعب بالعود عند الملك المعظم.

هوامش الفصل الرابع

١ – ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ١٢٠/٢ .
٢ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٢٦٥/٢ .
٣ – ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١٧/ ٧٣ .
٤ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٦٤٧ .
٥ – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٠٧/١٣ .
٦ – نفس المصدر السابق ، ٢٤٨/١٣ .
٧ – عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الاسلامية ، ٤٠٢ .
٨ – حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٢٩٢/٢ .
٩ – السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٢١٢/١ .
١٠ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٧١/٤ .
١١ – السبكي ، طبقات الشافعية ، ٢٧١/٧ .
١٢ – ابن كثير، البداية والنهاية ، ١٤٥/١٣ .
١٣ – ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢٤/٧ .
١٤ – ابن الوردى ، تتمة المختصر ، ٢٥٦/٢ .
١٥ – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٢٨ .
١٦ – ابو شامه ، الروضتين ١٠/١
١٧ – حاجي خليفة ، كشف الظنون ٥٢/١
١٨ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهره ٢٤٤/٧
١٩ – محمد كرد علي ، خطط الشام ٤٠/٤
٢٠ – ياقوت ، معجم الادباء ٧٦/١٧
٢١ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ٧٦/٢
٢٢ – ابن الأثير ، الكامل ، ٣١٥/١٢
٢٣ – ابو شامة ، ذيل الروضتين ، ١٦٣
٢٤ – حاجي خليفه، كشف الظنون ، ١٠١٠/٢
٢٥ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٥٧/١
٢٦ – حاجي خليفة ، مصدر سابق ، ١٥٠٩/٢
٢٧ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣٥٠/٢
٢٨ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ١٠٤/٦

٢٩ – ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ١٥/١
٣٠ – أحمد بدوي ، الحياة العقلية ، ١٦
٣١ – حاجي خليفة ، كشف الظنون ١٤٣٤/٢
٣٢ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٤٣/٧
٣٣ – السيوطي ، حسن المحاضرة ٢٥٥/١
٣٤ – ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٦٩٣
٣٥ – حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ١٣٧٠/٢
٣٦ – محمد علي الهرفي، شعر الجهاد ، ١٥٣
٣٧ – ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٢٤٥/١١
٣٨ – عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، ٥٧٣/٣
٣٩ – شريف محمد نصر الأنصاري الدمشقي، ديوان إبن عنين ، تحقيق خليل مردم دار صادر د.ت.
٤٠ – محمد الهرفي ، شعر الجهاد في الحروب الصليبي، ١٩٦ م
٤١ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٧١/١
٤٢ – الأصفهاني ، جريدة العصر ، ٤٠٦/١
٤٣ – عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، ٤٣٨/٣
٤٤ – الكتبي ، فوات الوفيات ، ٩٢/٢
٤٥ – إبن الأثير ، الكامـــل ، ١٥٩/١٣٢
٤٦ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ١٤٣/٣
٤٧ – عمر موسى باشا ، الأدب في بلاد الشام ، ١٦٣
٤٨ – ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٧١
٤٩ – أبو شامه ، المصدر السابق ، ٦/١
٥٠ – ابن الأثير ، الكامل ، ٥٣٦/١١
٥١ – أبو شامه ، كتاب الروضتين ، ١/ ٢١١ ، ١٧٤
٥٢ – إبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤٩٦/٢
٥٣ – ابن الأثير ، الكامل ، ٤٣٥/١١
٥٤ – أحمد احمد بدوي ، الحياة العقلية ، ١٩٩
٥٥ – ياقوت ، مصدر سابق ، ١١/١٩ .
٥٦ – الكتبي ، فوات الوفيات ، ١٢٢/٣
٥٧ – إبن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٢/١
٥٨ – ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ١٠/١

٥٩ – ياقوت ، معجم الأدباء ، ١٨٨/٥ ، وفيات الأعيان ، ١١٠/١
٦٠ – ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٢٠٧/٣ .
٦١ – عبد الرحمن حميده ، أعلام الجغرافيين العرب دمشق دار الفكر ١٩٨٠ ، ص ٣٩٠ .
٦٢ – إبن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ٦٥٩ .
٦٣ – كرد علي محمد ، خطط الشـام ، ٤٧/٤ .
٦٤ – ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ١٥٨/٢
٦٥ – ياقوت ، معجم الادباء ، ٣١٤/١٩ .
٦٦ – الكتبي ، فوات الوفيات ، ٥٩٧/١ . د
٦٧ – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢٠١/٧ ،الكتبي ، فوات الوفيات ١٧١/١ .
٦٨ – ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ، ٦٩٥
٦٩ – مجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ١٠٣/٢
٧٠ – ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ٧٣٣٠
٧١ – الرحلـه ٢٣٠
٧٢ – الشيرزي ، نهاية الرتبـة ، ١٠٢
٧٣ – ابن أبي أصيبعه ، عيون الأنباء ٥٧٧
٧٤ – إبن واصل ، مفرج الكروب ٣١٦/٢ .
٧٥ – زيغريد هونكه ، شمس الله تسطع على الغرب .
٧٦ – عبد العظيم حفني صابر آخرون ، موجز تاريخ الصيدلة .
٧٧ – إبن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٦/١٣ .
٧٨ – المقريزي ، الخطط ، ٢٥٣/٢ .
٧٩ – أبو شامه ، الروضتين ، ٢٦٨/١ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، ٣٨٩/٥ .
٨٠ – خليل طوطح ، التربية عند العرب ، ٩٧ ٠

الخاتمـــة

ظهر الأيوبيون في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وخلف صلاح الدين عمه في حكم مصر وقيادة جيش الدولة الأيوبية في مصر،واستمر بضع سنين في خدمة نور الدين زنكي الى أن توفي عام ٥٦٩ / ١١٧٤ ، فاستولى على الحكم وأسس الدولة الأيوبية، فشملت مصر والشام والحجاز واليمن، ودامت حوالي ثمانين عاما في الفترة المتدة من ٥٦٩ / ١٠٧١ - ٦٤٨ / ١٢٥٠ .

تابع صلاح الدين سياسة سلفه في توحيد القوى الاسلامية لمواجهة الصليبيين، والقضاء على وجودهم في الشرق، وبالفعل تمكن صلاح الدين من الانتصار عليهم في حطين، وفتح بيت المقدس، وتصفية معظم مراكزهم وقلاعهم في بلاد الشام، ولكن الصليبيين بقيادة ريتشارد قلب الأسد أعادوا تنظيم أنفسهم ووقفوا له بعناد، فاتفق الطرفان على صلح الرملة، وبقيت بيت المقدس للمسلمين، ومضى صلاح الدين بعد ذلك بقليل الى جوار ربه تاركا مهمة تطهير البلاد من الصليبيين الى خلفائه.

بعد وفاة صلاح الدين تولى الحكم أبناؤه، فتنازعوا فيما بينهم الى أن استطاع الملك العادل أخو صلاح الدين أن ينتزع الملك منهم، فيصبح سلطان مصر والشام وغيرها دون منازع، وبعد وفاة العادل تولى الحكم أبناؤه فتنازعوا، وكانت الخطورة في هذا النزاع استنجاد الملك الكامل بالامبراطور فردريك الثاني ضد أخيه، وتسليمه بيت المقدس والناصرة وبيت لحم وصيدا وتبنين.

استمر النزاع بين الأيوبيين وبقيت بيت المقدس بيد الصليبيين الى أن اتفق الملك الصالح أيوب مع الخوارزمية على مهاجمة الصليبيين، فأعاد وحدة الدولة الأيوبية وحرر بيت المقدس، ولكن هذه الدولة سرعان ما تهاوت بتآمر شجرة الدر على قتل توران شاه مفسحة المجال لقيام دولة المماليك سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ .

حاول صلاح الدين الأيوبي بناء الدولة على أسس ثابتة الدعائم، فحاول بناء مجتمع سليم بتعميق العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين، واكسابهم الأخلاق

الحميدة، ودعم المذهب السني، والقضاء على المذهب الشيعي، وتشجيع الحركة الصوفية، رائده في ذلك **رفع راية الجهاد وتحرير بيت المقدس.**

لقد وضع صلاح الدين بذور نهضة علمية كبيرة في مصر والشام، استمرت في الازدهار طيلة أيام الدولة الأيوبية، فقد رعى السلاطين الأيوبيون المعلم والعلم، حتى أن معظمهم كانوا من العلماء، وكذلك كان وزراؤهم وأمراؤهم منذ عهد صلاح الدين نفسه، فقد أنشأ صلاح الدين المدرسة الصلاحية بدمشق والصلاحية بالقدس، والناصرية والقمحية والسيوفية في القاهرة، ثم أخذت المدارس تنتشر في مدن مصر والشام، وبنى المعظم المدرسة النحوية بالقدس، كما أشاد الملك الكامل دار الحديث الكاملية، والملك الصالح أيوب المدرسة الصالحية و... واقتفى الأمراء والأميرات والوزراء ملوكهم في بناء المدارس فبنى القاضي الفاضل المدرسة الفاضلية.

ولم تكن المدارس وحدها ساحات العلم، فقد كانت الكتاب والجوامع والمساجد والزوايا والخوانق والربط مظهرا من مظاهر في الحياة العلمية في العصر الأيوبي.

استقطب الأيوبيون العلماء لتعيينهم مدرسين في هذه المدارس، ومن أشهرهم الشاطبي، وعبداللطيف البغدادي وابن دحية..... وغيرهم.

وكان السلطان يعين من يقوم بالتدريس في هذه المدارس، فكان المدرس يتميز بغزارة علمه، وبعد صيته، وقدرته على العطاء والقاء درسه ومناقشة طلابه، وتوجيههم والأخذ بيدهم، وكان لكل مدرس معيد أو معيدان، والمعيد أقل رتبة من المدرس، ولكنه أقدر من عامة الطلبة، يجلس الى جانب المدرس ويستمع اليه، وعليه توضيح ما ألقاه المدرس للطلبة، وتفهيمهم ما لم يستوعبوه من المدرس.

اعتنى الأيوبيون بالمكتبات ليرجع اليها المدرسون والطلاب، ويعتمدون عليها في التحصيل والاستزادة. وقد اقبل السلاطين والعلماء على اقتناء الكتب وتحصيلها، كما كان الواقفون يوجدون المكتبات اللازمة للمدارس أو للمراكز التعليمية التي ينفقون عليها، وكانت المكتبات تحوي مؤلفات في العلوم الدينية والعربية بالاضافة الى كتب التاريخ والفلك والطب والهندسة والفلسفة، ويقال انه كان في مكتبة القصر الفاطمي

أكثر من مليوني كتاب، استمر بيعها مدة عشر سنوات(٧٨)، وأن القاضي الفاضل استحوذ على (١٢٠) ألف كتاب منها (٧٩)، وكان في المكتبة (١٢٢٠) نسخة من تاريخ الطبرى.

وعندما ازدادت المدارس والمساجد والمكتبات، احتاجت الى عدد من المدرسين والمعيدين، كما أصبح من الضروري توفير المال اللازم للانفاق على المراكز التعليمية ودفع رواتب المعلمين، فلجأ الأيوبيون الى حبس الأوقاف المنتجة للانفاق على التعليم، مدارس، ومدرسين ولوازم تعليمية، بالاضافة الى الانفاق على الطلاب ولا سيما المغتربين منهم، وشملت الأوقاف الأراضي الزراعية، والحوانيت والأفران، أما الكتاب فكانت تخصص لها أوقاف للانفاق على مؤدبيها وتلاميذها، كما كانت تجرى عليهم الجراية الكافية لهم.

كان المعلم محور العملية التعليمية، اذ كانت شخصيته مستمدة من شخصيته الدينية الى حد كبير، وكان مستوى المعلمين مناسبا، ولا سيما المدرسين، وكانت ثقافتهم تستند الى قاعدة ثقافية، تشمل علوم العصر من فقه وحديث وتفسير وطب وحساب، بالاضافة الى اتقان أحد المواضيع، لذلك نال تقدير طلابه، واحترام زملائه، فأطلقوا عليه لقب الشيخ، وهو لقب تشريفي وليس لقباً علمياً، وكان المعلم أبا رحيما للطلاب، ولكنه كان يعاقب المهمل، ولا ينتقم منه، رائده اصلاحه، كما يثيب الطالب، وقد اعتمد أسلوب التلقين والتكرار لتوصيل المعلومات الى الطلاب.

كان الطلاب يذهبون الى المدرسة في سن مبكرة، بعد أن يكونوا قد تلقوا بعض العلوم في بيوتهم، وكان مخصص لكل مدرس حوالي عشرين طالبا، ويبدو أنه لم يكن هناك مكان لتعليم البنات في المدارس خشية الفساد، وحرصا على الأخلاق وحفظا للدين(٨٠)، وعندما كان الطالب ينهي دراسته لمادة أو كتاب باتقان، كان المعلم يمنحه اجازة أو اذنا برواية أو بتدريس الموضوع الذي أجيز به.

كانت المناهج الدراسية ترتبط بحاجات المجتمع الى حد ما، وتسعى الى تهيئة الأولاد للحياة الاجتماعية، وتنمية القدرات والمواهب، ولما كانت البيئة انذاك دينية الى حد كبير، فقد ركزت المناهج على خدمة الدين وتعزيز العقيدة، واستنهاض الهمم

للجهاد. لقد شملت المناهج العلوم الدينية والعربية لتعليم الناس العبادات وقراءة القرآن، وكان الحساب يدرس لاستخدامه في المعاملات والفرائض وقسمة الارث، أما الطب فكان يدرس بهدف معالجة المرضى، واسعاف الجرحى، وكان الفلك يدرس لمعرفة أوقات الصيام والصلاة، وهكذا كان لكل منهاج صلة بالدين.

التحليل : -

سار صلاح الدين على سياسة سلفه نور الدين في رفع راية الجهاد، ومحاولة توحيد مصر والشام لتحرير البلاد من الصليبيين، ونشر العلم، وفتح المدارس لتعزيز مكانة أهل السنة، فقد أدرك أنه يصعب التغلب على الصليبيين الا بتوحيد الجبهة الداخلية، وتوحيد البلاد، وتنظيم الجيش والأسطول، وتحصين الحدود واثارة حماس الناس للجهاد في سبيل الله، فاستمر في فتح المدارس رائده في ذلك توظيف التعليم، لدعم دولته واكتساب ثقة الناس، ونشر الخلق الحميدة، بالاضافة الى رعاية العلم، وتحبيب الناس الى اكتساب المعارف، وبهذا حاول أن يضع أسساً واضحة لاقامة دولة قوية مجاهدة .

لم ينجح خلفاء صلاح الدين في توحيد كلمتهم، فتنازعوا فيما بينهم، وآثروا مصالحهم الشخصية، وكان هم كل واحد منهم السيطرة وتملك البلاد، فذهبت ريحهم، وطمع بهم الأعداء، وتغيرت سياسة الجهاد التي اتبعها صلاح الدين، وأصبحوا مدافعين بعد أن كانوا مهاجمين، بل إنهم آثروا مسالمة الصليبيين، وطلب معونتهم ضد اخوانهم، فهذا الملك العادل يتنازل عن الرملة وصيدا تجنبا للاصطدام معهم سنة ٦٠٤ / ١٢٠٧ ، حتى أن امرأة قصت شعرها وأرسلته اليه لتحثه على الجهاد.

تابع الأيوبيون النزاع فيما بينهم، والتنافس على تقديم التنازلات للصليبيين، فقد سلم الملك الكامل بيت المقدس للصليبيين طلبا لمساعدتهم ضد أخيه، وتنازل الملك الصالح اسماعيل عن تبنين وقلعة الشقيف وحتى المسجد الأقصى للاسبتارية حرصا على مساعدته ضد ملك مصر، الملك الصالح أيوب، وبهذا تعطل أهم هدف للتعليم **في العصر الأيوبي وهو الجهاد**، وبرز هدف شخصي وهو وضع المصلحة الشخصية

فوق المصلحة العامة، وكأن الملوك الأيوبيون يعيشون في هذه الأيام.

بدأ الملوك الأيوبيون يخففون من التشدد الذي أبداه صلاح الدين في مقاومة الفساد، فقد تشاغل الأفضل عن مصالح العباد، وانشغل باللعب والشرب، وبدأت تظهر الخمور في الحانات، ولا سيما أيام الملك المعظم والصالح أيوب، حتى أنهما عزلا من حاول التشهير بهما بسبب وجود الخمور في الحانات، وبهذا نلاحظ أن التمسك بأهداف التعليم التي تبناها صلاح الدين بدأ يضعف قليلا قليلا.

تابع الأيوبيون سياسة فتح المدارس، ومقاومة التشيع وكان الهدف من هذه السياسة هو محاولة التقرب الى الناس، واكتساب ثقتهم لبناء قاعدة شعبية لهم، فكان فتح المدارس دون تخطيط، ودون دراسة حاجة المجتمع من المدارس، وانما هو تقليد، فيعتقد مثلا أن بناء المدرسة الصالحية في مصر هو تقليد لبناء المدرسة المستنصرية في بغداد.

حرص الأيوبيون على تخليد ذكراهم، وابقاء سيرة حسنة يذكرهم بها الناس، ويترحمون عليهم بعد موتهم بسببها، ووجدوا في بناء المدارس ما يحقق لهم ذلك، فأكثروا من انشاء المدارس والعناية بها، ووقفوا عليها، ورصدوا لها الأموال وزودوها بخزانة الكتب، خدمة للقراء والباحثين، لقد تركزت المدارس في مدينة القاهرة ودمشق وحلب والقدس، في حين كانت بقية المدن تكاد تخلو من المدارس، وكانت معظم هذه المدارس صغيرة لا تستوعب الا أعدادا قليلة من الطلاب، فالمدرسة النحوية ما هي الا غرفة صفية واحدة، ولم يكن قسم كبير منها في بناء مستقل بذاته، وانما كان جزءا ملحقا بالمسجد، أو بيت أحد الواقفين.

ولا يعني ذلك أن نقلل من أهمية المدارس التي تأسست في العصر الأيوبي، فهي مأثرة لهم، ولا سيما المدارس المتخصصة كدور القرآن والحديث والمدرسة النحوية والصالحية التي تدرس فقه المذاهب الأربعة بالاضافة الى مدارس الطب بغض النظر عن أهداف تأسيسها.

ومن المآثر التي خلدها الأيوبيون هو حماية المذهب السني من الاندثار واستقطاب العلماء لدعم هذا المذهب، واجراء الوقوف للانفاق على التعليم في المدارس والمساجد

والربط والخوانق والزوايا، وبهذا لم تكن الدراسة حكرا على فئة من الناس، حتى أن الطلاب جاءوا الى المشرق طلبا للعلم لتوفر الجرايات لهم.

الايجابيات في التعليم

كانت المدارس في العصر الأيوبي تعنى بتدريس العلوم الدينية من تفسير وفقه وقراءات، بالاضافة الى علم اللغة العربية، كما كان يعنى بتدريس الفلك والحساب، والطب على أيدي مدرسين متخصصين، وكان يهتم بتدريس الطب في المستشفيات وبعض مدارس الطب، وكانت ترتبط المناهج الدراسية بحاجة المجتمع، وتسعى الى تهيئة الطلاب للحياة الاجتماعية، ولذلك **كانت المناهج تركز على حث الطلاب على الجهاد، وتدربهم على ركوب الخيل، فأوجدت مجتمعا يحب الجهاد**، ويحرص عليه اذا توفرت له فرص لتحقيق ذلك.

لقد كان لرعاية الأيوبيين للحركة التعليمية، وفتحهم المدارس، وتوفير المال اللازم لتغطية نفقات التعليم، واستقطابهم للعلماء المشهورين في الأندلس وبغداد، أمثال :الشاطبي وابن دحية وعبد اللطيف البغدادي أن نشطت الحركة الثقافية في البلاد،وازدهرت حركة التأليف في شتى المواضيع، ومازالت هذه المصنفات مصادر هامة في العلوم الدينية والعربية .

لقد ظهر في هذه الفترة عدد من الكتاب في مختلف الميادين، ومنهم، السكاكي ت ١٢٢٩/٦٢٦ الذي رتب أبواب علم البيان في كتابه المفتاح في النحو والتصرف البياني، ومنهم الصاغاني ت ٦٥٠ / ١٢٥٢ في جهوده في اللغة، كما ان عمرو بن الحاجب ت ١٢٤٨/٦٤٦ عمل في النحو بالاضافة الى تلخيص طرق المذهب المالكي في الفقه ووضع أقوال علمائه ، ومن الذين اشتغلوا بعدد كبير من وجوه العلم عبد اللطيف البغدادي ت ١٢٣١/٦٢٩ ، وقد وضع كتبا في الطب والفلسفة والمنطق واللغة والبلاغة . ونبغ في هذه الفترة عز الدين بن الأثير صاحب كتاب الكامل في التاريخ، وياقوت الحموي مصنف معجم البلدان، القفطي ١٢٤٨/٦٤٦ صاحب كتاب " أنباه الرواة على أنباه النحاة .

ولا شك أن كثيرا من المصنفات التي الفت في هذه الفترة ما زالت محط أنظار

العلماء والأدباء والطلاب في دراساتهم وبحوثهم .

السلبيــات :

ازدهرت الحركة التعليمية والفكرية في العهد الأيوبي، الا أنها كانت تتعرض الى كبح وجمود بين الحين والآخر، فقد تعرض بعض العلماء والمفكرين الى النفي أو الطرد أو القتل لأنهم حاولوا مخالفة بعض آراء الفقهاء، أو لأنهم حاولوا دراسة علوم الأوائل من فلسفة ومنطق .

تركز التعليم في المدن الكبيرة، وقلت المدارس في المدن الأخرى، وانعدمت في القرى ، كما أن عدد الطلاب في المدرسة الواحدة كان محدودا، مع أن التعليم كان مفتوحا لمن أراد، الا أن المراكز التعليمية كانت غير قادرة على استيعاب الأعداد المتزايدة من طلاب العلم .

لم يكن هناك مجالا لتعليم الفتيات في المدارس ، حتى أن الفتاة كانت تحرم من دراسة الخط أو الشعر، ولذلك كان تعليم المرأة يتم في البيوت على الأهل، ولكن فرص التعليم للبنات بقيت محدودة اذا ما قيست مع الفرص المتوفرة لتعليم الذكور، مع أن تعليم المرأة في تلك العصور كان سابقا للمجتمعات الأخرى .

لم يكن خلفاء صلاح الدين بمستواه، ولم يسيروا على السياسة التي رسمها في توحيد البلاد، ورفع راية الجهاد ومقارعة الصليبيين.

الجديد في الرسالة

حاولت أن ألفت الأنظار الى المزيد من الدراسة للتراث العربي الاسلامي البالغ العراقة، لتعميق الأصالة العربية بمعرفة التراث، كما حاولت أن أبرز الصورة المتكاملة للتعليم في العصر الأيوبي من حيث:

– ابراز أهمية المجتمع الأيوبي والفئات التي تتكون منه، والأهداف التي يسعى هذا المجتمع الى تحقيقها من خلال تأسيسه المدارس والمراكز التعليمية.

– توضيح دور الأيوبيين في بناء المدارس والمراكز التعليمية ومصادر تمويل التعليم.

– ابراز دور المعلم في العملية التعليمية من حيث قيامه بالتدريس، واذكائه روح

الجهاد في نفوس الناس.

- توضيح دور المناهج التعليمية في دعم الجهاد وتحرير البلاد .

- بيان أثر تأسيس المدارس والمراكز التعليمية على ازدهار الثقافة، وانتعاش حركة التأليف وكثرة المصنفات في مختلف المواضيع.

- ابراز دور التعليم في بناء مجتمع قادر على مجابهة التحديات الصليبية. وبهذا وضعت التعليم في العصر الأيوبي في ضوء النهار بعد أن استغلق، وبقي في عتمة الليل ردحا من الزمن.

وأخيرا أرجو بهذا الجديد المتواضع أن أكون قد ألقيت الضوء الساطع على التعليم في العصر الأيوبي، علما بأنني اعتقد أن الصورة التي وضعتها تحتاج الى مزيد من التوضيح، وأرى من واجبي العودة الى مصادر أكثر لاستكمال الصورة الناقصة في هذه الرسالة.

ما العبرة من هذه الدراسة ؟

نجح الأيوبيون الى حد كبير في حل مشاكلهم، فما هي الخطوات التي اتخذوها لتحقيق ذلك؟ لقد ركز الأيوبيون على بناء مجتمع سليم، ونشروا الفضيلة، وحاربوا الرذيلة، جمعوا الكلمة، ووحدوا الصف، وتمسكوا بالعقيدة الاسلامية، وطبقوا الشريعة، والتزموا بالمثل العليا الاسلامية، فجعلت العقيدة من ضمير كل انسان رقيبا عليه، يراقب تصرفاته آناء الليل والنهار، سواء أكان السلطان أو أقل انسان، فساد المجتمع المحبة والاخاء والخلق القويم، والانتماء، والعقيدة السمحة.

جعل الأيوبيون همهم وهدفهم الأسمى توحيد بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن، وأحاطوا بالصليبيين احاطة السوار بالمعصم، وأعدوا العدة ووقفوا أمامهم يدا واحدة، وكبحوا جماحهم، وطهروا مناطق واسعة منهم. وتابعوا مقارعتهم ردحا من الزمن دون كلل أو يأس.

استغل الأيوبيون موارد البلاد لخدمة المجتمع، فنشروا التعليم، وأكثروا من فتح المدارس، لتعليم علوم القرآن والطب والفلك واللغة، فكان التعليم عاملا في رقي

المجتمع ونجاحه، واذكاء روح الجهاد في نفوس الناس.

وبهذا تقلصت ممتلكات الصليبيين، وظهرت نهضة علمية ما زلنا نتغنى بها، حتى أشاد معظم المؤرخين بمآثر الأيوبيين، وصرنا نقيم الاحتفالات بذكرى حطين، ومرور ثمانية قرون على انتصار صلاح الدين في هذه المعركة.

ان المتتبع لتاريخ الأيوبيين يلاحظ أن البيئة الأيوبية تشابه بيئتنا العربية، وأن مشكلات الأيوبيين تماثل المشكلات التي تواجهنا الى حد كبير، عدو يتربص بنا، وهو اسرائيل و أمريكا، دويلات عربية متعددة، متنازعة فيما بينها، تركز كل منها على الاقليمية، هدر للأموال العامة، أموال تصرف في غير أصولها، دون تركيز على الضروريات اهتمام ،بمشاريع استهلاكية بدلا من المشاريع الانتاجية، مما أدى الى تخلف في الاقتصاد.

يشهد الوطن العربي والاسلامي اتساعا في حركة التعليم، ولكنه يعيش حالة من الفراغ الفكري، ويخشى أن يفقد هويته الثقافية، ولا شك أن التجزئة السياسية التي يعيشها العالم العربي مسؤولة عن ذلك الى حد كبير، لذلك يشكو العرب من غياب بناء تعليمي تربوي ثقافي ذاتي، ونقص في التخطيط، حتى أصبحنا نمر في مرحلة تتميز بالفصام، وتتعثر في محاولة معرفة السبيل، فبعض الناس يعتقد أن الثقافة الاسلامية توفر كل ما نحتاجه وتخرجنا من هذا الضياع، والبعض يرى أن الانفتاح على كل جديد فيه الحل لكل مشاكلنا، وانني أرى أنه يجب المحافظة على تراثنا وأصالتنا، ونأخذ من الحضارة الغربية والشرقية ما يجعلنا في الدول المتقدمة دون أن نفقد أصالتنا، وفقا لقوله (ص) "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها"، فنحن بحاجة الى اعادة ترسيخ القيم والمبادىء العربية الاسلامية ضمن اطار من الوحدة، ونستفيد من معطيات الثقافة العالمية والتطور التقني كي تصهر في بوتقة الثقافة العربية الاسلامية .

فهلا استفدنا من الأيوبيين واكتسبنا العبرة منهم، واستفدنا من سيرتهم وسيرة اباتنا الأوائل، يعتقد الكثير من الناس اننا اذا اقتفينا **سيرة الأجداد بالعودة الى العقيدة، وتمسكنا بها قولا وعملا، وانه اذا اتجهنا الى الاسلام فاننا سنحقق ما**

نصبوا اليه، لأنه اتجاه الى العقل والعلم لتحقيق مستقبل أفضل، فالاسلام سيفرض نفسه بطاقاته العقلية والعلمية على الحاضر والمستقبل.

التراث والنظرة المستقبلية :

يكتسب التراث معنى الديمومة من خلال استمراره في حياة المجتمعات التي ورثته، ومن خلال قدرته على المساهمة في اغناء التراث الحضاري، فالى أي مدى يمكن أن يوظف التراث في خدمة المستقبل؟

يبدو أننا عندما نعود الى تراثنا الماضي ،نجد اختلاف الظروف الحضارية التي عاشها أجدادنا، ونعيشها نحن، وننسى أن ما تركوه لنا من تراث في مجالات السياسة والفكر والأدب والفن لم تكن الا استجابة لحاجات مجتمعهم وتكيفا مع ظروفهم، ونحن كمنتمين الى ذلك التراث لنا حاجاتنا التي تختلف في دوافعها، وفي العوامل التي كونتها وفي طرق تلبيتها، ويكون من الظلم لأجدادنا أن نطلب منهم حلولا لزمن لم يعيشوه، وظلما لأنفسنا أن نتوقع وجود حلول في التراث لمشاكلنا التي عجزنا عن حلها.

ان دراستنا للتراث تهدف الى التعرف على ذاتنا، باكتشاف الحجم الحقيقي لمساهمة تراثنا في صنع تاريخ الحضارة الانسانية، والاعتراف بفضل غيرنا من خلال ما قدموه من اسهامات، فالحضارة هي نتاج مجموعة الأمم والشعوب التي عاشت وتعيش على هذا الكوكب.

نحن نفخر بأننا سبقنا الأمم، وأننا قدمنا للبشرية الشيء الكثير، في مجال العلم والفكر، وقد اعترف الغرب بذلك، فأخذ عنا ثم أصبح يتقدم، ونحن ما زلنا نجتر أمجاد الماضي، ونهاجم الحضارة الغربية، ونكيل لها دون أن نحاول مواكبة هذه الحضارة، لذلك علينا التغني بأمجاد الماضي لتكون منطلقا لنا لمواكبة الحضارة والعمل بمنتجاتها بأسلوب علمي سليم، وعلينا أن نحرر أنفسنا من الأنانية والمصلحة الشخصية، ونركز على أصالتنا ومعاصرتها، رائدنا في ذلك الوحدة الحقة لنتمكن من مواجهة التحديات التي تواجهنا والمشاكل التي تعترضنا، والمساهمة في بناء الحضارة، وبناء مجتمع سليم متماسك يسوده الحب والتعاون والاخاء، له أهداف واضحة،

وعقيدة سليمة، وقدرة على مواجهة الاخطار التي تتعرض لها البلاد .

والخلاصة أن التراث يكتسب معنى الخلود والديمومة من خلال استمراره في حياة المجتمعات الذي ورثته، ويحافظ على شخصية الأمة، لذلك لا بد من المساهمة في اغناء التراث الحضاري، والاستفادة من كل ما هو مناسب، والانفتاح على كل فكر جديد، في التربية والتعليم والعلم، وعناصر الحضارة الأخرى،لاعادة الوطن العربي والاسلامي الى مكانته السابقة، كبلد يقود دول العالم في بناء الحضارة العالمية، وايجاد الحياة الأفضل لكل مواطن، باستغلال الموارد بطريقة سليمة ولفائدة الجميع.

المصادر والمراجع

المصادر

١ - ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبوالعباس أحمد بن القاسم ت ٦٦٨ / ١٢٧٠
عيون الأنباء في طبقات الأطباء بيروت ، دار الثقافة ١٩٨١

٢ - ابن الأثير، عز الدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم بن عبدالله الواحد الشيباني، ت ٦٣٠ / ١٢٣٢ **الكامل في التاريخ** ، ١٢ جزءا بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٦

٣ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبوالمحاسن يوسف، ت ٨٧٤ / ١٤٦٩ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة**، مطبعة دار الكتب العربية ١٩٣٥

٤ - ابن جبير، أبوالحسن محمد بن أحمد الأندلسي، ت ٦١٤ / ١٢١٧ **الرحلة** تحقيق حسين نصار، القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٥٥,

٥ - ابن حجر العسقلاني، الامام الحافظ أحمد بن علي، ت ٨٥٢ / ١٤٣٨
هدى الساري مقدمة فتح الباري تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة،(لا. ت)

٦ - ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن خلدون المغربي، ت ٨٠٨ / ١٤٠٦
* **العبر وديوان المبتدا والخبر، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ٧ أجزاء القاهرة ،المكتبة التجارية، ١٦٧١
* **مقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون** بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب العربي، ١٩٦١ .

٧ - ابن خلكان، شمس الدين أبوالعباس أحمد بن ابراهيم ت ٩٨١ / ١٢٨٢
وفيات الأعيان وابناء الزمان ، ٧ أجزاء تحقيق ، احسان عباس. بيروت، دار صادر، ١٩٧١

٨ - ابن شداد، القاضي بهاء الدين أبوالمحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة ت ٦٣٢ / ١٢٣٤
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق، جمال الدين الشيال القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٤

٩ - ابن شداد، عز الدين أبوعبدالله محمد بن علي، ت ٦٨٤ / ١٢٨٥
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة تحقيق، سامي الدهان دمشق، وزارة الاعلام، ١٩٧٠

١٠ – ابن عبري، غريغوريوس الملطي، ت ٦٨٥ / ١٢٨٦
تاريخ مختصر الدول بيروت، دار السيرة (لا . ت)
١١– ابن كثير ،عماد الدين أبوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤ / ١١٣٤
البداية والنهاية بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م
١٢– ابن منقذ، مؤيد الدولة أبوالمظفر اسامة بن رشد الكناني الشيزري، ت ٥٨٤ / ١١٨٨
الاعتبـــــار تحقيق فليب حتي بيروت، الدار المتحدة، ١٩٨١
١٣ – ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧ / ١٢٩٨
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب جزءان تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢
١٤ – ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، ت ٧٤٦ / ١٣٤٨
تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدراوي بيروت دار المعرفة، ١٩٧٠
١٥ – أبو شامة شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي ت ٦٦٥ / ١٢٦٧
• **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، جزءان تحقيق محمد حلمي محمد أحمد القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٢ .
• **الذيل على الروضتين**، تحقيق عزت العطار ، القاهرة ١٩٤٧
١٦ – أبوالفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين ت ٧٣٢ / ١٣٢١
المختصر في أخبار البشر ، ٣ أجزاء القاهرة، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٥
١٧ – حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجة خليفة وكاتب جلبي، ت ١٠٦٧ / ١٦٥٨
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون استانبول، المطبعة البهية ١٣٦٠ / ١٩٤١
١٨ – السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين ت ٧٧١ / ١٣٦٨
طبقات الشافعية الكبرى ١٠ أجزاءبيروت، دار المعرفة، (لا . ت)
– السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن ، ت ٩١١ / ١٥٠٥
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبوالفضل ابراهيم القاهرة ، الدار القومية للطباعة، ١٩٦٥
٢٠ – الشيرزي، عبدالرحمن بن نصر، ت ٥٨٩ / ١١٩٣
نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق، السيد الباز العريني القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦
٢١ – العماد الأصفهاني، أبوعبدالله محمد بن صفي الدين أبوالفتح محمد بن نفيس ت ٥٩٧ / ١١٠١
• **الفتح القسي في الفتح القدسي** تحقيق، محمد محمود صبح القاهرة، الدار القومية

للطباعة، ١٩٦٥
• **خريدة القصر وجريدة العصر**
تحقيق، شكري فيصل دمشق، المجمع العلمي، الجزء الأول ١٩٥٥ الثاني ١٩٥٩
٢٢ – الغزالي، الامام أبوحامد، ت ٥٠٥ / ١١١١
إحياء علوم الدين ٤ أجزاء، بيروت دار المعرفة، ١٩٨٣
٢٣ – القلشندي، أبوالعباس أحمد بن علي ت ٨١١ / ١٤١٨
صبح الأعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزءا القاهرة و وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٣
٢٤ – الكتبي، محمد بن شاكر ت ١٣٦١/٧٦٤
فوات الوفيات، ٤ أجزاء تحقيق، احسان عباس بيروت، دار صادر ١٩٧١
٢٥ – مجير الدين الحنبلي قاضي القضاة ابواليمن
الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل جزءان عمان، مكتبة المحتسب، ١٩٧١
٢٦ – المقريزي، أحمد بن علي ت ٨٤٥ / ١٤٤١
السلوك لمعرفة دول الملوك ٤ أجزاء تحقيق، محمد مصطفى زيادة القاهرة، مطبعة الكتب ١٩٧٠
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٣ أجزاء القاهرة، طبعة بولاق، ١٣٧٠ هـ
٢٧ – النعيمي، عبدالقادر محمد بن عمر بن يوسف ت ٩٢٧ / ١٥٢١ ،
الدارس في تاريخ المدارس جزءان تحقيق الأستاذ جعفر الحسني دمشق، المجمع العلمي ١٩٤٨
– ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله الحموي الرومي ت ٦٣٦ / ١٢٢٩
معجم الأدباء ، ٢٠ جزءا القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٣٦

المراجع

٢٩ – الأكوع، اسماعيل علي ،**المدارس الاسلامية في اليمن** منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٠
٣٠ – الأهواني، أحمد ،**فؤاد التعليم في الاسلام** القاهرة، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥
٣١ – أمين، أحمد، **ظهر الاسلام** ط ٥ (جزءان) بيروت، دار الكتاب العربي ١٩٦٩
٣٢ – باشا، أحمد فؤاد، **التراث العلمي والحضارة الاسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة** القاهرة، دار المعارف ١٩٨٣

٣٣ – باشا، عمر موسى، **الأدب في بلاد الشام في عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك** دمشق، المكتبة العباسية (د . ت)
٣٤ – بدوي، أحمد حمد ، **الحياة العقلية في الحروب الصليبية بمصر والشام** القاهرة، دار يقظة مصر للطبع والنشر ١٩٧٢
٣٥ – برجاوي، سعيد أحمد، **الحرب الصليبية في المشرق** بيروت، دار الآفاق الجديدة ١٩٨٤
٣٦ – حتي، فليب، جرجي ادوارد، جبور جبرائيل، **تاريخ العرب (المطول)** بيروت، دار غندور للطباعة والنشر ١٩٨٠
٣٧ – حتي ، فليب، **خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى** (جزءان) بيروت، الدار المتحدة للنشر ١٩٨٢
٣٨ – حسن، حسن ابراهيم، **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي** ٤ أجزاء القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧
٣٩ – حمادة ، محمد ماهر، **المكتبات في الاسلام** بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٠
٤٠ – حميدة ، عبدالرحمن، **اعلام الجغرافيين العرب** دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠
٤١ – الخالدي ، أحمد سامح، **ادارة الصفوف** القدس، المطبعة التجارية، ١٩٣٨
٤٢ – الخالدي، اسماعيل عبدالعزيز، **العالم الاسلامي والغزو المغولي** الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٤
٤٣ – الخضري بك، الشيخ محمد، **تاريخ الأمم الاسلامية** القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٧٠
٤٤ – جميعان، ميخائيل ،**المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية** عمان، المطبعة الاقتصادية (د . ت)
٤٥ – جب، هاملتون ،**دراسات في حضارة الاسلام** ترجمة د. احسان عباس، محمد يوسف نجم بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٤
٤٦ – الدباغ، مصطفى، **الموجز في تاريخ الدول الاسلامية في بلاد فلسطين** بيروت، دار الطليعة ١٩٨٠
٤٧ – رنسيمان ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية** جزءان ترجمة السيد الباز العريني بيروت، دار الثقافة ١٩٦٨
٤٨ – زريق، قسطنطين، **نحن والتاريخ** بيروت، دار العلم للملايين ١٩٦٣
٤٩ – زيادة، نقولا، **عالم العصور الوسطى في اوروبا** يافا، المكتبة العصرية ١٩٤٧
٥٠ – السباعي، مصطفى، **من روائع حضارتنا** عمان، المكتبة الاقتصادية ١٩٧٨
٥١ – سعداوي، نظير حسان، **جيش مصر** القاهرة، مطبعة النهضة المصرية ١٩٥٧ **الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي** القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧

٥٢ – سلطان، محمود السيد، **بحوث في التربية الاسلامية** الكويت، مؤسسة علي جراح الصباح ١٩٧٨

٥٣ – سمبل، .س، **الحروب الصليبية** ترجمة سامي هاشم بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٢

٥٤ – الشرابي، هشام ،**مقدمة لدراسة المجتمع العربي** بيروت، دار الثقافة ١٩٧٧

٥٥ – الشلبي ، **أحمد تاريخ التربية الاسلامية** القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٠

٥٦ – ضيف ، شوقي ،**تاريخ الأدب العربي،عصر الدول والامارات في مصر والشام** القاهرة،دار المعارف، ١٩٨٤

٥٧ – طلس، محمد اسعد، **تاريخ العرب** ٥ أجزاء بيروت، دار الأندلس ١٩٧٩

٥٨ – طوطح ، خليل، **التربية عند العرب** القدس المطبعة التجارية (د . ت)

٥٩ – العارف ، عارف، **المفصل في تاريخ القدس** القدس مكتبة الأندلس ١٩٤٧

٦٠ – عاشور، فايد حماد محمد، **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية** بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥

٦١ – عاشور، سعيد، **الناصر صلاح الدين** القاهرة، الدار القومية للطباعة ١٩٦٥، **مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك** القاهرة، النهضة المصرية ١٩٧١

٦٢ – عاشور ، سعيد، **الحركة الصليبية** جزءان القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٧٦، **تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** القاهرة، النهضة المصرية ١٩٧٦، **أوروبا في العصور الوسطى** القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٧٨

٦٣ – عبدالدائم ، عبدالله، **التربية عبر التاريخ ط ٢** بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٨٤

٦٤ – عبدالحميد، عرفان، **دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية** بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤

٦٥ – عبد العال، حسن ابراهيم، **فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة**، الكويت، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥

٦٦ – عبدالوهاب، حسن حسني ،**كتاب اداب المعلمين لمحمد بن سحنون المتوفي سنة ١٥٦ هـ** تونس ، ١٩٧٢

٦٧ – عبدالمهدي، عبدالجليل حسن ،**المدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي** ،عمان، مكتبة الأقصى ، ١٩٨١

٦٨ – عثمان، عبدالكريم، **معالم الثقافة الاسلامية**، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢

٦٩ – العريني ، الباز، **الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٧ **المماليـك** بيروت ، دار النهضة ، ١٩٧٩

٧٠ – العسلي، كامل ،**معاهد العلم في بيت المقدس** ،بيروت ، دار الثقافة ١٩٧٥، **أجدادنا في ثرى بيت المقدس** عمان ، مؤسسة آل البيت ١٩٨١، **وثائق مقدسية تاريخية** عمان ، الجامعة الأردنية ،

١٩٨٣
٧١ – عفيفي، محمد عبدالهادي، **في أصول التربية** القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٧
٧٢ – العقاد، محمود عباس، **أثر العرب في الحضارة الأوروبية** القاهرة ١٩٦٠
٧٣ – العكش، ابراهيم، **التربية والتعليم في الأندلس** عمان ، دار الفكر ، ١٩٨٥
٧٤ – علوان ، عبدالله، **صلاح الدين الأيوبي** ،بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ **تربية الأولاد في الاسلام** جزءان بيروت دار السلام للطباعة، ١٩٨١
٧٥ – الغامدي ، عبدالله سعيد محمد، **صلاح الدين والصليبيون** مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، ١٩٨٥
٧٦ – غنيم ، محمد عبدالرحيم، **تاريخ الجامعات الاسلامية** ،تطوان ، ١٩٥١
٧٧ – غوانمة ، يوسف حسن، **امارة الكرك الأيوبية** ،عمان ، دار الفكر، ١٩٨٠
٧٨ – فروخ ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٧٩
٧٩ – كحالة ، عمر رضا، **العلوم العملية في العصور الوسطى**، دمشق ، المطبعة التعاونية ١٩٧٢
٨٠ – كرد علي ، محمد، **خطط الشام ط٢** ، ٣ أجزاء بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣
٨١ – لوبون ، غوستاف، **حضارة العرب**، وترجمة عادل زعيتر القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٩
٨٢ – لجنة الجامعيين، **لنشر العلم تراث الاسلام**، ترجمة مجموعة من الأساتذة القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٩٣٦
٨٣ – مراد ، عبدالرحمن محمد، **عز الدين بن عبدالسلام**، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ١٩٨٠
٨٤ – محمد ، جمال أحمد، **نحو تربية اسلامية**، جدة ، مكتبة تهامة ١٩٨٠
٨٥ – معاضيدي ، مماشع ، سودي محمد، دريد عبدالقادر **الوطن العربي والغزو الصليبي**، بغداد ، منشورات دائرة البحث العلمي، ١٩٨١
٨٦ – معاضيدي خاشع ، **الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي**، جامعة بغداد ١٩٧٦
٨٧ – معروف ، ناجي **أصالة الحضارة الاسلامية**، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٥
٨٨ – المطوي ، محمد العروسي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب تونس** ، دار الكتب الشرقية ١٩٥٤
٨٩ – الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنكة، **أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها**، بيروت، القومية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٠
٩٠ – ناصر ، ابراهيم ،**مقدمة في التربية** ،عمان ، الجامعة الأردنية ١٩٨٠
٩١ – النجيحي ، محمد لبيب، **مقدمة في فلسفة التربية** ،القاهرة ، الأنجلو مصرية، ١٩٦٩

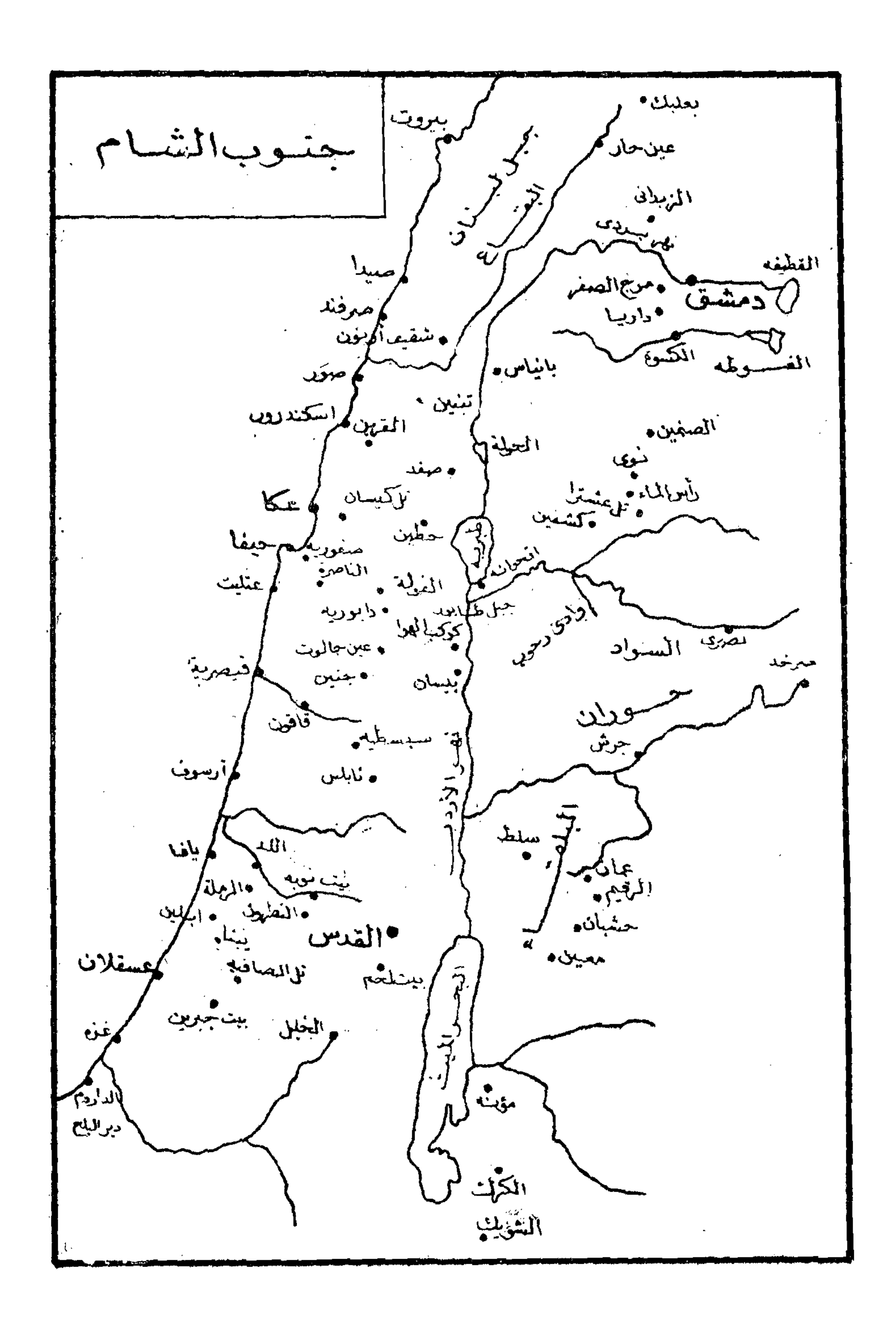
٩٢ – النحلاوي ، عبدالرحمن، **أصول التربية الاسلامية** دمشق ، دار الفكر ١٩٧٩
٩٣ – نصر ، سيد حسن، **الصوفية بين الأمس واليوم ترجمة** ، كمال خليل اليازجي بيروت ، الدار المتحدة للنشر ١٩٧٥
٩٤ – نوري ، محمد علي، **سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة بغداد** ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧٦
٩٥ – الهرفي ، محمد علي، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام القاهرة** ، دار الاعتصام ١٩٧٩
٩٦ – يوسف ، جوزيف نسيم، **دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب** الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢ **العدوان الصليبي على بلاد الشام** الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٤
٩٧ – يوسف ، حمد أحمد عبدالله، **بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية** القدس، دائرة الأوقاف ١٩٨٢

٣ – المراجع الأجنبية

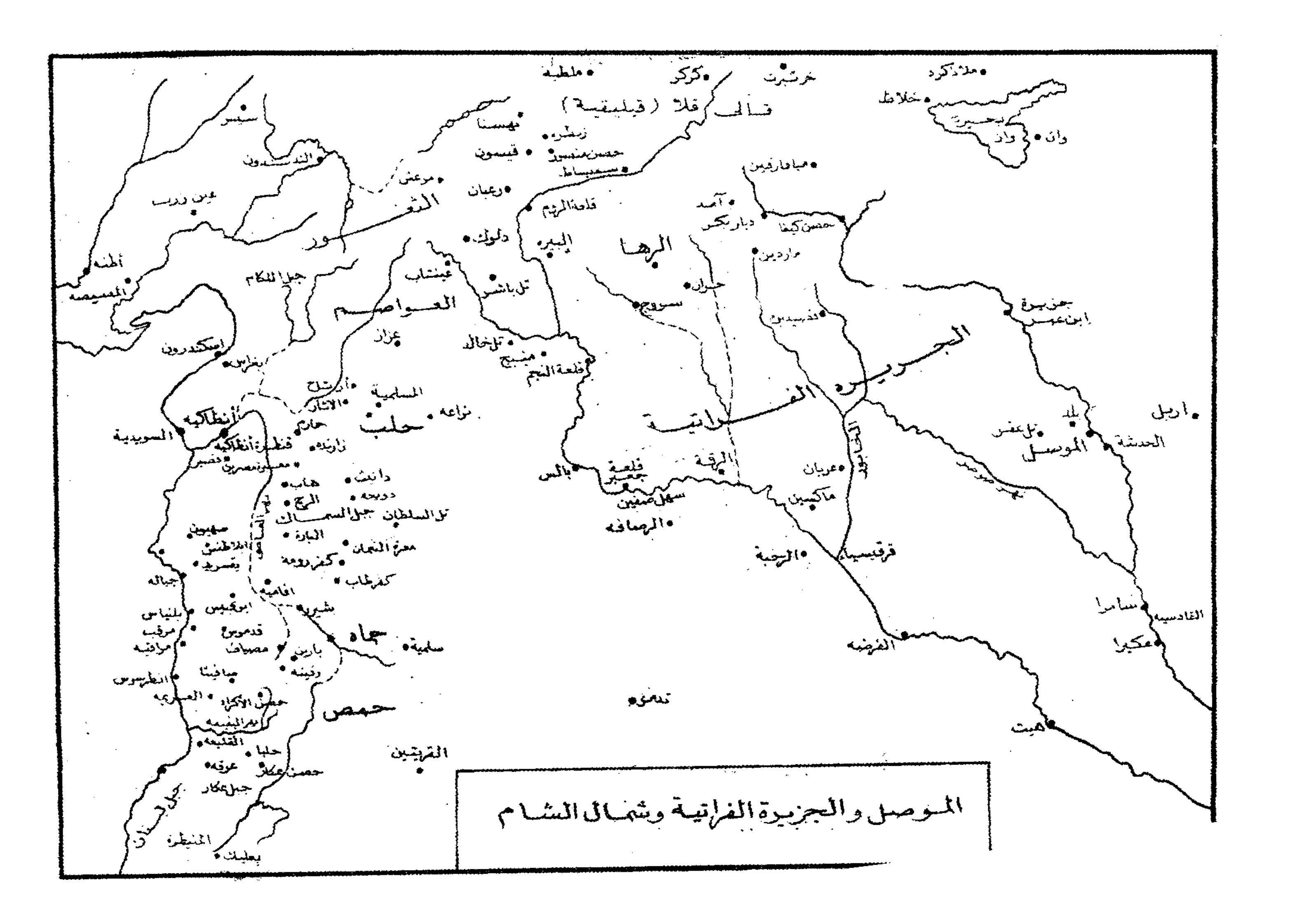
1 - Nutting , Anthony
*The Arabs (Anarrative History from Mohammed to The Present)
England , Hollis & Corten LTD 1964

2 - Rauciman , Steven
* A History Of The Crusades, Cambridge University Press 1979

3 - Stevenson W . B
* The Crusaders In The East, Lebanon Book Shop , Cambridpe University Press 1968



جنوب الشام
بيروت
بعلبك
عين حار
الزبداني
نهر بردى
جبل لبنان
البقاع
القطيفة
دمشق
مرج الصفر
داريا
الكسوة
الغوطة
صيدا
صرفند
شقيف أرنون
صور
بانياس
تبنين
اسكندرون
القرين
الحولة
الصنمين
نوى
صفد
عكا
تل كيسان
رأس الماء
تل عشترا
كشمين
حطين
حيفا
صفورية
الناصرة
طبرية
الأقحوان
عتليت
العولة
دابوريه
جبل طابور
كوكب الهوا
وادي رحوب
السواد
بصرى
صرخد
عين جالوت
قيصرية
جنين
بيسان
حوران
قاقون
سبسطيه
نهر الأردن
جرش
أرسوف
نابلس
البلقاء
يافا
اللد
سلط
بيت نوبه
عمان
الرقيم
الرملة
النطرون
ابنا
حسبان
القدس
يبنا
معين
عسقلان
تل الصافية
بيت لحم
البحر الميت
بيت جبرين
الخليل
غزه
الداروم
دير البلح
مؤته
الكرك
الشوبك



الموصل والجزيرة الفراتية وشمال الشام
الجزيرة الفراتية
الرها
العواصم
الثغور
حلب
حماة
حمص
أنطاكية
الموصل
تدمر
الرقة
قرقيسيا
الرحبة
الرصافة
بالس
منبج
سروج
حران
آمد
ماردين
ميافارقين
حصن كيفا
خلاط
وان
ملاذكرد
ملطية
خرتبرت
قيسون
رعبان
مرعش
دلوك
عين تاب
تل باشر
البيرة
عزاز
المسلمية
معرة النعمان
كفر طاب
شيزر
سلمية
بارين
مصياف
جبلة
بانياس
مرقب
انطرطوس
حصن الأكراد
عرقة
بعلبك
القريتين
هيت
تكريت
سامرا
القادسية
الحديثة
اربل
بلد
جزيرة ابن عمر
نصيبين
الخابور
قلعة جعبر
صفين
اسكندرون
السويدية
المصيصة
أذنة
عين زربة
سيس


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



يطلب الكتاب من المؤلف

هاتف ٦١٥٤٧١ عمان

ص.ب ٦٧١٧ عمان

أو

دار حنين للنشر والتوزيع -

تلفاكس ٦٩٥٦١١

- ص.ب ٢١٥٣٤٦

أو

مكتبة كلية القدس -

هاتف ٦٩٢٩٣١